المحامي

محمد حيدر

حياتي

في مواقف غير سياسية





«شعر»

المحامي محمد حيدر

حياتي في مواقف غير سياسية

«شعر»



حياتي في مواقف غير سياسية

• حياتي في مواقف غير سياسية (شعر)
• تأليف المحامي محمد حيدر
• الطبعة الأولى ١٩٩٧

• الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - ص.ب: ٩٥٠٣ - هاتف: ٣٣٢٠٢٩٩
فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧ - تلكس: ٤١٢٤١٦
• التوزيع في جميع أنحاء العالم:
• الأهالي للتوزيع
سورية - دمشق - ص.ب: ٩٢٢٣ - هاتف: ٢٢١٣٩٦٢
فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧ - تلكس: ٤١٢٤١٦

المحامي

محمد حيدر

حياتي

في مواقف غير سياسية

« شعر »

الإهداء

إلى روح والدي الذي علّمني كيف أكون إنساناً...

إلى روح والدتي الأمية التي علّمتني كيف أتعلم...

إلى رفيقة حياتي، زوجتي، التي تحمّلت مني كل ما في هذا الديوان من غزل، وظلّت مصمّمة على مرافقتي...

إليهم جميعاً أقدم هذه المواقف في حياتي، وأرجو أن يتاح لي تقديم حياتي كلها في مواقف، أهديها لهم أيضاً...

محمد حيدر

تقديم

ترددتُ كثيراً قبل أن أدفع بهذه القصائد الى المطبعة. ولم يكن ترددي لعدم ثقتي بالقيمة الأدبية لما كتبتُ، كما أنه لم يكن بسبب كساد السوق الأدبي وخصوصاً الشعر. فأنا لا أطمَعُ من وراء ما أنشر بربح مادي ولاحتى بتقليل الخسائر اذا كان في النشر خسائر.

ترددتُ لأن هذه القصائد انتزعت من بين مجموعة كبيرة نظمتها وفقَ تسلسلٍ تاريخي يمتد من عام ١٩٥٤ حتى اليوم الذي نحن فيه، عبرَّتُ فيها عن مواقف سياسية، وغير سياسية. وكنت أحلم أنني سوف أدفعها للطباعة والنشر كما ولدت تحت عنوان واحدٍ هو:

«حياتي في مواقف»

وطال انتظاري للوقت المناسب، الذي لم أقتنع يوماً أنه آتٍ بدون أن أدفع ثمناً باهظاً لنشرها. وقناعتي هذه ربما كانت متولدة من عقدة القمع التي سكنت الشعب العربي ـ وأنا منه ـ لطولِ ما عاناها في الواقع. وعقدة القمع تلك هي التي دفعتني الى أن أفصِلَ حياتي فصلاً تعسفياً الى قسمين هما (حياتي في مواقف غير سياسية) أدفعه اليوم الى المطبعة ليرى النور و(حياتي في مواقف سياسية) أتخفى به وراء عقدة القمع الداخلي التي تسكنني، الى أن أقتنع أن الوقت قد حان لأدفعه هو أيضاً الى المطبعة.

فهل سترى عيناي ذلك اليوم؟

مَن هو الشاعر؟

هو المحامي: محمد حيدر ابن الشيخ حيدر ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ حيدر ابن الشيخ حمدان الجُوْرَة. نسبةً إلى (جورة بيت ياشوط).

- ولد الشاعر ١٩٣١ في قرية (الحصنان - بيت ياشوط) جبلة - اللاذقية - سورية.

- تخرج من كلية الحقوق - جامعة دمشق - ١٩٥٩ ثم عمل موظفاً في الدولة السورية، وشغل مناصب إدارية وسياسية أهمها:

١ - مديراً عاماً لمؤسسة الغاب التابعة لوزارة الزراعة والإصلاح الزراعي ١٩٦٣.

٢ - محافظاً لمحافظة الحسكة ١٩٦٦.

٣ - وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي ١٩٧١.

٤ - نائباً لرئيس مجلس الوزراء السوري للشؤون الاقتصادية ١٩٧٢ - ١٩٧٥.

٥ - عضواً في قيادة الجبهة الوطنية التقدمية في سورية، منذ إنشائها وحتى ١٩٨٥.

- انتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٧ وشغل مراكز حزبية أهمها:

أ - عضوية قيادة فرع الحزب في دمشق ١٩٦٦.

ب - عضوية القيادة القومية الاحتياط ١٩٦٨.

جـ - عضوية القيادة القطرية السورية المؤقتة ١٩٧٠.

د - عضوية القيادة القطرية السورية ١٩٧١ إلى ١٩٨٠.

هـ ـ عضوية القيادة القومية للحزب منذ عام ١٩٧١، ومايزال نظامياً يشغل عضوية هذه القيادة حتى الآن.

ـ عمل محامياً أستاذاً في دمشق منذ عام ١٩٨٠ ومايزال يمارس مهنة المحاماة حتى الآن.

تأملات

في إحدى ليالي القرية حيث يتعانق السهل والجبل ويغطيهما معاً ليل مقمر هادئ كنت وحدي على سطح بيتنا في القرية. وطفقت أروح وأجيء إلى أن اكتملت هذه التأملات.

* * *

في سكون الليل والقرية كالموت همود
وشعاع القمر الزاهي على الأفق برود
والندى تغرق في لألائه الحلو الورود
كنت وحدي بين أفكاري أبدي وأعيد
لم يفتني من رؤى أمسي طريف أو تليد

* * *

وزحمت الغيب يجلوه لعيني خيالي
علني أقرأ في الغيب جواباً لسؤالي
أترى هذا الذي ألقى إلى غير زوال؟
أم تراني سوف أستقبل حالاً غير حالي؟
وستندى لفحات البؤس في نعمى الظلال

* * *

أترى يسعدني الغيب ببعض من رجائي؟
أترى تنقشع الدكنة عن وجه سمائي؟
أتراني والشقاء المرُّ حولي وورائي
أتملى غديَ الآتي غداً ثر العطاء
عبقريَّ الفجر مزهو الضحى حلو المساء

* * *

وكما ترجو مناي الخضر سويت الجوابا

فإذا بي أبلغ النجم وأمتاح السحابا
وإذا الكون كما أهوى جمالاً وشبابا
وصراعاً في ميادين المعالي وغلابا
ورجاء يسع الدنيا وآمالاً عذابا

* * *

وأعادتني إلى نفسي تباشير الصباح
فإذا بي لم تزل دامية حرى جراحي
وإذا البؤس كظلي في غدوي ورواحي
وإذا الكون الذي أبدعه حلم طماحي
أثر في الرمل لايقوى على عصف الرياح

* * *

أسلمتني يقظة الفجر لهمي وشكاتي
وأفاق الحقد في قلبي على ظلم الحياة
ليتني أفنيت في البؤس الذي عانيت ذاتي
ليتني لم أتعلل بالأماني النضرات
ليتني أملك أن أسلم للضعف ثباتي

* * *

قلبي القلب الذي يهزأ باليوم العصيب
قلبي الغصن الذي يزهر في حر اللهيب
إنه يستقبل المأساة بالوجه الطروب
ويرى تهويمة الفجر على جفن الغروب
إنه يحيا على الحب ويبقى للحبيب

* * *

بيت ياشوط/ ١٩٥٤

أمنية

الحب والخوف من الرقباء وتقاليد الهوى العذري كل هذا دفع بي إلى تمني ما لم أستطع تحقيقه في الواقع، و كانت هذه الأمنية:

* * *

أنا وأنت والغد ثلاثة وموعد
لقيا يرف طيفها بخاطري فأسعد
أعيشها اليوم منىً يحملها لي الغد
حيث أراك قامة أتعبها التأود
ومقلة أهدابها يغار منها الإثمد
ووجنة خجلى تكاد نارها تتقد
طاهرة تهوى وطهر الحب فجر يولد

* * *

وتبسطين لي يدا تُفدى بعيني اليد
وتهمسين أحرفا يأكلها التردد
ضاق بي المطل يا أنت ومات الجلد
سألت عنك الليل حتى ازورّ عني الفرقد
ولم يجبني عن سؤالاتي الحيارى أحد

* * *

وتمسكين من يدي خجلى ويحنو المقعد
وتستريحين إلى صدري ويغفو الأبد
وتحتوي النعمى ذراعاي ويشقى الحسد
وقبلة تهبط للنحر وأخرى تصعد
وأنت ما بينهما مشوقة ترتعد

* * *

مصياف/ ١٩٥٥

العودة

في مصياف عملت مدرساً في ثانوية أبي ذر الغفاري - المدرسة التي أنشأها الحزب وتخرج منها مئات البعثيين - وفي مصياف وفي هذه المدرسة توطدت علاقتي (بسعاد) التي أصبحت رفيقة حياتي. وفي صيف /١٩٥٩/ عدت إلى مصياف وليس لي من عمل سوى أن أرى حبيبتي ولكنني فوجئت بأنها مع أهلها في القرية ولم أستطع الوصول إلى حيث هي. فكانت هذه الأبيات موجهة إلى مدينة مصياف ومن خلالها إلى من أحببت:

* * *

هذا أنا يا مهد بوحي الأول ... هذا أنا أجهلتَ أم لم تجهل؟
روحي فداك رعيت أمس بدايتي ... ودفعتني دفعاً إلى مستقبلي
لي فيكَ من مرح الصبا وفتونه ... عهد رغمت به أنوف العزل
عهد إذا عُدلت بنعمائي به ... نعمى الإله على الورى لم تعدل
جمّعت فيه العمر ثم حملته ... ذكرى أعيش لها الحياة وليس لي

* * *

يا مهد أول قبلة لم أعطها ... عفواً، وأول قبلة حرقت فمي
هذا أنا والشوق يلفح مهجتي ... فيحيلها لهباً يغذيه دمي
أمشي وفي عيني لهفة مؤمن ... ظمآن يستبق الحجيج لزمزم
حتى إذا أبصرت جنة حبنا ... وكأنها من بعدنا في مأتم
أغمضت عيني وانكفأت تسير بي ... درب بكت حزناً لخيبة مقدمي

* * *

مصياف، صيف/ ١٩٥٩

الشعر

في مطلع عام ١٩٦٠/ بدأت حياتي الوظيفية في الدولة، وعينت في وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي بعد نجاحي بمسابقة لحملة الإجازة في الحقوق أعلنها المجلس التنفيذي في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة وقد تم تعييني في مديرية الزراعة والإصلاح الزراعي بحلب وتركت دمشق وأصدقائي فيها، ولولا أنني كنت تزوجت بنفس العام وكانت رفيقة حياتي هي المؤنسة في حلب، لما استطعت هنالك صبرا. ومن دمشق أرسل إليّ الصديق يوسف كامل الخطيب رسالة شعرية يتحدث فيها عن الشعر والشعراء وما يعانيه هو شخصياً من الضيق في دمشق فأجبته بهذه الأبيات:

* * *

الشعر أغنية السماء ورفيف أجنحة الضياء
كلماته نجوى الصلاة على شفاه الأنبياء
وبحوره لا الجزر تعرفه ولا شح العطاء
كم مدع لفظته لجتها لصحراء الغباء
ولنحن نحن الرائضون شماسها وبلا عناء
نزجي قوافيها كما ينساب لحن في غناء
وأنا وأنت على الإخاء نروضها وعلى الوفاء

* * *

يا صاحبي إنّ الحياة تباعد ومنى لقاء
خفف عليك فلست وحدك من حياتك في شقاء
إني هنا أحيا لبعدي عنك في شر البلاء

* * *

حلب/ ١٩٦٠

عيد ميلادك

إلى طفلتي ميساء في عيد ميلادها، وكنت غائباً عنها، حيث كانت هي وأمها وأخوها إياد في في مصياف وكنت أنا في دمشق.

* * *

عيد ميلادك (يا ميمي) غداً فاسكبي قلبي شموعاً لغد
وارفقي إن تطفئي شعلتها إنها جذوة حب سرمدي

* * *

اسمعي يا طفلتي قصتنا فهي تاريخك قبل المولد
نحن عشنا ـ أنا والماما رؤى حلم خلف جفون الأبد
نزرع السوسن في جبهته ويرويه لنا الفجر الندي
ومع الصبح أفقنا فإذا غلة الموسم كانت كبدي
زهرتا طهر وحب مخصب بيدر يفقأ عين الحسد

* * *

عيد ميلادك أحياه هنا في حنيني للنداء الغرد
اسمع (البابا) فأرنو لأرى طفلتي تحبو ويعدو ولدي
في سباق حافز السبق به غيرة كاللهب المتقد
وهدايا السبق مني قبل لفم المسرع والمتئد

* * *

عيد ميلادك ميلاد المنى لأب يحنو وأم تفتدي
وأخ لايعرف الحب سوى صفعة تلقيك خلف المقعد
فاهنئي بينهموا ولتعلموا أنكم أمسي ويومي وغدي

* * *

دمشق/ ١٨/٧/١٩٦٤.

افطار في عربين

الرفيق عمر صقر من رفاقنا الحزبيين في قرية عربين وكان موظفاً في الإصلاح الزراعي والزراعة بدمشق، دعانا للإفطار في قريته وكان الوقت شتاء والقرية موحلة جداً والكلاب فيها تملأ الشوارع وقد غصنا في الوحل وصارعنا الكلاب إلى أن وصلنا. فكانت هذه الأبيات:

* * *

جئناك يا عمر بن صقر غدوة ... نرجو لديك الشاي والإفطارا

جئناك في بلد يخوض ضيفه ... بالوحل حتى يبلغ الزنارا

وكلابها ترغي وتزبد حوله ... وأكفه تستنفر الأحجارا

* * *

دمشق/ ١٩٦٥

عيناك يا لوسي

في مطلع |١٩٦٥| تم تشكيل وفد صداقة لزيارة الصين الشعبية و كان الوفد مشكلاً من سبعة عشر رفيقاً برئاسة الرفيق حسان مريود و كان وزيراً للخارجية السورية وعضوية عدد من الرفاق بينهم الرفيق سليمان الخش و كان وزيراً للتربية. وأنا و كنت مديراً للزراعة والإصلاح الزراعي في دمشق ودرعا والسويداء. وفي طريق عودتنا من الصين الشعبية ونحن في الطائرة من هونغ كونغ إلى مانيلا كانت على الطائرة مضيفة لها سمات عربية. نالت إعجابنا وبدأنا نتسابق لخطب ودها وعندما سألتها عن اسمها ونسبها تبين أن اسمها (لوسي) وأن أمها اسبانية فنظمت هذه الأبيات وترجمها رئيس الوفد إلى الفرنسية وقدمتها هدية إلى (لوسي):

* * *

عيناك (يا لوسي) هوية محتد ... كشفت أصالة نسبة الأجداد
عربية العينين ضل بها النوى ... حتى تلاقينا بلا ميعاد
فاستأنست روحي بها في غربتي ... وتعرف الأحفاد بالأحفاد
عيناكِ عادت بي إلى وطني إلى ... أهلي إلى زوجي إلى أولادي
ورأيت في عينيك سحر عيونهم ... وجمالها فوهبتهن فؤادي

* * *

الطائرة من هونغ كونغ إلى مانيلا
الشهر الثاني ١٩٦٥

الأم

لا أذكر أننا في الثلاثينات أو الأربعينات أو الخمسينات من هذا القرن كنا نحتفل بعيد الأم لأننا في الأرياف لم نكن نعرف ذلك العيد ولا أدري لماذا، وعندما بدأ أطفالي يحتفلون بعيد الأم بتشجيع من أمهم وخالاتهم وتقليداً للجيران الذين كنا نعيش بجوارهم في المدينة أحسست بالتقصير فكانت هذه الأبيات تصوراً لعواطف الأم المحتفى بها بالنسبة لأبنائها:

* * *

أنا منها فلذة من كبد ... وامتداد في عروق الأبد

كل أم همها من غدها ... بسمة الطفل على ثغر الغد

تجهل الغيب فيجلوه لها ... قبس النور بعيني ولد

* * *

الشقاء المر فيه قدر ... يسعد الأم التي لم تسعد

كل نعمى غير نعماه لها ... كمد ما بعده من كمد

لو جلا الله لها جنته ... بيدٍ ثم جلاه بيد

وحباها خيرة بينهما ... لتمنته ولم تستزد

وغدت والطفل في أحضانها ... تتخفى من عيون الحسد

إنها تشعر فيما اقتسمت ... أنها نالت نصيب الأسد

هي من دنياه في جنتها ... وهو من جنتها في رغدِ

* * *

دمشق/ ١٩٦٥

رفيق الصبا

الرفيق الشاعر محمد الخطيب توفاه الله إثر نوبة قلبية مفاجئة وهو في عمر العطاء وكان أديباً وشاعراً بعثياً ظل في الحزب إلى أن وقع الانفصال فسار مع الناصريين بعض الوقت ثم عاد ثانية إلى صفوف الحزب، وفي أربعين ذكراه كانت هذه القصيدة:

* * *

أيخبو شعاع النفس إن سكن القلب — حنانيك بل تخبو الشموس ولايخبو
أيسكن قلب كان بالأمس ثورة — يفجرها حب ويكبتها حب
أيسكن قلب ضم آمال أمتي — وعاش عليها وهو في مهده يحبو
رأى النور في ركن قصي محجب — فلم تثن نسر الجو عن أفقه الحجب

* * *

تطلعت حتى لات من متطلع — وحلقت فالآفاق موطنك الرحب
تطل على شرق العروبة حانيا — فيشتاق إيماءآت طلتك الغرب
وتنشد للركب المغذِّ بسيره — إلى المجد ما يحدو المطايا به الركب
وما زلت حتى لاح ظل حسبته — مقيلا نديات حدائقه غلب
خدعت به حيناً ورب خديعة — تجوز على فهم ويقبلها لب
وعذرك أن الركب تاه دليله — ببيداء لم ينبت بحصبائها العشب
أضل الدليل الركب عمداً فصارعت — كتائبه هوجاً زعازعها نكب
ولولا بقايا عصمة من أصالة — على هديها درب الهدى سلك الشعب
لما عرف التاريخ كيف توجهت — خطا البعث في صحرائه وانتهى العرب
وحين تبينت السراب لخدعة — تبينت أنَّ البعث ليس له ذنبُ
وأدركت أن الظل ظل سحابة بصيف — وأن النصر فيما ادعى غلب
فعدت إلى ركب الرفاق مصمماً — على النصر أو تفني كتائبنا الحرب
فغالتك كف الموت حتى كأنها — علينا مع الخصم الألد لنا الب

* * *

رفيق الصبا والدرب والشعر والهوى   اتتركني للدرب يوحشني الدرب
بلوت خطوب الدهر شتى فلم أرع   وأشهد أني اليوم روعني الخطب
توزعت الأيام سرب رفاقنا   فهم ليدي حاجات عيشهم نهب
ولكنني في يوم عرس (محمد)   أراهم ولوا يه اكتمل السرب

* * *

رفيق حياتي نحن عندك فالتمس   من الحور عذ إ طال ما انتظر الصحب
وعفوك يا رباه مُرْ صدر تربه   لينشق عنه مرجعاً شوقه الترب
رفاق وأطفال وزوج ووالد   ووالدة ثكلى مدامعها سكب
وشعب وآمال عراض وأمة   وساح نضال. نحن أحوج يا رب

* * *

رفيق الصبا لايملك الموت قدرة   تنال الألى شابوا كراماً كما شبوا
لبيتك أعلى ما بلغت وإن ما   بلغت لشأو دونه الأنجم الشهب
خيال جناحا رائد النسر، إن هوى   ففي قمة شماء مبلغها صعب
وإعجازُ فصحى راض منها شَموُسَهَا   وفكرةُ تخطى النجم شأواً ولم يكب
وخلق وفيٌ لايشوب وفاءه   عتاب على ذنب الصديق ولا ذنب

* * *

رفيق الصبا مأساة فقدك صفعة   لمنطق ما جاءت به الرسل والكتب
صغار على عطف الأبوة أطبقت   محاجرهم واسترسل الحلم العذب
تعلق في أجفانهم طيف والد   حبيب، فما رفت صيانا له الهدب
غصون رطاب فاجأتهم عواصف   فكيف يطيق العاصف الغصن الرطب
ينادون (بابا) وهو في قبضة الردى   و(بابا) لهم عين و(بابا) لهم قلب
وحين يجيب الصمت أو يرجع الصدى   تراهم وقد غطى وجوههم الرعب

* * *

أحكمة ربٍ عادل أم جريمة   تسوق لهم يتماً وهم سبعة زغب

* * *

دمشق ١٩٦٥/٤/٢٣

حين يذوب الثلج

الصديق الشاعر (العسكري) يوسف الخطيب، قال لي ذات مساء و كنا في مجلس أنس. إذا قلت فيَّ شعراً أعجبني ولو كان هجاءً أجزتك هذه (القداحة). فكانت هذه الأبيات، وأخذتُ القداحة:

* * *

أتغريني بمدحك يا خطيب ولست أنا الذي لايستجيب
سأصنع منك معجزة البرايا فتنكرك النواظر والقلوب
سأصنع منك إنساناً جديداً تكاد تقول أنت من الغريب!!
عيوبك في مغاسل بيت شعري أذيب، فلا تبين بك العيوب
يراكَ الناس في شعري وسيما كأنك يوسف الحسن الحبيب
وتبدو فيه عنترة ابن عبس وأنت بدونه العي الهروب
وتنفتح الحياة بألف باب لسعدك بعد نحس لايغيب
فتعطيني الذي أغرى التوافي بمدحك رغم أنك لاتثيب
وحين يذوب ثلج ألذ حلم ويظهر تحته ما لا يذوب
تعض أنامل المخدوع حتى لتدميها، ولايجدي النحيب

* * *

دمشق/ ١٩٦٥

دائرة النصوص

الرفيق سامي عطفة كاتب ومثقف، تزاملت وإياه في مصياف حيث كنا نعمل سوية في التعليم ثم في حلب حيث كان يعمل في وزارة الشؤون الاجتماعية و كنت أعمل في الإصلاح الزراعي ثم في حماه وأخيراً في دمشق حيث ندب هو إلى وزارة الإعلام وأسندت إليه مسؤولية (دائرة النصوص) في الوزارة وسألته عن عمله الجديد فقال هو قراءة النصوص المعدة للإذاعة والموافقة عليها أو رفضها فكتبت له هذه الأبيات:

* * *

أدائرة النصوص شغلت دوما	بنصف مثقف أو نصف أمي
وكنت تسيرين ببعض جهل	وأحياناً ببعض شذوذ علم
إلى أن جاء (سامي) وهو عقل	تخمر في مناقع كل فهم
وَرُكّب - جل خالقه - بجسم	تخيره المركب جسم (فدم)
تمر بك النصوصُ إليه خطأً	فيرفضها بإبهامٍ وختمِ

* * *

دمشق/ ١٩٦٦

جئنا إليك

الرفيق أحمد مدنية زميل دراسة منذ أن كنا في ثانوية البنين باللاذقية (جول جمال) لاحقاً، كان معاوناً لوزير الإعلام /١٩٦٦/ وكنت ما أزال في وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي بدمشق، وألح علي أن أزوره وبعد إلحاح كثير ذهبت إليه مع بعض الرفاق في مكتبه ولكنني وجدته خارج المكتب فسجلت على مفكرة مكتبه هذين البيتين:

* * *

جئنا إليك فلم نجدك وخير ما ... صنعت يداك هو الهروب المزمن

إن كنت تلعن ساعة جئنا بها ... نسعى إليك، فنحن أيضاً نلعن

* * *

دمشق ١٩٦٦

عرفتك برعماً

سبع سنوات من عمر حياتنا المشتركة، مرت حلماً هانئاً مخصباً رزقنا فيها أياد، ميساء، هاني، غفار، ولدان وبنتان عنوان التوازن العاطفي والأسري، وخلال هذه السنوات السبع قطعت مرحلة نضالية ممتعة في حياتي الوظيفية بدأتها مع شهر العسل رئيساً لشعبة أملاك الدولة في حلب ثم رئيساً لدائرة الاستيلاء والتوزيع في مديرية الزراعة والإصلاح الزراعي بحماة ثم مديراً عاماً لمؤسسة الغاب التابعة لنفس الوزارة ومنها أمضيت قرابة العام (تحت تصرف الوزير) بدون عمل في دمشق، ثم مديراً للزراعة والإصلاح الزراعي بدمشق ودرعا والسويداء ومنها إلى مدير الشؤون الإدارية والقانونية بنفس الوزارة وفي عام |١٩٦٧| ومن الحسكة حيث كنت قد عينت محافظاً لها منذ عام |١٩٦٦| أرسلت لرفيقة حياتي التي كانت في دمشق بزيارة أهلها هذه القصيدة هدية عيد زواجنا السابع:

* * *

عرفتك برعماً أخشى عليه ... يديَّ فأحتويه في جفوني
أنديه بطهر الدمع حيناً ... وأسقيه الحنان بكل حين
أحيط به كعوسجة لأحمي ... بأشواكي تفتحه الجنيني
إلى أن كان برعمي المندى ... شذى فل ونفحة ياسمين
إلى أن كنت فوق طموح حلمي ... وفوق مدى التخيل في ظنوني
صباً أشهى من النعمى وأحلى ... وسحراً في الخدود وفي العيون
ودل أنوثة وحياء طهر ... وإيماآت حب كاليقين
وشئنا أن نكون معاً جناحي ... كناريٍّ يرف على غصون
فكنا والحياة بزينتيها ... هوى يبقى ونعمى في البنين

* * *

(أياد) بكر حالية الأماني ... وضوع تفتح الحب الدفين

مدى عينيه لو أبصرتِ ظلي   وعهد طفولتي لو تعرفيني
كما هو كنت. هذا مارواه   أبي. وسمعت من أمي الحنون
ومثل شقائهم لي. سوف نشقى   له. ليعيش مرفوع الجبين

* * *

و(ميمي) قطتي الشقراء أفدي   شراستها بكل وسيم لين
تنفر من هدوء ضفيرتيها   إذا غضبت وتهزأ بالجنون
نذللها ونسعد حين ترضى   ونسعد وهي كالمهر الحرون

* * *

و(هاني) من رأى حملاً وديعاً   يغار فيستحيل إلى أتون
يدافع عن سيادته علينا   بكفيه وبالدمع الحزين
ويغمرنا وإخوته بحب   طفولي وفيض من حنين

* * *

(وفارا) طفلتي الصغرى استبدت   بعاطفتي وجن بها فتوني
تسابق وهي في أولى خطاها   فيكبو خطوها في الشوط دوني
أقيل عثارها بيدي وقلبي   ويمسح دمع مقلتها جبيني
فتضحك وهي تهدأ فوق صدري   فتهدأ لابتسامتها شجوني

* * *

كذلك نحن بعد مضي سبع   خصيبات العطاء من السنين
وسوف يظل أخلد ما سنبني   هوى يبقى ونعمى في البنين

* * *

الحسكة ١٩٦٧/٣/٦

مات عبد الرحمن

عبد الرحمن الخطيب صديقي وصهري، كان بعثياً وأديباً وشاعراً ومدرساً للغة العربية، تسلم أمانة شعبة الحزب في مدينة جبلة قبل الحركة التصحيحية |١٩٧٠| ثم وقف بعد الحركة التصحيحية معترضاً على أسلوبها مع الكثيرين من الرفاق الحزبيين الذين اعترضوا على أسلوب هذه الحركة، والغريب أن المعترضين عليها كانوا من المؤيدين لحركة |٢٣| شباط |١٩٦٦| تلك الحركة التي اصطبغت بالدم وكانت بالفعل انقلاباً عسكرياً أما الحركة التصحيحية فلم تأخذ هذا الطابع.

وفي هذا الجو توفي عبد الرحمن الخطيب تاركاً وراءه زوجاً وأطفالاً صغاراً ليس لهم معيل وكان علي أن أرثي عبد الرحمن شعراً، أنا الذي كان العمل السياسي والحكومي قد استغرقني تماماً وأبعدني مدة طويلة نسبياً عن الشعر والأدب والكتابة، ومع ذلك كانت هذه الأبيات التي ألقيتها في التأبين:

* * *

مات عبد الرحمن!! لاتسألاني   كيف يذوي الربيع في نيسان
كيف؟ لا علم لي سلا الطب فيه   إنه لن يجيب فهو الجاني
جهلةُ قاتل ويا خيبة الطب   إذا كان قاتل الإنسان

* * *

مات عبد الرحمن!! زلزلني النعي   ودكت أصداؤه بنياني
وتلاشى وعيي فلا عيني المبصر   عيني ولا لساني لساني
خدر كالدبيب في كل أوصالي   وغيبوبة على أجفاني
ورؤى تخلق الشخوص من الوهم   مروداً عشيرة الشيطان
وضباب يلفني وقفار   موحشات وعاصفات دخان
وسراب مع الهجير على الرمل   وثلج يصك لي أسناني
عالم كله خيالات محموم   وأضغاث حلمه اليقظان

وأفاقت على الحقيقة نفسي   فإذا الحي ميت في ثوان

* * *

أمس كان الحياة والحب والشوق   ودنيا مزهوة الألوان
كان ظرفاً وكان فكراً حصيفاً   كان ثبت الإيمان ثبت الجنان
كان ذواقة أديباً ذكياً   ألمعيّ المعنى فصيح البيان
كان ابناً براً وزوجاً عطوفاً   وأباً رقةً وذوبَ حنانِ
وصديقاً على الوفاء مقيماً   لم تحوله عاديات الزمان
يتغاضى عن الهنات ويمحو   هفوات الصديق بالغفران
أثخن الدرب قلبه بجراح   يوم صرنا ودربنا دربان
ورفاق (النضال) كَفُّ التجافي   مزقتهم، فسربهم سربان
باعدت بينهم حساسية الحب   وعتبى الإخاء في الإخوان
واجتهادات مخلصين وشيء   من عناد الفرسان للفرسان
وهنات عاشوا لها وعليها   لو أرادوا صارت إلى النسيان
وحماقات عاطفيين صارت   لعداء ما كان في حسباني

* * *

يا أبا منذر لفقدك حزن   ما عرفناه قبل في الأحزان
كل حزن في البدأ يبدو كبيراً   ثم يخبو في زحمة الحدثان
ونعاني حزناً لفقدك ينمو   ثم ينمو كغابة البيلسان
كان في البدأ صدمة فذهولا   وهو اليوم قمة العنفوان
هو في القلب لوعة وعلى الجفن   دموع نزف من الشريان
ألفته نفسي فأصبح حزنا   ممتعاً بالمتعة الإدمان

* * *

يا أبا منذر رجوتك ذخراً   لي وللأقربين والأوطان
فإذا أنت قد تحررت منا   وتخيرت وارفات الجنان

وتركت الأحباب والوطن الغالي نعاني جميعنا ما نعاني
أتراه اختيارك الحر فعلاً؟ أم تراها إرادة الرحمان؟

* * *

أيها (الرب) لا اعتراض على حكمك يا رب يا عظيم الشان
إنما العدل مثلما نعرف العدل على الأرض. كفتا ميزان
تتوازى فيها القضايا وتنشال وللحق جانب الرجحان
يا إلهي إن كان عندك داع للقاه فعندنا داعيان
أنتَ تشتاقه ونحن إلى الشوق احتياج تمتد منه اليدان
وإذا شئت أن أسوق دليلاً فتلفت فكلهم برهاني

* * *

يا إلهي رحماك فالخطب أقوى من عزاء يرجوه من عزّاني
هو أقوى من طاقة الصبر عندي وهو أقوى من احتمال كياني
لذت منه بكل إيمان روحي وبتسليمها إلى الديان
غير أني وجدت خطبي فيه يا إلهي أشد من إيماني

* * *

دمشق/ ١٩٧٤

أرجوحة الخطر

ودعت سعاد زوجتي في مطار دمشق، وهي تركب الطائرة متوجهة إلى موسكو. وكنت قد استجبت لطلبها بالموافقة على ذهابها لزيارة أختها في موسكو، وكان آنذاك عديلي (العقيد عيد العلي) يعمل معاوناً للملحق العسكري هناك.

وبعد أن صَعَدَت إلى الطائرة وفي طريق عودتي من المطار إلى البيت كانت هذه الأبيات:

* * *

رحماكِ يا أرجوحة الخطر ... رحماكِ من خوفي ومن حذري

إن التي سويتِ مقعدها ... في صدرك الحاني على البشر

وستبحرين بها مدى أفق ... في لُجِّهِ تهويمة القدر

هي أم أطفالي ومؤنستي ... ورفيقتي في العسر واليسر

وحبيبتي أيام صبوتنا ... ولها بقايا فضلة العمر

فلتذهبي من خوف وحشتها ... ولتؤنسي من وحشة السفر

* * *

دمشق ١٩٧٦

يا رفة النسيم

طفلتي غفار، ستظل بعيني الطفلة المدللة مهما كبرت لأنها آخر العنقود جاءت إلي ذات يوم ومعها دفترها الصغير وقالت أرجو أن تكتب لي على هذا الدفتر شيئاً للذكرى، فكانت هذه الأبيات:

* * *

يا رفة النسيم في الهجير   يا طفلتي يا عبق الزهور
يــا حـلــم عــاشـقــين يـوم الـعـرس يــا زنــبـقــة الــســريــر
(غفار) يا أجمل ما بعمري   يا أملي الضاحك يا سروري
كتبت شعراً لك يا حياتي   سكبت فيه أصدق الشعور
لاتجـفـلـي إذا رأيـت يـومـاً   قلبي يرتاح على السطور

* * *

دمشق ١٩٧٦

الفاسق

الصديق الشاعر (العسكري) يوسف الخطيب، بدأ ينظم الشعر منذ نعومة أظفاره، و كان شعره دائماً لطيف النكتة ذكي التشبيه، محبب الهجاء و كانت أخوانياته مما يؤنس ويرهف الحس، وعندما بدأ يحسد ويحقد اتجه شعره نحو الفحش في القول والبذاءة في الهجاء ولسبب ما أو ربما لأسباب متعددة منها اتهامه «للمحافظ» أنه تكلم بالسوء عن الشيخ صالح العلي. أرسل قصيدة فاسقة يهجو فيها المحافظ العميد علي زيود و كان محافظاً لطرطوس، وقد شكاه المحافظ إلى (الرئاسة) بعد أن حاول استعارة هجائين للرد عليه شعراً، وتم فرض عقوبة انضباطية بحق الشاعر يوسف الخطيب بسبب فسق القصيدة، فأرسلت له هذه الأبيات إلى السجن ولكن خروجه منه قبل وصول الأبيات إليه جعل رده علي يأتي متأخراً ولكنه رد بعد ذلك بقصيدة، كانت في مستوى أخوانياته قبل مرحلة الفجور، فحمدت الله على حسن المآل:

* * *

حُبِستَ على طول اللسان وفسقه ... كأنك قبل اليوم ما كنت فاسقا
وأنت الذي لو عاقب الحكم شاتماً ... على الشتم قبلا كنت في السجن خالقا
عرفتك هجاء الكرام ممازحاً ... ذكيَّ دعابات صموتاًوناطقا
فما لك يا من كنت مشروع شاعر ... تحولت سباباً سليطا وحازقا
تبادل أياً كان كل شتيمة ... وتفرح إما كنت في الشتم سابقا
وآخر (طب الكيل) جئت مهاجيا ... (عَليَّ بنَ زيود) وكنت المصادقا
رفيقي طريق كنتما قبل مدة ... فكيف غدا ذاكَ الرفيق مفارقا
تقول (علي زيود) قال (بشيخنا) ... كلاما - كما أُبلِغتَهُ - ليس لائقا
ولم تتأكد قبل أن جئت راعدا ... عليه بألوان السباب وبارقا
ورد (عَليٌّ) بالذي يستطيعه ... عليك فكان الرد كالفعل حانقا

رويدكما ردا إلى (الشيخ) أمره ... ولا تجرحا مجداً على الشمس سامقا
فلا الشيخ محتاج إليك مدافعاً ... ولا مجده يخشى (ابن زيود) ناعقا

* * *

دمشق ١٩٧٨/١١/٨

أجلك يا شيخ المحبين

إلى الرفيق علي دوبا رداً على تهديده بقطع الهاتف عني لأن هاتفي يظل - كما نقل إليه الرفيق أحمد الحسن - مشغولاً بمغازلة الحِسان.

* * *

أتقطع حبل الود بيني وبينهم ... ولم يبق لي إلاه من صلة الوصل
لقد كنتُ قبل اليوم أسعى لقربهم ... بسيارتي حيناً وحيناً على رجلي
ولكنني من بعد غضبة شعبنا علينا ... ومن بعد التشكك من أهلي
لجأت إلى المهتاف أشكو به الهوى ... هو الأمل المرجو في زحمة الشغل
فكيف تراني إن قطعت اتصالنا ... وكيف يجوز الأمر عند ذوي العقل

* * *

عرفتك شيخ العشق تشفق حانياً ... على أهله اشفاق أم على طفل
فكيف تصيخ السمع للعازل الذي ... يشي بي وعهدي فيك مكتمل العقل
أيرضيك يا فحل (الجمال) بأن ترى ... يقودك (برذون) إلى بركة الوحل
أجلك (يا شيخ) المحبين عن أذى ... محب صحيح الحب بالقول والفعل
فلا تلق بالاً للعزول ودعه لي ... أريك به ما كنت تجهل من جهلي

* * *

دمشق ١٩٨٠/٤/٢

هذه أنت

ميساء - كبرى بناتي - كانت دائماً تفضل أن أهديها شعراً وجاءتني في عيد ميلادها السابع عشر لتقول لي، أريد هديتي أبياتاً من الشعر لاقلادة من الدر. فكانت هذه الأبيات:

* * *

هذه أنت يا صغيرة عمري بعد أن صرتِ يا صبيَّةَ عمري
هذه أنت مثلما صبوة الفكر وأحلى من كل صبوة فكر
زهرة زينت ربيع حياتي مثلما ازَّينت سماء ببدر
وشذا أيكة يطوف صباها فيه بالناس بين طي ونشر
ولحون على لهاة طيور أخذت كل سامعيها بسحر

* * *

يا ابنتي يا صغيرة الأمس هذي أنت أحلى من كل روضة زهر
تملئين الحياة حسناً وطهراً كل حسن غواية دون طهر
يكبر العمر بي وأنت شبابي وحياتي وخصب موسم عمري

* * *

دمشق ١٨/٧/١٩٨٠

إلى شريكة حياتي

واحد وعشرون عاماً في حياتنا المشتركة، وكجميع الأزواج ذقنا الحياة الزوجية بحلوها ومرها، بنكدها ونعمائها، بأفراحها وأتراحها وبقيت أواصر الحياة المشتركة قوية، كلما شاءت مشاكل الحياة وغيرتك القاتلة أن تضعف من عراها أعادت تماسك نسيجها عواطف الحب المستمر ونعمى البنين، وها نحن بعد واحد وعشرين عاماً ننعم بالألفة والحب وبالأبناء وسوف تستمر إن شاء الله رغم صعلكتي.

* * *

ما زال حبك ملء القلب والبصر ... رغم انقضاء زمان الحب من عمري
إحدى وعشرون من عمر الهوى انصرمت ... ومايزال الهوى في سنه الخطر
أحلامنا رغم سن الرشد ما برحت ... تلون الليل بالأذهى من القمر
وما أزال فتى العشق الذي اشتهرت ... أيامه بهواك الطاهر العطر

* * *

إحدى وعشرون مرت فوق مخدعنا ... بالبؤس حيناً وبالأفراح أحيانا
نستنفر الحب في البلوى فينجدنا ... حب يهدهد يوم الروع بلوانا
نشكو الرتابة والأطفال في عمر ... لولا الهوى قتلتنا فيه شكوانا
وما تزال شكاوانا مدمرة ... لولا المحبة ترعانا وتنهانا

* * *

رفيقة العمر ماأقساك غاضبة ... تفجرين براكينا من اللهب
وترجمين بها زوجاً وأربعة من البنين، وأحياناً بلا سبب
أما رضاك فجنات نفيء إلى ... نديها من هجير القيظ والتعب
فيها سماحة عفو الله من خطأ ... والأمن من خشية والري من ثغب

* * *

رفيقة العمر ما أوقفت صعلكتي ... ـ كما تقولين ـ عن عجز وضيق يد

فالفارس النجد من تدرين ما برحت — سيوفه تستبيح الصدر بالزرد
وما أزال فتى الأحلام تعشقه — حور نواعس من دل ومن ميد
لكنه حبك المحفور من زمن — بحد سكينة حرى على كبدي

* * *

عشت الغواية لاغدراً بمخلصة — ولا انتقاماً بها من خيبة الأمل
طوفت كل ثغور الزهر ألثمها — فلم أذق غير طعم المر بالقبل
وزهرتي وحدها روت ظماء دمي — وذقت من ثغرها أحلى من العسل

* * *

حبيبتي عيدنا ذكرى ومنطلق — إلى غد، حيث واحاتي وأزهاري
وحيث نحن ولاشك ولاملل — ولاتقاذف ألفاظ كأحجار
ولا عناد ولاكبر ولاحرد — ولا اتهام بإخلاصي وإيثاري
وحيث أرتشف النعمى بحبك لي — ويسكر الكون من ألحان أشعاري

* * *

دمشق ١٩٨١/٣/٦

إلى المسافرة

إلى رفيقة حياتي (زوجتي) التي تركتني وحيداً في دمشق وسافرت..

* * *

تسافرين ويبقى وحدهُ قمري ... أنيس ليلي في صمتي وفي سمري
تسافرين وينأى عن مرابعنا ... أنس اللقاء، وتبقى وحدتي قدري
غيبي. فما غاب عن قلبي وباصرتي ... حسن أهيم به إن غبت عن بصري
البعد يوم، وأشكو من تطاوله ... والقرب عام وأشكوه من القصر
يا واحة بالندى والأنس تغمرني ... فأستريح من الرمضاء والضجر
ماذا سأفعل في صبحي وفي غسقي ... إن باعدت بيننا تهويمة السفر

* * *

دمشق ١٩٨٣/٩/٧

أسباب الصداقة

كان أحد الرفاق يفرض علي نفسه كصديق، ولم أكن أجد فيه من مؤهلات الصداقة أي شيء. وأخيراً تقطعت بيننا الأسباب فحمدت الله على ذلك، ولكن الأصدقاء تساءلوا لماذا، فأجبت شعراً:

* * *

سألوني عن الصداقة ماذا حلَّ فيها بين (الرفيق) وبيني
قلتُ يا قوم، للصداقة أسبابٌ تقوي الصِّلات بين إثنين
فصديق تلوذ فيه من الفقر فيغنيك عن مذلَّة دين
وصديق تعب من فيضه العلمَ وتمتاحُ منه فقه (الخميني)
وصديق عذب الحديث ذكي ملء أذنٍ من الجلوس وعين
والرفيق الذي ذكرتم، دَعِيٌّ جاهل لايطاق في الحالين
وغبي فظ الحديث ويؤذي بلسان ونية ويدين
فلماذا أشقى بعبء لقائي معه، وهو سيءُ الأصغرين.

* * *

دمشق ١٩٨٤/١/٨

أم فراس

إلى السيدة (أم فراس) زوجة الرفيق مصطفى طلاس مع التحية.

* * *

أولمت لي. وأكل (أم فراس) متعة للعيون والأضراس
كرم ليس مثله لكريم من طعام يغري ومن إيناس

* * *

وجُمعنا من حول مائدة الأكل خليطاً معدَّدَ الأجناس
بعضنا جبة وفضلة ذقن وحديثٌ مقطَّعُ الأنفاس
ولبعض منا إذا أُخذ الشكل بهاءٌ ورونقٌ في اللباس
فالعماد المهاب (تطلسه) الشارات من رأسه لكعب (المداس)
من رآه يظنه يتخفى خشيةً من رقابة الحراس

* * *

متَّعتنا بالطيبات من الأكل وأصغت للشعر باستئناس
ورجتني وهي العزيزة أن أهجو (ناصيف) ملحقاً (بطلاس)

* * *

طلب فيه بالإضافة للكرمى نداء للحبر والقرطاس
واشتهاء للهجو مني شديدٌ أنا للهجو يستثار حماسي
وتذكرت بعد أن كدت أهجو فوهبت الأسرى (لأم فراس)

* * *

١٩٨٤/١/١٥

كبرت يا بنت

صغيرتي غفار، مشغولة في البيت تروح وتجي ولاتقول لأحد ماذا تفعل وأخيراً يكتشف أحدنا أنها مشغولة بالإعداد لعيد ميلادها وتنظر إلي والعتب في عينيها فأبادرها إلى القول أن هديتها جاهزة وهي في دفتر مذكراتي، وسوف تسمعها في الاحتفال، وتعود صبيتي طفلة صغيرة فتتعلق بعنقي وتقبلني فرحاً:

* * *

كبرتِ يا بنت حتى صار يحرجني — شوق الأبوة للتدليل والقبل
غدا يطل علي العيد منسكبا — كحُزمة الضوء تدمي الليل بالمقل
في عيد ميلادك الآتي يجاذبني — تقدم السن بي إشراقة الأمل

* * *

يا طفلة الأمس. ما زالت بذاكرتي — شقاوة الأمس في أيامك الأول
تعربدين على أحضاننا سفها — إن قال (هاني) لشيء أن ذلك لي
وتمنعينَ علينا النوم عامدةً — إذا تخيَّلتِ أنا عنكِ في شُغُلِ
تستأثرين بنا والويل إن ضُبِطَت — ماما تقبل (ميساء) على عجل
وحين يهوي (اياد) في قفا يده — على جبينك أو يسطو على الدحل
تقوم ساعتنا فالكل منهمك — يحيط فيك بألوان من الحيل

* * *

في عيد ميلادك الغافي (بفروته) — من عاصف الثلج يحني هامة الجبل
أرى صباك ونار الطهر تحرسه — من ألف مدنف شوق واله غزل
والحسن والطهر في تاريخنا ائتلفا — ومنهما كنت معنى عشقنا الأزلي

* * *

١٩٨٤/١/١٧

يا قرة العين

ميساء، في طريقها إلى عش الزوجية السعيد، وبيتنا بين الفرحة لها والحزن على فراقها، وأنا تتقاذفني الأحاسيس والمشاعر والعواطف من مختلف الأشكال والأجناس. وفي هذا الجو كان لابد لي من تقديم أضمومة ورد لأحلى عريسين في نظري (ميساء) و(مضر) مع فرحتي الغامرة وأمنياتي لهما بالرفاء والبنين والعيش الهانئ الأمين:

* * *

سياجها أضلعي والتربة الكبد — والعطر، والمنظر الأخاذ والميد
أنبتها في فؤادي فهي من عمري — نصف ومن أمنياتي البشر والرغد
حتى إذا نم عنها عطرها وبدت — نضارة أعجزت ما يشتهي الحسد
تسابق النحل يحدو شوطه ظمأً — إلى الرحيق ويخشى ثم لايرد
وحين حلق في أجوائها (مضرٌ) — كالنسر عند الذرى الشماء يتئد
أدركت ساعتها أن التي امتنعت — بطهرها قد سباها الفارس النجد
والحب أقدس ما في الكون من قيم — البدء منه، وفيه يدرك الأبد
واللبوة البكر في أحضان فارسها — وفارس اللبوة المتناسة الأسد

* * *

يا قرة العين، دنياك التي بدأت — بالحب إياك أن يلهو بها النكد
كوني لزوجك في الجلى ملاذته — من العناء، فأنت العون والسند
كوني لزوجك أمّاً حين يعوزه — عطف الأمومة يوماً ثم لايجد
وحاولي أن يكون البيت جنّته — فيه السرور وفيه الحب والولد
وعوضي أهله عنه الوفاء لهم — وحبهم. إنما هم أهلك الجدد

* * *

وأنت يا صهري الغالي ومن أنِسَت — روحي له، يا رعاك الواحد الأحد

وهبتك اليوم من عمري نضارته بقيّة العمرِ عندي الشيبُ والرمدُ
فاحفظ نضارة عمري أن تبددها لولا نضارته عمري هو البدد
ميساء، يا مضر الغالي، مدللة وقد تنشط قليلاً عندما تجد
فاذكر وداعتها عند الهدوء وكن أبا وزوجا ليرضى عندك الحرد

* * *

دمشق ١٩٨٤/٢/٢

يوم عرسي

في السادس من آذار ١٩٦٠ وكان الجو مطيراً جداً انطلقت بنا سيارة صغيرة من أمام منزل (بيت عمي) أهل العروس، من حماة إلى دمشق ولا أزال أذكر أن عروسي ظلت تبكي والسماء تمطر إلى أن وصلنا دمشق، وهناك كنت في العادة أنام في فندق (الشباب) وأردت أن أجدد ما دمت عريساً وكان آنذاك (فندق الجامعة العربية) من فنادق الدرجة الأولى بدمشق فنزلنا به.

وفي دمشق احتفل بنا كل من الرفيقين يوسف الخطيب ومحمد الخولي وكلاهما كان عسكرياً الأول في المشاة والثاني طياراً، وبعد خمسة وعشرين عاماً أراني اليوم أتذكر يومنا الأول بكل تفاصيله وكأنني أعيشه ساعة بساعة:

* * *

ما لعيني تكاد تبصر أمسي ... وعروسين في ترقب عرس
ولقاء مجنح الوعد يحفى ... دونه الفكر وهو يغدو ويمسي
حملتنا إليه من حارة (الرفض) ... بأقصى (حماه) أحضان (تكسي)
تتهادى إلى دمشق وعين الغيم ... تهمي ولاتطيق التأسي
وعروسي عيونها تسبق الغيم ... لبعدٍ عن دار أهلٍ وأنسِ
وأنا من تلهفي لعروسي ... واشتياقي أكاد أحرق نفسي

* * *

وأطلت دمشق خلف دوالي ... سهل (دوما) كمثل شمخة رأس
جبل يحضن البيوت عشوشاً ... هي أنموذج لفقر وبؤس
وامتداد السفح الخضيل إلى (الغوطة) يرتاح من هجيرة شمس

* * *

ونزلنا بساح (مرجتها) الخضراء نختار فندقاً فيه نُمسي
وتركنا نزل (الشباب) إلى (جامعة العرب) والعروبة قدسي

فندق باهظ التكاليف والراحة فيه لا أشتريها بفلس
وتبينتُ أن جامعة العربِ كمضمونهِ قمامة كنس
(البراغيث) عشعشت فيه (والفسفس) و(الزاحفات) من كل جنس
وعلى الرغم منه كنا سعيدين نداري عن سعدنا كل نحس
والتقينا (بعض الرفاق) فكانوا مثل عهدي بهم رهافة حس
(يوسف بن الخطيب) أمثولة الجيش (انضباطاً) بمشية وبلبس
وأخونا (الخولي) طيار عصر حفظت طائراته كيف ترسي
اكرماناً وآنسانا بود صادق، لايشوبه أي لبس
وعلى كل معلم صور (الخوليِّ) ذكرى والعمر إن طال ينسي

* * *

تلك كانت أيامنا العسل الأولى وما زال طعمها تحت ضرسي
واستمرت بنا الحياة شقاء بعد نعمى وحظوة بعد نحس
وبقينا أنا وأنت على الحب وفي الحب لا حياة ليأس

* * *

عيدنا اليوم يا حبيبة عمري أفتديه بكل غال وبخس
عشت أيامه ندى فوق عشبي واخضراراً مبرعماً بعد يبس
ورزقنا البنين خير بنين شاهداً دائماً على طيب غرس

* * *

(يا سعادي) ويا رفيقة عمري أنتِ أنشودتي وخمري وكأسي
لك حبي وطهرُ حبي تلاواتُ إمامِ صدقٍ وترتيل قس
فأقبليه، فإنه بمشيبي لم يزل مثلما بأيام عرسي

* * *

دمشق ١٩٨٤/٣/٦

الحياة سراب

العقيد يوسف عيد، صهري، وصديقي، ورفيقي في الحزب منذ الخمسينات كان دائماً من الحزبيين الجيدين و كان كفأ في جميع المهام التي أوكلت إليه عمل طيلة القسم الأكبر من حياته الوظيفية ضابطاً في الأمن السياسي و كان بالإضافة إلى الحزم المطلوب من رجل الأمن وخاصة في الأزمات سياسياً ملتزماً يوازن في القضايا المعروضة عليه ين الموقف ومقتضيات المصلحة السياسية ولكن لسبب لا أعرفه تم إبعاده عن رئاسة الشعبة السياسية في محافظة اللاذقية وأعيد إلى سلك الشرطة فتقدم باستقالته احتجاجاً وقبلت تلك الاستقالة بدون أن يُسأل لماذا، وأحيل إلى المعاش وهو يشعر بمرارة الظلم الذي مورس عليه باسم الحزب، ومنذ أربعين يوماً وفي طريق عودته من سراقب حيث كان يزور أحد الأصدقاء، تدهورت سيارته وهو فيها وحيداً وأسلم روحه الطاهرة تاركاً لنا هموم دنيانا.

* * *

قل ما تشاء فليس في الأسباب ... ما قد يبرر غيبة الأحباب

مضت الليالي الأربعون ولم تعد ... وقلوبنا مشدودة بالباب

نترصد الآتين كيف توزعوا ... ونظل نأمل عودة الغياب

* * *

سافرت تفتح للحياة دروبها ... من بعد أن ضاقت على الدُّراب

فإذا الحياة بكل اغراءاتها ... ظمأ تروِّيه بماء سراب

أغرتك غائلة المنون بدربها ... والدرب ذاهبة لغير إياب

فأجبت داعيها الشحيح وعفت في ... كرم الضيافة دعوة الأصحاب

والموت ليس لديه أي مميَّز ... في اللون والأعراق والأحساب

أعييته زمناً وكان طلابه ... لك ملحفاً متعدد الأسباب

سبب هويتك التي حُمِّلتَهَا ... إرثاً لفضل عراقة الأنساب

(والبعث) حملك الوفاء بعهده ... عبء اعتراض أسنةٍ وحراب

جنَّدتَ نفسك في طليعة جنده		ومع الطليعة كنت زين شباب
لم تحسبوا للموت في ساح العلا		رغم المخاطر فيه أي حساب

* * *

ويشاء ربك أن تموت وأنت في		مثل الشرود لكثرة الأوصاب
(للبعث) عشت، وباسمه وبسيفه		حوربت. أي أذى وأي عذاب
لم تلق تبريراً لما عانيته		فشردت في عجب وفي استغراب
أضناك ظلمهم وأنت بحبهم		ولأجلهم لم تخش أي عقاب
ليس المهم من الوفاء جزاؤه		فثوابه فيه وخير ثواب

* * *

يا أمتع الأتراب جُمِّعَ سربنا		وبك افتقدنا متعة الأتراب
جمعت شمل شتاتنا من بعد أن		عاثت فساداً فيه كف (غراب)
وتركتنا والدرب مفترقاته		شتى وكل شعابه لضباب

* * *

وطن العروبة مرَّغَت راياته		وجه العلى من خزيها بتراب
أشلاؤه مزق تَمشُّ عظامها		في كل منعطف جياع (كلاب)
لولا الجنوب وفجره لأضلَّنا		أفق يضيء بفجرِهِ الكذاب
باب الشهادة في الجنوب لوحده		باب الخلود وعزّ في الأبواب
من كان في نار الجهاد وضوؤه		صلى مع الرحمن في المحراب
أدب الشهادة وحدهُ مسموعةٌ		آياته، وكفرت بالآداب
كتب الحضارة دونت بدمائها		وعلى الرمال سطور كل كتاب

* * *

يا قبلة الأحرار حجك وحده المبرور، فلنسجد على الأعتاب
كثر الحجيج لغير قدسك إنهم		عباد أصنام بغير مآب
(شدوا) لأمريكا ركاب رحالهم		ولبيتِ قدسك آذنوا بخراب
خسئوا فليس سوى حرامك منعةٌ		ينحط دون علاه عزم عقاب

* * *

أرض البطولة قيد أنملةٍ هنا ويناضلون هناك بالأنخاب
هذا هو الزمن الرديء وليس في الزمن الرديء سوى شريعة غاب
نضبت به قيم الحياة فحقه ما يستباح بمخلب أو ناب
من شاء أن يحيا ببعض كرامة فيه أدين بتهمة الإرهاب
أم تباد ولا حياة لأمة لايستثار شبابها لغلاب

* * *

(جندَ) الإمام ولا محل لأمتي - لولا دماؤكم - من الإعراب
صفين مزقت القبيل قبائلا وجنوبكم متوحد الآراب
ودمشق في (صفين) نصرةُ ظالم ودمشق دونكم حسامُ ضِرَاب
حشدت لنصرتكم سيوف أمية ورماح هاشم وهي فصل خطاب
ولسوف تحميكم بأضلع صدرها وتصونكم بنوابض الأهداب
(البعث) حملها رسالة أمة تاهت بها فخراً على الأحقاب
تشقى بها وتظل مخلصة لها والمجد يتعب أيما إتعاب

* * *

جندَ الامام دمشق قاعدة الفدا ورحابها لبنيه خير رحاب
يأبى لها التاريخ دور محطة للهاربين ولو بألف حجاب
ولسوف تكشفهم وتعلن أنهم مستسلمون (وصائدو ألقاب)

* * *

يا ابن الشجاعة والتجلد والحجا ببنيك تعزية الأب التواب
شيخ تغالبه الخطوب فتية فيردها خجلى على الأعقاب
إيمانه بالله عاصم قلبه من لوعة المتشكك المرتاب
يستقبل البلوى كما لو أنه يستقبل (الضيفان) بالترحاب
(وبنوك) سوف يكون بعض وفائهم لك أن يجدوا للعلا بطلاب
(ولزوجك) الذكرى ودمعة أيِّم ما كُفْكِفَتْ إلاَّ إلى تسكاب

* * *

١٩٨٥/٥/٣

عامك الأول يا سوسنتي

صيد الأسد، حفيدتي الأولى لابنتي ميساء ومضر الأسد، تنهي عامها الأول في ١٨/١١/١٩٨٥ وقد رزقها الله أختاً ما تزال في شهرها الأول (وصيد) هي النسخة المصغرة عن (ميمي) تعود إلي من جديد فتستدعي شريط ذكرياتي مع أمها بكل صخب طفولتها وجمالها وذكائها وغيرتها ويبعث في قلبي من جديد كل ما كابدت بأمها من حب ولهفة وإيثار. التاريخ يعيد نفسه، ولكنني وأنا على أبواب كهولتي أستقبل العام الأول لحفيدتي بوعي كامل على معنى الأبوة، ومتعة الصغار كنت أفتقدهما يوم كانت أمها في هذا السن أو ربما نسيت كيف كنت آنذاك. فإلى طفلتي الصغيرة (صيد وإلى أختها (سيراء) أقدم هديتي.

* * *

كبرت (ميمي) على تدليلنا فهي ملء السمع ملء البصر
ومضى اخوتها كل إلى غاية يسعى لنيل الوطر
فاستعضنا بالتي لو غضبت بعتُ من أجل رضاها عمري
(صيد) يا هدأة ليلي، يا رؤى حلمي، يا أنشودتي، يا قمري
(عيد ميلادك) يا ملهمتي جاء يستدعي شريط الذكر
فإذا (أمك) في حبوتها تتصدى لالتقاط الصور
وتباهي أنها أسرعُهُم لضلوعي في سباق الظفر

* * *

عامك الأول يا سوسنتي كان همي معه أن تكبري
عشت فيه فوق أهدابي وفي كبدي بين المنى والحذر
أرصد الخلجة في النبض فإن أبطأت أو أسرعت واقدري
وإذا (لعثمة الطفل) على كل مافيها من المختصر

نطقت أسهبتُ في توضيحها وجـلاء الـرائـع المبـتـكـر

* * *

عـامـك الأول جـاءتـك بـه ضـرة أو درة فـي الـدرر
بك منهـا كـلمـا أبصرتهـا غـيـرة كـالـلـهـب المستـعـر
وهي لاتعرف معنى أنهـا مبعث للحب أو للضجر
أختك الصغرى وطبع خالد جُبلت منه قلوب البشر
أن تحب الأخت أختاً إنما ربما استثني عهد الصغر
لاتـغـاري واتـركـيـهـا حـجـراً في زوايا (التخت) أو كالحجر
وخذي (ميساء) من عالمها وبقلب (الأم) منها استأثري
وعلى ألحان (بابا) غـردي وارقصي بين ذراعي (مضر)
وثـقـي أنـك يـا جـوهـرتـي أمـلُ المسـتـقـبـل المنـتـظـر

* * *

دمشق ١٩٨٥/١١/١٠

عرض حال

الدكتور حافظ الجمالي أستاذنا السابق ورفيقنا الحالي، جاءني هذا الصباح متوعكاً، فاتصلت بالدكتور (محمود زغيبي) مدير مستشفى تشرين وعرضت عليه وضع الدكتور الجمالي فدعانا إلى زيارته في المستشفى لإجراء الفحوص اللازمة، وفي اليوم التالي توجهنا إليه حاملين وريقة كتبت عليها هذه الأبيات، عرضاً للحال وبسطاً للآمال:

* * *

جئناك مدَّرعين بالآمال		نرجو لديك علاج كل عضال
وتقود خطوتنا لبابك شهرة		بالطب صارت مضرب الأمثال
وبأن ما نلقاه في (تشرينكم)		نلقاه دون مقابل من مال

* * *

يا أيها الدكتور إن مريضنا		غزل ويعشق كل ذات جمال
هو طاعن في السن أما قلبه		فالحب أبقاه بأحسن حال
ولأنه يبقى لود (حافظاً)		ويصون ذكر جمالهن الغالي
جئنا به نرجو لديك علاجه		من علتيه: (حافظ) و(جمالي)

* * *

دمشق ١٩٨٧/٤/١٥

أنت أدرى

* * *

أنتِ أدرى بالعشق فلتعذريني — بلغ العشق بي مداه الجنوني
صدقيني إن قلت أني محب — أدمنت خمرة السهاد عيوني
وإذا قلت أن حبك دائي — ودوائي من علتي، صدقيني
وغريب أني محب وأدري — أن غيري إليك قد (سبقوني)
وأنا من يغار حتى من الكحل — إذا مس رفة من جفون
صوتك النغمة الأليفة عندي — وهو صوت يزهو به تلفوني
ومواعيدنا مواعيد عرقوب — على أنها عزاء السنين
حبنا واقع ولكنَّ لقيانا — وعود للظن والتخمين
وهوانا العذري أعجوبة العصر — بعصر ما فيه غير المجون
فلماذا نبقى غريبين في العصر — كأنا من غير ماء وطين؟
يا ملاكي وكل نبضة عرق — من عروقي ترجوك أن تسمعيني
إنّ شوقي إليك (يا بنتُ) أقوى — من عفافي ومن روادع ديني
فتعالي أذب شفاهك لثماً — قبلة الحب جذوة من أتون
ودعيني أضم بين ذراعي — قواماً لدن المجس، دعيني
وتعالي نحيي الليالي بالنجوى — ونمحووهم الهوى باليقين

* * *

دمشق ١٩٨٧/٧/٢٠

بيتنا ضاق

حفيدتي الغالية ـ صيد الأسد ـ أكملت اليوم عامها الثالث وقررت أمها أن تحتفل بعيد ميلادها في البيت مع الأهل فقط. (وصيد) دخلت هذا العام ـ دار الفرح ـ الحضانة التي تضمها مع ستين رفيقاً ورفيقة تُصر (صيد) على تسميتهم بأخوتها، و كان لابد من الاعتذار لهم ولرفاقها من أبناء العائلة فاتفقتُ معها أن أكتب لها اعتذاراً ترسله إلى كل واحد منهم مصحوباً ببعض الهدايا. فكانت هذه الأبيات:

* * *

يا رفاقي أنا صِيْدُ الأسَدِ   جئتكم في يوم ذكرى مولدي
أحمل الحب لكم ملء يدٍ   وهدايا جدَّتي ملء يد
فاعذروني واعذروا (ماما) معي   بيتنا ضاق بكبر العدد
إنما نفتح قلبينا لكم   يا رفاق العمر فوق المقعد

كل عام وأنتم بخير

* * *

صيد الأسد

دمشق ١٩٨٧/١١/٨

أخي محمود

الرفيق (محمود الأيوبي)، صديق قديم، ورفيق قديم، وجمعتنا الظروف في حياتنا العملية كثيراً وكنا متفاهمين دائماً ومتعاونين. ومرت أيام انقطعت الصلة فيها أو كادت، فإذا ولدي (هاني) يخطب ابنته (عروب) وإذا نحن مرة أخرى على الدرب الواحد، لسنا فقط أصدقاء وإنما صرنا بفضل أولادنا (ذوي نسب) وبيوم عرس هاني وعروب، كانت هذه الرسالة.

* * *

أخي (محمود) فرحة عرس (هاني) ... وعرس (عروب) قد عقدت لساني
فصرت إذا دعوت بنات شعري ... عصين، فما أَنِسنَ إلى بياني
لذلك لم أقل شيئاً وحسبي ... يكاد يطير من فرح جناني

* * *

أخي (محمود) كنتَ رفيق عمري ... وعوني كلما خطب دهاني
وأنت اليوم تمنح قلب (هاني) ... حبيبته، وتمنحني أماني
وربّك كنتُ في خوف عليه ... إذا اغترب الفتى بين الغواني
هو العذب الوديع وفيه مني ... تعلقه بأهداب الحسان
فقل (لعروب) أن تخشى عليه ... وتحميه بسور من حنان

* * *

دمشق ١٩٨٧/١٢/١٢

المُقتَعِد

في مطلع هذا العام تمت إحالة الصديق الشاعر (يوسف الخطيب) إلى التقاعد. و كان عميداً في الجيش، و كان دائماً يتردد على مكتب العميد (حيدر يوسف) ليباري العاطلين عن العمل في لعب الطاولة، ويقرأ للمعجبين آخر (سفاهاته) الشعرية، ورغم أنه أحيل إلى التقاعد ومن المفترض أن يكون قد ذهب إلى بيته في قرية (جيبول) إلا أنني علمت أنه ما يزال في دمشق، وفي مكتب العميد (حيدر يوسف) ويمارس نفس الطقوس في لعبة (الطاولة) فكانت هذه الأبيات:

* * *

من طول ما أنت مربوط إلى وتد ... أمسيت مقتعداً أو شبه مقتعد

حتى إذا حل سجانوك قيدهم ... عن معصميك وفكوا عقدة الزرد

بقيت رهن مقيل لاتفارقه ... فأنت بالوهم مربوط إلى وتد

* * *

دمشق ١٩٨٨/١/١٠

إلى صائمة

* * *

تغفو وتحلم وهي جالسة　　في مقعد يحنو على الحلم
عينان مغمضتان في ترف　　وفم يدغدغه اشتهاء فمي
(وتـصـوم) إلا أن فـتنتـهـا　　تغري، وتفطرني فلم أصم

* * *

يا أنتَ يا أحلى بنفسجة　　في الروض. يا تهويمة النغم
رمضان شهر الصوم ما عرفت　　أيـامـه إلا نـدى الـكـرم
فتصدقي فيه على دنف　　أشـواقـه كـالجمـرة الـضـرم
وثقي بأن الله محتسب　　لك فيه أجر الأشهر الحرم

* * *

دمشق ١٩٨٨/٤/٢٧

علقتني معه

الرفيق الصديق اللواء (علي دوبا) ذواقة للأدب والشعر يطربُ فيه ويُطرب.

والرفيق الصديق يوسف الخطيب جليس أنيس إلا أنه لايحفظ الغيبة وشاعر هجاء لسانه (يدمي)، وهجوه (يصمي).

وقد حاول أن يوقع بيني وبين اللواء (علي دوبا) فكانت هذه الأبيات. رسالة مني للواء (علي) أشرح الواقع وأحتمي به من لسان الخطيب.

* * *

أنا ماهجوتك من وراء ستار ... كلا ولا أنكرتها أشعاري

ورجاحة العقل التي عهدي بها ... كانت لديك. تصون من (ثرثار)

أحزانه كبرى، وكنت أظنها ... ستصده عن طبعه الغدار

فإذا به لما رآك تحلُّبت ... أشداقه بغريزة الإخبار

وإذا (بحس الأمن) عندك ينبري ... ليسوقها تهماً لأوفى جار

* * *

أنا يا علي أصون عهد صداقتي ... وأنا لفضلك لستُ بالنكّار

(عين الشقاق) و(شلحة) ليست إذا ... كنيتني، نسبي، وليست داري[1]

فعلام تسمع بي وشاية (مخبر) ... للسانه في الهجو لفح النار[2]

(علقتني) معه وكنت لهجوه ... (خوف اللسان) شددت فضل إزاري

إسمع. فأنت مؤلّج عني به ... إن نالني إعصاره بغبار

أولاً فسوف أقول فيك جهارةً ... مالم يقله (نديم) خلف ستار

* * *

دمشق ١٩٨٨/٤/٢٨

---

(١) إشارة إلى قرية عين شقاق التي يتحدَّر منها الشاعر نديم محمد أبو شلحة الذي قيل أنه هو من هجا اللواء دوبا.

(٢) المقصود بكلمة مخبر معنى الإخبار ليس إلا.

لا تسألي

بين حين وآخر يطيب (لزوجي) أن تتحرى عما لدي من شعر جديد علها تقع على دليل يسعفها في إظهار حقيقة (ماتظنه بي)، من سوء ويبدو أنها قرأت بعض الأبيات الغزلية وسألتني لمن توجه غزلك، فقلت لها الشاعر يخلق من نفسه شيطاناً أو شيطانة ويحاوره، غزلاً كان ذلك الحوار أم غير ذلك وشياطين الشعر وشيطاناته لاوجود لها ولاتستحق الغيرة. فسألتني أن أقول فيها شعراً يعبر عن رأيي الحالي بها وَوَعَدَت أنها لن تغضب مهما كان هذا الرأي ثم استدركت لتقول. وحتى لو غضبت فليس عندي من الغضب عليك أكثر مما هو موجود. فكانت هذه الأبيات:

* * *

لاتسألي فحكايتي تتجدد — «لا الأمس يسلبها الخلود ولا الغد»

أنا من صبابات خلقت وليس لي — إلا الورود إذا دعاني المورد

فتذكري أيام كنتِ حكاية — تُحكى وكنتِ قصيدةً تتردد

هل هز عطفك غير ثنية ساعدي — أم هل طربتِ لغير ما أنا منشد

* * *

أنا عاشق أبداً فأنّى لاح لي — (حسن) عشقت وكل حسن يُعبَدُ

تلك الثلاثون التي صرنا إلى — أبوابها نشقى بها أو نسعد

ما غيرت مني ولست بمذنب — إن غيرتك (فصرتِ) مالا أحمدُ

صيَّرت حبك فوق هام عواطفي — قيداً، وإني العاشق المتمرد

أنا طائر مهما تأنّق عشه — سيظل في كل الرياض يغرد

لك. أمُّ أولادي وربة منزلي — وفراشُ أحلامي عشية أسهد

ولكل حسن بعد ذلك من دمي — لحن على أوتاره يتجدد

* * *

يا حبي الباقي وكل صبابة — أخرى تزول كأنها لاتولد

مالي أراك وحبك الحاني غدا حبا يغار من الظنون فيحقد
نيرانه اتقدت بقلبك فجأة كالجمر تحت رماده يتوقد
فتحولت فيها الحياة جهنما روحي بها يُكوى وجسميَ يُجلد
ولأن حبك في دمي تجدينني لسياط حقدك يا حبيبة (اصمد)

* * *

رفقاً بنا إنَّ الحياة قصيرة والصبر مهما طال بي قد ينفذُ

* * *

يا حبي الباقي سألتِ صراحتي وصفا يوضح حالنا ويحدد
ووعدت أن لاتغضبي إن قلتُها وإذا غضبتِ فليس عندك أزيد
نكديةٌ أصبحت. تنكش ظلفها عن مشكل ترغي لديه وتزبد
ورضاك ليس سوى استراحة غاضب - من دون ما سبب - يثور فيجهد
وأنا وأولادي وأهلي والألى مروا بنا سبب لما هو أنكد
ونظل نقرع للتودد بابه فيصدنا باب هنالك موصد
والذنب أني ما أزال لصبوتي أحيا، وتحت ظلالها أتوسد

* * *

يا حبي الباقي إذا كان الهوى ذنبي، فذنبي واقع لايجحد
أنا قلتها وأقولها إن الهوى ديني وإني للصبابة أسجد
والحسن يجذبني انجذاب فراشة للنور، وهو الزاد إذ أتزود
فدعي معاندتي بذلك. إنني يا حبي الباقي، بذلك أعند

* * *

دمشق ١٩٨٨/٥/٥

استدعاء

الرفيق محمود الزعبي رئيس الوزراء السوري، صديق قديم وشريك حياة عشناها معاً مدة طويلة، وبالرغم من ذلك فلم أستطع الحصول لا في عهده ولا في عهد من سبقه ـ على ما أعطته رخصة (بلدية بيت ياشوط) من حديد وخشب لاستكمال بناء بيتنا هناك، وبعد مرور سنتين على هذه الرخصة أرفقت إليه هذه الأبيات باستدعاء نظامي وأسلمت مصير الطلب والأبيات إلى مشيئة الله:

* * *

سيادة (رئِّس) الوزرا ... رُعيتَ ودمت معتبرا
أتيتك عارضاً خبري ... لعلك تسمع الخبرا
وتنصفني. بأمر منك ... يُسمِعُ من به أُمِرَا

* * *

بنيتُ (ببيتِ ياشوطٍ) ... بناءً فاخر الحجرا
وما يحتاجه، سقف ... يرد الثلج والمطرا
وأبـــواب تجنبنا ... فضول الناس والنظرا
وعندي فيه ترخيص ... إذا ماشئته حضرا
فهل تعطي موافقة ... لبعض السادة الوزرا؟
بإعطائي بقية ما ... به الترخيص قد أمرا
حديداً كان أم خشباً ... سواء قل أو كثرا
وإلا. صارت الشكوى ... إليك سدى وأكل (...)

* * *

دمشق ١٩٨٨/١١/٢٥

أيها الشتام

في صبيحة هذا اليوم جلست إلى مكتبي، وسرّحت الطرف فيما وراء نافذة المكتب ولا أدري لماذا تبادر إلى ذهني أن أحداً ما قد هجاني ووجدت نفسي أرد عليه فكانت هذه الأبيات:

* * *

أنا لا أملك منع (الكلب) من حق النباح
سنة الخلق، وأمر الله، يعصى كفَّ ماح
فاهجني هجوك يا نبّاح قد يبرئ ساحي

* * *

أيها الشتام قل ما شئت واهجر كل لاح
قولك الريح وأفكارك نتن المستراح
فإذا تهت غدواً أو على درب الرواح
حملت رائحة النتن إلى كُلٍّ البطاح
أثراً من خبث ما تنشره في كل ساح
وخبيث النتن لايحجبه عطر الأقاحي

* * *

أيها الشتام إن شئت أذاتي وافتضاحي
فامتدحني إن أقسى ما أعاني منك إعلان امتداحي

* * *

دمشق ١٩٨٨/١٢/١

أمي

في مطلع هذا القرن وُلدت أمي سنة ١٩٠٥ ميلادية، وتزوّجت من والدي وهو ابن عمها بعد أن كان توفي جدي لأبي وترك لوالدي وهو أكبر أبنائه إعالة العائلة الكبيرة التي تركها وراءه. وكانت أمي مضطرة للعيش في وسط هذه العائلة المزدحمة العدد منذ أول يوم من عرسها. ثم كانت الوالدة ودوداً ولوداً فرزقت باثني عشر ولداً وبنتاً، بقي منهم على قيد الحياة حتى الآن سبعة. ثلاثة من الذكور وأربعة من الإناث، وعشنا جميعاً مع من تبقى من أعمامي في بيت واحد كانت أمي فيه مسؤولة عنا جميعاً ثم أضيف إلينا أبناء عمي وهم خمسة. من الصغار توفي عنهم والدهم وتركتهم والدتهم. بنات أربع وولد واحد لكنه يعدل الأربعة شقاوة وسوء طالع. وكانت والدتي هي المسؤولة أيضاً. وبيتنا ملتقى الضيوف ولم يكن حالنا من اليسر بحيث يمكن أن تنفق كما تشاء، كما أننا لم نكن معسرين للدرجة التي تعطينا العذر في التقصير عن قرى الضيوف إذا حصل لاسمح الله. وكان والدي - وهو رجل دين تتلخص ثروته بفهمه وثقة الناس به - دائم الأسفار تلبية لدعوات المريدين ومن يتمتع هو بثقتهم إيماناً وفهماً، وكان بيتنا بفضل حكمة والدتي وحسن تدبيرها وكرمها ملاذاً للقاصد، وللعابر، وللمحتاج. وبقيت تناضل معنا ومع أهلنا ومع ضيوفنا إلى أن أقعدها المرض، ثم الموت عن عمر يناهز الثمانين وبالتحديد توفاها الله يوم الاثنين في ١٩٨٨/٩/٢٦ بمستشفى تشرين العسكري بدمشق ومنذ وفاتها وحتى صبيحة هذا اليوم لم أستطع أن أقول كلمة واحدة في رثائها إلى أن كانت هذه الأبيات دفعة واحدة. فإلى روحها الطاهرة أتقدم بهذا العرفان:

* * *

أميّةٌ علمتني الحب للكتب وعلّمتنيَ ألوانا من الأدب
وعلمتني أن الله يرزقنا من فضله وعلينا الجد بالطلب
وعلمتني أن الخلق كلهم عيال ربي، فلا تمييز بالنسب
وعلمتني أن الناس أنفعهم للناس أفضلهم. حياً وبالترب

وعلمتني.. حتى صرت خلقتها بعد الإله بلا شك ولا ريب

* * *

أمي التي عشت في أحضانها زمناً وغبت عنها طويلاً وهي لم تغب
مازال في خاطري تفصيل ما حفلت حياتها فيه من جهدٍ ومن تعب
جاءت لبيت أبي والبيت ممتلئ بمن إعالتهم شرعاً ببيت أبي
كانوا، وجئنا، وكان البيت منتجعاً للطارقين، فمن جوع ومن ثغب
ووالدي رجل كسابةٌ يده وهابةٌ، وهو من دنياه لم يخب
أسفاره في سبيل الله دائمة وخير أسفاره موصولة السبب
وربة البيت ترعانا بحكمتها وبيتنا في حماها، أمن مضطرب
تقري القرى دون شكوى ضيق ذات يد وتنزل الضيف تكريما على الرحب
كم مرة نام إخواني ونمت أنا على الحصير وأغصان من الحطب
والضيف فوق فراش يستريح له من سفرة سيرها هون إلى خبب

* * *

أمي طبيبتنا إن نالنا مرض ونذرها أبداً كشافة الكرب
وتلبس الكل أثواباً مزركشة من صنعها فيصير الكل كاللعب
وحين تغضب منا في مخالفة لما تريد. فنعمى الله في الغضب
لاتستشيط سوى إن كان واحدنا أضر بالجار من جد ومن لعب
فعندها ويله من كف ثائرة وويله من تقاريع ومن خطب
وويله وهو مجرور بلمته لكي يقدم عذراً مقنع السبب
وكي ينال من الجار الرضا. فإذا لم يصفح الجار. صار الذنب كالذنب

* * *

أمي وما ملكتني قط عاطفتي إلا إليها. ففي أحضانها أربي
أصعر الخد عند الناس كلهم وعزتي عندها في خدي الترب
حبي لها كان حادي الدرب أسلكه صعباً، وأبلغ فيه رفعة الرتب
وحبها لي كان الوحي يلهمني فعل الصواب. وينهاني عن الكذب

* * *

أمي وأكثر من ستين من عمر   عاشته. في فرح فينا وفي نصب
وأقعدتها عن السعي المجد لنا   أمراضها، إذ غدت مشلولة العصب
لكنها بقيت تعطي بنيتها   وبالدعاء، ودمع المقلة السكب

* * *

أمي ونازعني رب العباد بها   فما ربحت. وأعيت حجة الغلب
واليوم أمِّيَ صارت عند بارئها   وكاد من حزنه أن لايعيش أبي

* * *

دمشق ١٩٨٨/١٢/٢٤

موعد خُلّبي

* * *

أجبت هاتفي الملحاح ضجرانا   فساقني صوتها ينساب ألحانا
قالت أتسمح أن ألقاك في زمن   وفي مكان كما تختارُه الآنا؟

* * *

ورحت أحلم باللقيا وأغزلها   لرغبة الشوق أشكالاً وألواناً
لم يبق في خاطري حسن تصوره   لي الخيالات لم أبرزه ريانا
أقبل الجسر حيناً في مخيلتي   وأستبيح حما العذراء أحيانا
وجئت في موعد اللقيا ولي أمل   أني سأبلغ ما أرجو بلقيانا
لكنها أخلفت وعدي بلا غدر   وخلفتني مضنىً القلب ولهانا
على لساني وفي قلبي وباصرتي   قـول أردده سـراً وإعـلانـا
(يا أم عمرو) جزاك الله مغفرةً ردي علي فؤادي مثلما كانا)

* * *

دمشق في ١٩٨٩/٥/٥

قالت وقلت

* * *

قالت أحبكَّ، قلت حبك لي حب الصغير لجده الكهل

قالت معاذ الله، أنت فتى الأحلامِ في أحلامي الأول

ولسوف تبقى من وقفت له حبي وإخلاصي إلى الأزل

قلت الهوى صعب ومسلكه وعر، وإن لم تعرفي فسلي

قالت هوى أيامكم غزل عذريه يقضي على الأمل

وسوى الهوى العذري ما عرفت أيامكم، فأسكر على قبلي

وسكت إذ ملكت علي فمي وعشقته صمتي فلم أقُلِ

* * *

دمشق في ١٩٨٩/٥/٢٢

الدرس المستفاد

العماد ناجي جميل صهر مدينة حلب، ذهب إليها وتركنا هنا في دمشق، وفي حلب عاني من مرض معدته ومن مرض جيبه بسبب غلاء فندق الأمير حيث كان ينزل. وبمناسبة قدومه كانت هذه التحية:

* * *

عاد (بالأمس) فارساً مهزوماً ... حاملاً جرحه، وجرحاً قديما
حلب خيبت (عماد) الأماني ... من قديم واليوم خاب قدوما
كان فيها ضيف (الأمير) وكانت ... أجرة النوم مبلغاً مرقوماً
وعلى أثر (وجبة) من (كباب) ... (حلبي) يحرق (البلعوما)
مرضت (معدة) العماد وخانته ... وكانت قبلاً وعاء سليما
فغدا للسرير فيها نزيلا ... وغدا بالفراش فيها مقيما

* * *

هكذا حال من (يخلي) رفاقاً ... خلفه في دمشق تشكو الهموما
فالخلاص الفردي أمر عقيم ... من قديم ومايزال عقيما
وعليه فإن شعباً (تعيسا) ... لن تراه يعطيك فرداً (عظيما)

* * *

دمشق ١٩٨٩/٥/٢٢

منطق

* * *

سألته وهي الغنية لكن دون حسن، وكان زوجاً أثيرا
يا حبيبي، قل لي بربك هل مِن أجل مالي، أصبحتَ زوجاً غيورا
فأجاب المسكين، بل أنا أصبحت محباً مولهاً مسحورا
لا لأني أحببتُ فيكِ ثراءً بل لأني كرهت فيَّ الفقيرا

* * *

دمشق في ١/٦/١٩٨٩

تغريبة الجمالي

الأستاذ حافظ الجمالي يظل يفاجئنا بأنه مدعو إلى ليبيا وأنه سيلبي الدعوة، فكانت هذه الأبيات:

* * *

(الجمالي) في (ليبيا) (محبوب) وهو فيها ممن بها (مطلوب)
ويلبي، لكنه أبداً يشكو بقاء تطويله تعذيب
هو فيها (فكراً) و(لهجة نطق) ولباساً، شيء عجيب غريب
وهي منه (تغريبة) كالهلالي غير أن التشريق منها قريب
(سفرة) ما أظن فيها نقوداً إن (ممدوح) ليبيا لايثيب
وهي ليست (سعادة) فالذي في (ليبيا) كله كئيب، كئيب
وإذاً فهي عن دمشق ومن فيها ابتعاد مخطط وهروب
إنه هارب من (الدلف) في الشام لتحت (المزراب) وهو سكيب
سوف يأتي وقد تبين أنّ الشام ماء عذب وظل رطيب
وحسان تعيد للشيخ عزماً وشبابٌ مخلدٌ لايشيب

* * *

دمشق ١٩٨٩/٦/١٢

سؤال وجواب

* * *

رجل الدين في قرانا سعيد   مركز جيد وعيش رغيد
يجمع المال دون جهد وفي القرية   مال نذر وجهد جهيد
فإن لم يكن كريماً ترى المال   لديه على الدوام يزيد

* * *

ذات يوم أتى إلى الشيخ فلاح   فقير معذب مكدود
قال ياشيخ جئت أرجو جوابا   لسؤال أبدي به وأعيد
هل صحيح أن الفقير على الأرض   إذا مات. فالغنى والخلود؟
وإذا مات عن غناه غني   فهو في الفقر حكمه التأبيد
وأحس الشيخ الجليل بأن الأمر   يعنيه، وهو مالا يريد
فانبرى قائلاً سؤالك أملاه   لسان عي وعقل بليد
إن من عاش في الحياة فقيراً   مات والفقر حاله الموعود
فالحياة الدنيا نموذج للأخرى   ففيها الباكي وفيها السعيد

* * *

دمشق ١٩٨٩/٦/٢٥

أهلاً بقادمة

حفيدتي (شهد) البنت البكر لولدي هاني، ولدت في أمريكا حيث يتابع أبواها تحصيلهما في الطب، ونظراً لأنها ولدت مغتربة، كانت هذه التحية:

* * *

أهلاً بقادمة على استحياء ... طال انتظار الأهل يا حسنائي
طالت ليالينا ونحن ترقب ... لبشارةٍ في أسعد الأنباء
وأطلت البشرى فكنت صباحنا ... وغدوتِ سامرنا بكل مساء
نتبادل الأسماء هذا مثلها ... عذب، وهذا أجملُ الأسماء
ونلون الأشكال فهي تلون ... بخيالنا كتلونِ الحرباء
شقراء عيناها كعيني أهلها ... حيناً، وحيناً، بشرة السمراء
وتصيح جدتها صلاةُ محمد ... صلوا عليه سيد الشفعاء
لاتحسدوها فهي مثل حبيبتي ... (صيد) ومثل حبيبتي (سيراء)[1]
هي بنت هاني وهو أجمل من رأت ... عيناي، بعد (إياد) تحت سماء[2]
وتغيب عمتها وراء سكوتها ... فيريني الإصغاء من ميساء[3]
وأرى بعينها مدامعَ فرحةٍ ... هي في غزارتها كدمع بكاءِ
وتقول: أشواقي لرؤية وجهها ... في القلب مثلُ الجمرة الرمضاء
ما كنت أحسبُ أنني بقدومها ... سأطيرُ من فرحي بكل فضاء
(وغفار) تشعر أنها ربحت بها ... صفةً، تميزها عن النظراء[4]
كبرت بها إذ صيرتها عمَّةً ... وغفار كانت أصغر الأبناء
وغدت (تجاكِرُ) باسمها (رفوعةً) ... إن لم يجب من بعد ألف نداء[5]
(وإياد) ينعم في شعور عمومةٍ ... بعد الخؤولة، فهو في السعداء
ألوان فرحته يعبر دائماً ... عنها بنصف عبارةٍ استهزاء
لكن فرحته تظل جليَّةً ... مهما أراد لها من الإخفاء

والأهل كلهم تضج قلوبهم بـالـشـوق لـلأبـنـاءِ والآبـاء
أما أنا فالحزن يفسد فرحتي فحفيدتي ولدت مع الغرباء
ولدت وليس على سرير مهادها صخب، وألوان من الحلواء
وتكاد جدتها لأم، وهي مَن سعدت برؤية وجهها الوضاءِ
تبكي لوحدتها وغربة طفلةٍ ميلادها كموالد البؤساء
(يا شهد) لو كحلت جفونَكِ شمسُنَا في الشامِ بين الأهل والرفقاءِ
لجفلت من صخب الجموع وأذرعٍ تمتد نحوك في أحر دعاءِ
ولخبأتكِ عيونُ أهلك من أذى عين ترف عليك بالبغضاءِ
وحملت من حجم الهدايا ما به ثقل المهادُ وناء بالأعباء
(يا شهد) دار الإغتراب بغيضةٌ حتى ولو كانت مع العلماءِ
فدعي لطلاب العلوم طلابهم وتشمري للسفرة الوعثاءِ
إنا هنا، شوق إليك ولهفة وترقب قلق لعذب لقاء
وطنُ الجدود ولو تلفَّع رأسُهُ بالجهل، يبقى منبتَ العقلاءِ

* * *

دمشق في ١٩٨٩/٧/٢

---

(١) صيد وسيراء بنات ابنتي ميساء.

(٢) إياد ولدي البكر والأخ الأكبر لهاني.

(٣) ميساء ابنتي الكبرى من البنات.

(٤) غفار ابنتي الصغرى.

(٥) رفوعة هو حفيدي الصغير من ابنتي ميساء.

ـ أفراح تموز ـ

في الثامن عشر من تموز ولدت ميساء، وفي الثامن عشر من تموز تزوج ولدي إياد، ولم يختر يوم زفافه صدفة، بل كان اختياراً واعياً أراد به تكريس الاشتراك بالأفراح بينه وبين أخته مهما باعدت بينهما الأيام، وفي الثامن عشر من تموز ١٩٨٩ كانت هذه التهنئة لكليهما.

* * *

تموز رمز الخصب للإنسان ... وإلـهُـهُ في غابر الأزمان
أعطى لكل الناس من آلائه ... وبخير ألاء العطاء حباني
(ميساء) أولى فاتنات عرائسي ... وأرقُّ من غزلٍ بسحر بياني
جاءت كما صورتها لعواطفي ... وكما تمنَّتْها رؤى أجفاني
غنيتها نبض الفؤاد وصنتها ... في أضلعي الحرى، وفي وجداني.
ووهبتها الكفء الجديرَ فأنبتا ... أحلى البنات، وأمتع الصبيان
(صيد) وذوب حنانها وعنادُها ... يتعادلان بكفتي ميزان
وصغيرتي (سيراء) كل مزيةٍ ... فيها تميزها عن الأقران
وحفيدي المسكونُ فيض طفولةٍ ... ملكت طفولتُهُ عليَّ كياني
هو في شجاعته وشدة بأسه ... (مضرٌ)، وميساءُ بباقي الشانِ
أولاء من وهبوا النضوج لطفلتي ... بأمومةٍ حُبٌّ، وفيض حنانِ

* * *

أما (أياد) فبكر حاليةِ المنى ... وذخيرتي لتقلُّب الحدثانِ
عاش الحياة، وأختُهُ من حوله ... كالظل، في الأفراح والأحزان
كانا معاً متميزين فعلَّما ... (غفورةً) معنى الإخاء، و(هاني)
وبمقتضى سُنَنِ الوجودِ تفرَّقا ... كل إلى مهوى الفؤاد الثاني
فإذا به يختارُ يوم زفافه ... ميلادَهَا، فزفافه عيدانِ

وخيارُهُ أبقى على قلبيهما قلبين متحدين في الخفقانِ
وأنا وأمهما نعيش سعادةً بهما، وبالأخوين والأقرانِ

* * *

يا أيها الطفلان كيف كبرتما من خلف ظهرينا بلا استئذانِ
فلتكبرا ماشئتما فلأنتما في ناظرينا، أنتما طفلانِ
نشتاق ضمكما إلى أحضاننا فتضيق منا فسحةُ الأحضانِ
ونذوب من شوق لنطبع قبلةً نزجي بها لكما أحر تهاني

* * *

دمشق ١٨/٧/١٩٨٩

- تحذير -

منذ عشرة أيام تقريباً، وعدني الرفيق أحمد دياب وزير الإدارة المحلية أن (يزفِّتَ) لي طريقاً في قريتنا لايزيد طولها عن كيلو متر واحد. وتقدمت إليه بالطلب اللازم وأبلغني مكتبه أن طلبي قد فقد، فجددته مرفقاً بهذه الأبيات. ومع ذلك فإن التحذير لم يأت بنتيجة.

* * *

يا أبا عمار، قلنا مرحبا — زلمك اليوم أضاعوا الطلبا
إن يكن ضاع. فهذا طلبٌ — فيه من تبجيلكم ما وجبا
قد وعدتم فاحذروا أن تكذبوا — إننا لانستسيغ الكذبا
نطلب الزفت فلا تستكثروا — قَلَّ حتى زُفتكم واعجبا!!!

* * *

دمشق في ١٨/١٠/١٩٨٩

الشعر المنثور

موجة الشعر المنثور كادت أن تغرق الساحة الأدبية فترة من الزمن وما تزال حتى الآن سيدة الساحة، وتسأل لماذا؟ فيقولون لك، هذا هو التطوير، وهذه هي الحداثة، وإذا كابرت، قالوا لك، الشعر الموزون أصبح أداة تزلف الحاكمين:

* * *

قولوا لبعضكم أيها الشعرا ... الشعر إن كان منثوراً فأكل (...)
تجددون المعاني، ذاك واجبكم ... وتبدعون الخيال الحر والصورا
أما القوافي، وأما ما تحدده ... أوزانها، فالتزام يشبه القدرا
كالنحو والصرف والإعراب في لغة ... إعجازها أنها جاءت كما أثرا
فهل يصح إذا قالوا نطورها ... أن نوقع (الرفع) فيما جاء (منكسرا)
أو أن نحول ما جاءت به جملا ... لأحرف مبتداها لايرى الخبرا
أو ان (نترغل) (بالروسي) إن كتبوا ... منها (بأحرفنا) ما قل أو كثرا
أم أنكم جئتم تبغون شهرته ... ذاك الذي (كسر المزراب) فاشتهرا

* * *

يا سادتي، إن تكونوا قد أصابكم ... من (البحور) دوار فاتركوا السفرا
أو ربما ضقتم ذرعاً بمن نظموا ... على البحور (مدبحاً) طال أو قصرا
في هذه، أنا منكم، إنهم نفر ... من (راقصين على الأمواج) قد فجرا
يرتبون القوافي كيفما اتفقت ... ويشترون بها الزلفى إلى (الأمرا)
قد لايفيدون شيئاً من تزلفهم ... لكنه الطبع غلّابٌ إذا أمرا

* * *

يا سادتي هل نجيز الكفر حين نرى ... أن الذي اعتنق الإسلام قد كفرا
أو هل نجيز لجيش في معاركه ... أن لايقاتل إن كان العدو (ورا)

فلنتفق أن نقول الشعر قافية كالسيف، إن نحن صنا حده بترا
نقاوم الظلم فيه، فهو أغنية للثائرين، وإعصار إذا هدرا
وفي رحاب القوافي نستضيفهم حكامنا، ثم منهم نبلغ الوطرا

* * *

دمشق ١٩/١٠/١٩٨٩

سيدي جئت لاجئاً مستجيرا

أخطأ أحد جيراننا في القرية مع الوالد خطأ غير مقصود وتوسطت ليقبل اعتذاره، ولكن الوالد رحمه الله رفض وساطتي. وبدت لي منه جفوه فاسترضيته بهذه الأبيات:

* * *

سيدي جئتُ لاجئاً مستجيرا ... أنا أشكو إليكَ منك كثيرا
كنتَ أقسى مما عرفتُكَ عمري ... ولهذا كان الشعور مريرا
حيرتني مواقف منك صارت ... ما تخيلتُ مطلقاً أن تصيرا
أنا يا سيدي عرفتك دوماً ... والداً مشفقاً رحيماً غفورا
كنت توصي بالأهل والجار خيراً ... وتحب الفقيرَ والميسورا
تقبل العذر أو تصوغ لنا العذر ... وكنت المسامح المشكورا
سيدي لم يجل بذهني يوماً ... أن أكون الملام والمنكورا
رغم أني لم أدخر أي وسع ... لتكون المعزز المسرورا
ليس ذنباً أني رجوت قبولاً ... لصديق، لديك كان أثيرا
وكما قلتَ، ظل عشرين عاماً ... ما شكوتم من أمره تقصيرا
كان في البيت خادماً وأميناً ... ومطيعاً وسامعاً وصبورا
ثم أمسى وكل فرد لديه ... لإبنك البكر داعياً ونصيرا
ولنسلِّم بأنه جاء إثماً ... أي إثم لايقبل التكفيرا؟
أفلا أستطيع عندك شيئاً ... وأنا لستُ هيناً أو صغيرا
أنا يا سيدي أتيت شفيعاً ... فرفضتم، ولم أجد تبريرا
فتألمت ألف ضعف لأني ... ما تعودت عدلكم أن يجورا
ربما كنت مخطئاً فاعذروني ... سيدي كدت حانقاً أن أثورا
أنا يا سيدي ابنك البكر والبر ... بكم دائماً، ولست الوزيرا[1]

أي عيب في أنني بدعاكم ورضاكم كنت الوزير القديرا
أنا يا سيدي أتيت إليكم شاكياً منكم وحسبي نصيرا

* * *

دمشق ١٩٨٩/١١/٤

---

(١) - في عتابه الشعري لي أشار إلى أنني أعتد بنفسي لأنني كنت وزيراً.

أنا يا بنت

* * *

أنتِ وعدٌ مجنحٌ بانتظاري خبأته مواطن الأسرار
طار قبلي إليه شوق فؤادي بعد أن ملَّ خشيتي وانتظاري
والتقينا فكنتِ بغية عمري وهنائي، وفرحتي، ومزاري

* * *

أنا يا بنتُ في أتونِ اشتياقي ولقاآتنا تزيد استعاري
فاعذريني إذا طوبت على الخصر ذراعي، كطيّة الزنارِ
ورشفت الرحيق من فمك العذب لعل الرحيق يطفيء ناري
لِمّتي في بياض ثلج الروابي ورغابي كعاصفاتِ البراري
بلغ العمرُ بي عتياً، وحبي لك خلّى الشباب ملء إزاري
لا تقولي إذا نظرتِ لشيبي إنني عاجز عن الإبحار
أنا لولا خوف المعاصي وأني لم يفك الحياء قيد أساري
كنت رويت أرضك الخصب حباً وأغرت الربيع من أزهاري

* * *

دمشق ١٩٨٩/١٢/١٢

ابو علي مخلوف

الصديق العزيز (أحمد علي مخلوف) أبو علي، من قرية (دير ماما) منطقة مصياف محافظة حماة. شاعر مجيد، ومحدث ذكي، وجليس أنيس كان موظفاً بالمراكز الثقافية بحماة ودمشق، وهو اليوم متقاعد، وقد أصرّ على تنظيم مكتبتي الخاصة.

وفي صبيحة هذا اليوم وجدت على مكتبي ورقة صغيرة مرفقة بسجلات المكتبة، يقول فيها إنه يقدم هذه السجلات هدية منه إليّ بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين.

فكانت هذه الأبيات:

(أبا علي) ولو لم تُكنَ بـ (القالي) غمرتَ مكتبتي بالفضل يا (غالي)
لولاك ظلّت بحالٍ مثل حالتنا (فوضى) وتعبثُ فيها كف (جهّالِ)

* * *

وقلت إنَّكَ قد أهديتَ مافعلَت يداك لي، عملاً يُهدى لأمثالي
ذكرى لـ (ميلادك) المحفور من زمن في (دير ماما) على أخشاب (عرزال)
لم يبق منه ومن (لبّاده) أثر صارت بقاياه (أطلالاً) لأطلالِ
طالت حياتك حتى تاه موضعها بـ (الصرف) مابين (إدغام وإعلال)
وجئت تذكر هذا اليوم (حادثة) لم يبقها أحدٌ إلّاكَ في (البالِ)
بقيّةُ (الربع) إن تكمله تشهده (قرناً) وتشهد فيه شر أهوالِ
فأهناً بـ (قرنك) إلا الربعَ لي أملٌ أن تكمل (القرن) في يمن وإقبالِ

* * *

(أبا علي) أتاني قبل مولدكم (ميلاد) عيسى فزادت فيه (أثقالي)
ويوم (ميلادكم) جاءت (هديتكم) تنوء في حملها أكتاف (عتالِ)
وليس عندي لكم ما قد يليق بكم إلا (القوافي) وإلا بعض (أزجالِ)
وهذه مثل مَن يأتي بقربتهِ يبيعُ ماء لـ (سقاء) بمكيالِ

وليس عندي (مدح) كي أجيء به
إليك، فالمدح تسمو عنه أقوالي

يبقى (الدعاء) فهلاً أنت منتظرٌ
إذا دعوتُ، سوى شر من الحالِ

إن قلتُ (عافاكَ) ربي فهو مضيعةٌ
لوقت (ربي) في ترداد تسآلي

لو (يخلق) الله شخصاً مثل (حضرتكم)
خلقاً، لأهون من (ترقيع) أوصالِ

إذن فلم يبق إلا (الهجو) إن له
عندي مقاماً، بأعلى السلم العالي

أجِلُّهُ عنك، إن (الهجو) عدتنا
ضد (الطغاة) وضد الظالم القالي

وأنت تعجزُ عن ظلم فتنكره
وتستريح إلى (هجوي) لـ (أرزال)

إن (عاقبوني) عليه كنتَ مختبئاً
وإن (نجوتُ) فقد سرَّتكَ أفعالي

* * *

دمشق ١٩٩٠/١/١٥

إلى صابرة

إلى سعاد تلميذتي على مقاعد الدرس، وحبيبتي في كل مكان، ورفيقة حياتي في رحلة الدرب الطويل، إليها بعد مضي ثلاثين عاماً من عمر حياتنا المشتركة. أهدي هذه الأبيات.

* * *

صبرت عليَّ أعواماً طوالا ... وعشتِ معي الحياة، ولو جدالا
وكنتُ أظن أنكِ في احتمالي ... ضربتِ لصبر أيوبِ مثالاً
ولكني رأيتُ الشعب أقوى ... على حكامه منكِ احتمالا

* * *

ثلاثون من الأعوام مرت ... عليكِ معي، فهل كانت ثقالا؟
صحيح أنني أهملتُ حيناً ... ولم أشبع أنوثتك الدلالا
وحيناً كنت ملحاحاً لجوجاً ... أسوق بكل ثانيةٍ سؤالا
حملتِ عناءَ أولادي وأهلي ... وكنتِ ملاذنا عطفاً ومالا
ولم أبخل، ولكن اهتمامي ... بما أنا فيه أرقني انشغالا
وكنتِ لي السراج ينير دربي ... إذا اشتد الدجى، زاد اشتعالا
دفعت بهمتي صوب المعالي ... وسهلت الوعورة والجبالا
وذقتِ معي مرارة كل عيشٍ ... وخضت معي المواقف والنضالا
وكنت على المصاعب لي معيناً ... وكنت معي قعوداً وارتحالا

* * *

ثلاثون من الأعوام مرت ... كما نفرت من خوفٍ غزالا
تمر على مخيلتي تباعاً ... كما لو أنها ليست خيالا
أراكِ وأنت إصغاءٌ وديعٌ ... لما ألقيه في الدرس ارتجالا

وكل رفاق صفك لا أبالي — بغيرك حيث أُلقيت الرحالا
أراك وأنت أمنيتي وحبي — وواحاتي التي نديت ظلالا
أراكِ وأنتِ أم للغوالي — وأنت أنيس وحدتي اعتزالا
أراك وأنت غاضبة علينا — تعض على أناملها انفعالا
تغار فتستحيل إلى أتون — يحيل حياتنا قيلاً وقالا
أسوق إلى رضاها صدق عذري — وأحياناً أجيء به انتحالا
أراك بحالتيك رضاً وصداً — وتبقين الحبيبة لاجدالا
فهل أنا ما أزال فتى الأماني — كما أرجو أم أن الحال حالا
وفي الحالين سوف يظل شوقي — إلى عينيك يسعدني مآلا

* * *

دمشق ٦/٣/١٩٩٠

إلى رفيق العمر

في ١٩٩٠/٢/٥ وجهت إلى الرفيق عبد الله الأحمد رسالة شعرية تحت عنوان (الإزدواجية)، وقد ناقشت فيها مقاله الموجه إلى (شاوشيسكو) بصيغة رسالة، ويبدو أن مضمون رسالتي الشعرية قد أزعجه فأرسل يعاتبني عن طريق الصديق المشترك (عبد الكريم موال) واعتذاراً مني إليه أرسلت هذه الأبيات:

* * *

عرفت (أبا علي) غير قال ... ولا متذمراً من سوء حال
ويصبر للشقاء وللرزايا ... كصبر العيس فوق لظى الرمال
تحمل كل (موالٍ) طويل ... ترتله بمسمعه الليالي
وظل على محبته (الأغاني) ... كمثل أبي علي إبن قالِ
ولكني سمعت اليوم عنه ... كلاماً خلته نسجَ الخيال
(يفبرك) ناقلوه عنه قولاً ... بحقي من حرامٍ أو حلال
يعبر عن تبرمه بشعري ... وقافيتي التي خطرت ببالي
وينسى أنني رجل مزوح ... يداعب من أُحبُّهم خيالي
ولايتعمد الإيذاء مزحي ... وإن آذى فعذراً عن مقالي
رفيقَ العمر كان أبو علي ... وسوف يظل رغم الإنفعالِ
ويشهد لي بذا (عبد كريم) ... (وموال) تسجله الأمالي
فإن أرضيته فرضاه أرجو ... وإلا فهو حرف في اعتقالي

* * *

دمشق ١٩٩٠/٣/٢٧

حلم العودة

منذ مايقرب من عامين، سافر ولدي (هاني) مع زوجه (عروب) إلى أمريكا للتخصص في الطب، وهناك رزقا بطفلة أسميناها (شهد). وقد أعلماني أنهما قادمان مع الطفلة إلى دمشق في إجازة وسوف تصل العائلة الجديدة يوم السبت الواقع في ٢٢/٤/١٩٩٠. فلهم أقدم هذه التحية:

* * *

حلم ملء يقظتي ومنامي — علقته فأورقت أيامي
حلم العودة الذي عشت فيه — وعليه عامين بل ألفَ عامِ
غاب فيها (هاني) عن العين لكن — لم يغب طيفه عن الأحلام
وتصورت أنني أتعزى — بأخيه وهو الحمى والمحامي
وبأختيه قرتي عين قلبي — وبباقي الأخوال والأعمام
وبصهر كالابن حباً وعطفاً — وبأحفادنا شذى الأكمام
غير أني اكتشفت صدق مقالٍ — قاله سابقاً أبو تمام
لايسد اختلال فقدان عضو — أيّ عضو سواه في الأجسام

* * *

يا حبيبي: عامان لم يمضِ يوم — لم تكن فيه موضعاً لكلام
كنت ذكرى في كل ليلة أنسٍ — تجمع الشملَ تحت جنح الظلام
يوم كنتم والبيت سامرُ حي — والحكايا صناعة النمام
تتبارون في اكتشاف الخفايا — من حلالٍ في الخلق أو من حرام
وتكون الأخبار عندك دوماً — مثلما في وزارة الإعلام
ولذكراك كل يوم حديث — بيننا وفق موجبات المقام
مرةً كيف كنتَ مدمنَ درسٍ — ضاع بين الأوراق والأقلام
ومراراً كيف استطاعت (عروبٌ) — أن ترى فيك فضلة لغرامِ

* * *

وتنادي (ميساء) شوقي إليه صار مني حتى بنقي عظامي
غير أني أغار من حب أمي وأبي، للمهاجرين الكرام
فاتركاني أحبهم واتركا لي أمرهم، وارقصا على أنغامي

* * *

ثم كانت (شهد) فكانت لدينا سبباً في تزايد الاهتمام
معها نسهر الليالي ونقضي أجمل الوقت، وهي بين النيام
وإذا جاءنا البريد ببعضٍ من تصاويرها فعين المرام
نتبارى بكشف كل المزايا ونعد الصفات بالأرقام
وغداً عندما تجيء إلينا ونراها فعلاً بلا أوهام
ستراها عين المحبين منا بجمالٍ يفوق بدر التمام

* * *

منذ عامين نحن نحيا رجاءً أن نرى شمل بيتنا في التآمِ
ومع العيد جئتم خيرَ بشرى وعطاءً من فضل شهر الصيام

* * *

دمشق ١٥/٤/١٩٩٠

الزهو غير المبرَّر

الصديق الشاعر أحمد علي مخلوف من قرية دير ماما منطقة مصياف، يزورني ويغلبني في طاولة الزهر، بعد أن يُشْبِعَ الزهر شتماً كلما جاءه بما لايريد ثم يتفاخر علي بجده (محمد علي) الذي كان أيام العثمانيين مختاراً لمزرعة تابعة لقرية وادي العيون اسمها (قويقيف) ونظراً لأن ذلك المختار كان أمياً فقد قلد خاتم السلطان عبد الحميد، وضرب باسمه خاتماً كتب عليه الآتي «بدر علي، شمس جلي، محمد علي، عز نصره، ضرب في قويقيف المحروسة» وعندما سمع الباب العالي بهذا الختم ظن السلطان أن هناك تمرداً عليه فجهز حملة عسكرية لتأديب المتمرد، وأحرق قويقيف ووادي العيون أيضاً. فيا للفخر بهذا الجد العظيم!!! وتعبيراً عن هذه الحالة كانت هذه الأبيات:

* * *

في النرد تغلبني بلا تعب — وتبذني في قلَّةِ الأدب
وبغير ذلك لن تكون سوى — متخلف كتخلف الذنب
الزهر والسفه اللذان هما — سبب الشعور لديك بالغلب
ليسا لزهو تفوقٍ سبباً — فابحث لزهو فيكَ عن سبب
وأظن أنك لست واجده — إلا إذا استنجدت بالنسبِ

* * *

دمشق ٢/٦/١٩٩٠

عذر في محله

قُبض على أحد مدعي التدين في المسجد وهو يراود أحد الفتيان عن نفسه فجيء به إلى الشيخ الذي خاطبه بقوله: إن عملك هذا قلة دين وقلة أخلاق وقلة حشمة.. و... فقاطعه الرجل قائلاً كلا يا سيدي لستُ أشكو قلة في شيء مما ذكرت. وإنما أشكو قلة الأماكن:

* * *

يصلي على إيقاع عزف المآذن	وفي عقله المخفي أخلاقُ ماجن
ينام ببيت الله، فهو مشرد	بلا مسكن يأوي إليه كساكن
ويأتي فتى أحلامه متبختراً	يصلي ويغريه بكل المفاتن
يثير لديه كل نزوة فاجرٍ	فينسيه أن الوضع ليس بآمن
وحين يراه شيخه متلبساً	بمحرابه. يصليه لعنة لاعن
وينعي عليه قلة الدين والحجا	وقلة أخلاق الدعي المداهن
فيندفع المسكين في بسط عذره	سماحة عفو الشيخ أفضل ضامن
يقول: معاذ الله، لم أشك قلّة	بدين، ولم أهجر نداء المآذن
ولكنني أشكو إليكم صبابتي	وأشكو إليكم قلة في الأماكن

* * *

دمشق ١٩٩٠/٦/١٧

حَلٌّ معقول

* * *

متطفل، متحذلق، متشرد كسلان، يمشي الرزق فيه فيقعد
قادته خطوته لصالةِ مطعمٍ طاب الطعام به وطاب المورد
وكما يُطل ذوو الوجاهة والغنى فيرحبون بهم، أطل السيد
مدوا له أشهى الموائد عندهم وتزلفوا لزبونهم وتوددوا
حتى إذا ذبلت جفون عيونه من تخمةٍ، واشتاق لو يتمدد
جاؤوا إليه بقهوة عربية سوداء ـ لولا الهيل ـ كيف الإثمد
وأطال عندهم المكوث ولم يقل قولاً يُذَمُّ ولا كلاما يُحمَدُ
فأتى إليه نادل برقيعة فيها حساب الأكل وهو مفند
فأجال فيها الطرفَ ثم تململت كرسيه فيه، وحار المقعد
هو مفلسٌ ما عنده من أمسه شيء، ولا وعد يجيء به الغد
وأمامه عضلات أضخم نادل كف كمطرقة، وأخرى مسند
جمع الشجاعة عنده في لحظة وافتر ثغر الخبث، وهو يردد
ماذا ستفعل إن أتاكم مفلس أكل الطعام، ومالَهُ ما ينقد
فأجابه (الكرسون) نصفع خده كفين، تبرق بالمنون وترعد
فأدار خديه وقال له احتسب إني على عجل، فغيرَك أقصد

* * *

دمشق ١٩٩٠/٦/٢٣

الشجاع

* * *

طرق الباب بكف الغضب   فأخاف الشيخ منهم والصبي
قال: إن لم تفتحوا لي بابكم   سأسوي مثلما سوى أبي
فإذا الباب على مصراعه   (درفةٌ) تبدو وأخرى تختبي
وأهالي البيت في استقباله   وهو من بيتهم في رحبِ
هدأت غضبته، فاستوضحوا   منه، لكن بمزيد الأدب
والدُ الأستاذ. ماذا فعلت؟   كفه، في باب من لم يجب
قالَ وولى هارباً من خوفه   مأمَنُ الخائف دربُ الهرب

* * *

دمشق ١٩٩٠/٦/٢٤

هاني وشهد

في مثل هذا اليوم من العام المنصرم ولدت حفيدتي (شهد) في أمريكا حيث يتابع والدها هاني وعروب دراستهما العالية في الطب، وحفيدتي تحمل الجنسية الأمريكية بحكم قانونهم هناك.

ونحتفل اليوم مع والدتها بعيد ميلادها الأول، ووالدها بعيد عنا وعنها فهل يستحق العلم كل هذه التضحية الإنسانية؟

* * *

عاد هاني إليَّ طفلاً بشهد ... بعد أن صار قده مثل قدي
طفلة مثله ذكاءً وأنساً ... وعناداً ونزعة للتحدي
وردة نضرت خريف حياتي ... وسقته بألف طيب وند
وأبوها كان الربيع لعمري ... وهو لمَّا يزل حديقة وردي

* * *

ولدت شهد في مكان بعيد ... أتراها تظل تحيا ببعد
أم تراها تحنو علينا فتبقى ... لتغني الجدة والجد
أجبرتني على محبة أرضٍ ... هي لولا شهد محل لحقدي
أمريكا لشهد مسقط رأسٍ ... وهي أرض لنصرة الظلم عندي

* * *

يا ابنتي لست منهم، أنت مني ... أنت من مغربي وشامي ونجدي
(إن جنسيَّة) أحاطوك فيها ... عندهم، لن تزيد حجمَ التعدِّي
قد أحاطوا بلادنا (بالرزايا) ... كل رزء منها، يميتُ ويُردي
فإذا (قيدوكِ) إسماً ورقماً ... (بسجلٍّ) يزدانُ فيك كعقد
لن تكوني (تيريز) أو (كاترينا) ... ستظلين يا حبيبة (هندي)

* * *

(يا ابنتي) عامك الذي راح. عامٌ كان بشرى بكل خيرٍ وسعدِ
كان بشرى بالخير، لو أنَّ بشرى بالخلاص الفرديِّ، تكفي وتجدي
إنَّ بشرى الخلاص للفرد حلٌّ غير كافٍ، فحالة البؤس تعدي
وشقاء (البلاد) بؤس عميمٌ وأنا منكِ بالمسرَّة وحدي

* * *

يا ابنتي عندنا (لميساء) حقلٌ من ورود نعيد فيه ونبدي
(صيدُ) بكرُ الهوى، وأغلى الأماني ورؤى هدأتي، بنومي، وسهدي
وعزائي عن كل آلامِ عمري (سيرائي)، نعماي، جنَّة خلدي
والذي لخَّصَ الوجودَ بقلبي رفعتْ المجد، من أُعِدُّ لمجدِ
وصغيري (زين العُلا) تعتريني حالة الوجد، حين يرتاح خدِّي
هم عيونٌ لنا نرى النورَ فيها حيثُ نُهدَى إلى السِّراط ونُهدي
غير أني أُحسُّ وجداً جديداً كُلُّ حُبٍّ له تلاوينُ وَجدِ
أنتِ أكملتِ كلَّ نقصٍ لدينا يوم أقبلتِ، كالوفاء لعهد
بيتنا أزدان في (خؤولة) (صيد) وهو يزدانُ في (عمومةِ) (شهد)

* * *

دمشق ١٩٩٠/٧/١

فرحة الصيف

* * *

ما الذي يفعلُهُ الصيفُ بنا	إنه رغمَ الأسى يفرحنا
إن كرهنا لفحة الشمس به	نعشق الغصن الذي ظللنا
وإذا ضاق علينا سكن	رحبت أرضُ بلادي سكنا
جوعُنا الصيفيُّ، لايقلقنا	كرمُ البيدرِ يكفي جوعنا
وليالي الأنسِ في الصيف على	نغمةِ (النّاي) وصوت (الميجنا)
تطربُ المحزونَ حتى أننا	لانرى في أي أمرٍ حزَنَا
فلماذا نحن في الصيف نرى	حسناً ما ليس أصلاً حسناً؟

* * *

نحن والصيف ومن عهد الصِّبا	بيننا من إلفة ما بيننا
نكره الدرس ونسعى جهدنا	ليمر العام عاماً هينا
ويجيء الصيف في عطلته	ومع العطلة ننسى درسنا
فرحة الصيف ويبدو أنّنا	قد كبرنا واستمرت معنا

* * *

دمشق ١٩٩٠/٧/٤

أحمد الجندي

اليوم أذيع نبأ وفاة الشاعر (أحمد الجندي) عن عمر يناهز الثمانين عاماً، قضاها بالتأدب والتأديب، والظَّرف، ورحل قبل أن يكتمل مشروعه الأدبي، بنظم حياة شعراء العربية شعراً. ذلك المشروع الذي لم ينجز منه على ما أعلم سوى حلقة واحدة هي (تاريخ المتنبي)، وبالرغم من سطحية معرفتي به، فقد أوحى إليَّ (رحمه الله) بهذه الأبيات:

* * *

عاش ملء العين ملء الأذن ... وتولّى، وهو ملء الكفنِ
عاش والفقرُ على عتبتهِ ... عيشةً يشتاقها كُلُّ غني
أدبٌ جَمٌّ، وظرفٌ نادرٌ ... أنكرته روحُ هذا الزمنِ
يعشقُ الحسن فإن أعوزهُ ... ألبسَ القبحَ ثيابَ الحسنِ
شاعرٌ أغنى شياطينَ الرؤى ... بخيالٍ كخيالِ المدمِنِ
لقبُ (الجندي) ماغَيَّرَهُ ... فهو مسكون بروحِ (المدني)
هو (جندي) ولكن دمِثٌ ... ومُحِبٌّ لأهالي الوطن

* * *

عمره كان اجتهاداً مضنياً ... وعطاء ماله من مَننِ
هو في الشعر وفي النثر وفي ... كُتُبِ التاريخ، جهدٌ لايني
كثرت أمراضه لكنَّه ... ظلَّ عن أهدافه لاينثني
في (الثمانين) وفيه همةٌ ... دونها همةُ ساعٍ (أرمني)
طال فيه العمرُ إلاّ أنَّهُ ... ظل محتاجاً ليحيا (كام سني)
علَّهُ ينجز من مشروعه ... بعضهُ، قبلَ ارتيادِ المدفَنِ
عظماء (الضَّاد) ينوي بعثَهُم ... ببيوت الشعر لا في المسكن
بادئاً (بالمتنبي) إنَّهُ ... ملء سمع الدهر ملء الأعينُ
(والقوافي) سوف تستحضرهم ... في سياقٍ محكمٍ متَّزنِ

غير أن الموتَ قد عاجلهُ إنّـهُ الموتُ، عـدو الـفـطـن

* * *

أيـهـا الموتُ الـذي عـاجـلـهُ في الـثـمـانـينَ، بداء موهـنِ
ينسبُ العمرُ إلي مطمحه لا إلى الأعوام والعيش الهني

* * *

أيـهـا (الجنـدي) يـا رائـدنـا لـلـمـجـاهـيـل بـعـقـل المؤمـن
قل (لربِّ البيـتِ) أنّا أمةٌ مزَّقتـهـا الـيـوم كفُّ الـفِـتَنِ
وتـولّـى الأمـرَ فـيـهـا نَـفَـرٌ مـلـكـوا الأمـر بـغـصـبٍ بيِّنِ
صيَّروا الشعب شعوباً وبنوا (دولاً) تـنـفُـخُ ريحَ الـنـتنِ
(دِمَنٌ) مِن (فَضَلاتٍ) جُمِّعَت وهي لاتملِكُ نفعَ (الدِّمَنِ)
قل لَهُ، إنَّ (اليهودَ) اغتصبوا أرضنا، فهي حمى المستوطِنِ
أخذوا كلَّ (فلسطين)، لَهُم وهم يمشونَ نحو (الأردن)
(وحـسـينٌ) حـامـلٌ أثـقـالَـهُ ينشِدُ التغريبَ نحو (الحَسَنِ)
(والبقايا) حائطٌ المبكى لَهم مأمنٌ، ما بعَدَهُ مِن مأمَنِ
قل له: يا ربُّ هل أنتَ الذي قطع الوعد الذي شرَّدني؟
فإذا كـنـتَ الـذي سوَّيتَـهـا فـأنـا أرفُـضُ أن تـقـبـلـنـي

* * *

دمشق ١٩٩٠/٧/٤

ميلادك اليوم

رفعت مضر الأسد، حفيدي الأول من البنين، يمر اليوم على مولده عامان، وأحتفل بالذكرى وهو في اللاذقية مع أبيه وأمه وأختيه (صيد وسيراء) ومع خاله إياد وخالته غفار، وفي دمشق يشاركني الاحتفال جدته وزوجة خاله الثاني (عروب) وحفيداي الباقيان عندي، (زين مضر الأسد) وهو على أبواب عامه الثاني (وشهد هاني حيدر) وهي في مدخل عامها الثاني أيضاً وفي هذه الذكرى كانت هذه الأبيات:

* * *

ميلادك اليوم أحياه على الأمل ... أني غداً سوف أدمي الخد بالقبل
غداً تعود إلينا بعد مرتحل ... (للاذقية) عشنا فيه بالملل
غياب (رفوعة) خلى مرابعنا ... قفراً برغم وجد (الشهد) و(العسل)
(شهد) (وزنزون) ظلا أنس سامرنا ... في هدأة الليل حيث السهد بالمقل
لكنّ (رفوعةً) دنيا بكاملها ... نعيش في رحبها عمراً بلا (زعل)
طفلٌ شقاوتُهُ تغري نباهتَهُ ... فتستجيبُ بألوانٍ من الحيلِ
يغارُ من (صيد) أو (تأتي) فيقنعنا ... بأنَّ مافعلاه غير محتملِ
وإن أحبَّهما جادت قريحتُهُ ... في حُبِّ (أختيه) بالأحلى من الغزلِ
هو الشراسةُ إن يغضب لمسألةٍ ... وإن يَرِقَّ ففيه رقّةُ (الحَمَلِ)
ممثلٌ بارعٌ يبدو إذا صَرَخَت ... (ماما) به، كالذي يغضي مِنَ الخجلِ
وحين تغفلُ عنه بضعَ ثانيةٍ ... يروغ بين ثنايا البيتِ (كالدَّحلِ)
(فازاتُ جدَّتِهِ) خصمٌ بملعبه ... تعيقه، إذ يؤدي وثبةَ (البطلِ)
وحين تُلقي عليه القبضَ محتضناً ... (فازاً)، وتنهره في زحمة العملِ
يقولُ، هذا (لجدّي) ثم يحمله ... جرياً، ليُقنعَها أن (الهديَّةَ) لي

* * *

عامانِ (يا رفعت) الغالي وأنتَ لنا ... كالظلِّ للعشب، أو كالماء للأسلِ
زاحمتَ في القلبِ أختيكَ اللتين هما ... في القلب حُبٌّ، مقيمٌ غير مرتَحِلِ

وجئت تُكمِلُ مالم يكتمل بهما ... لوالديكَ من الأحلامِ والأملِ
عوضتَ (خالَكَ) عن حاني أُبوَّتِهِ ... إن الخؤولة ترضي لهفة الرجُلِ
رَفعتَ بينكما التكليف من زَمنٍ ... وجئتَ تدعو (إياداً) للسُرى العجِلِ
تقول، قُمْ يا (إيادٌ) نحنُ في عجلٍ ... من أمرنا، فلماذا أنتَ في مَهَلِ؟
كلتا يديكَ تناديه فإن ثَقُلت ... خطاهُ، جرجرتهُ في قيد معتقل
وكلُّنا بين مأخوذٍ بمَا فعلَت ... يداكَ (يا رفعت) الغالي. ومبتهلِ

* * *

يا قرة العين، هذا الشهر تملؤهُ ... أفراح أهلِكَ في سهلٍ وفي جبل
فيه (لميساءَ) ميلادٌ سكرتُ به ... وما أزال له في نشوة الثملِ
وفيه أحيا (إيادٌ) ليلَ فرحته ... عرساً، إذا لم تكن شاهدتَهُ فسلِ
وفيه أصبح (هاني) والداً وغدت ... (غفورةٌ) عمَّةً، يا فرحَةَ الأزلِ
لكن أمتع أفراحي وأبهجها ... بشرى قدومكَ، بعد الخوف والوجَلِ
خوفي على (أمِّكَ) الولهى إلى ولدٍ ... بعد ابنتين اجتنابَ اللوم والعذلِ
وخشيتي أنَّ أهل (الشرق) مابرحوا ... يرون (ظبيتهم) أدنى من (الوعل)
وحينَ أقبلتَ طار العقلُ مِن فَرَحي ... ورانَ صمتٌ على قولي فلم أقُلِ
عامان (يا ولدي) مرَّا على عمري ... أعدتَ فيها شبابي بعد مكتهلي
أعطيتَ عمري معنىً كادَ يهجُرهُ ... فأنتَ ألبستَ عمري أبهجَ الحللِ
أراكَ ما بين (أحفادي) كبدر دجىً ... بين النجوم، فآفاقي بلا (زُحَلِ)
زغبٌ يحيطون بي من كل ناحيةٍ ... وأنتَ مابين زغبِ الطير كالحجلِ
يا قرَّة العينِ أنتم كلكم فِلَذٌ ... مِنَ الفؤاد، وحسبي أنَّكم شغلي

* * *

دمشق ١٩٩٠/٧/١١

علي شوكت كحالة

أمس، عاد من القاهرة الأخ (أبو لؤي) رياض عربي كاتبي، وزفَّ إليَّ بشرى ميلاد (علي) وهو الابن الوحيد من الذكور - حتى الآن - للصديق المشترك (شوكت كحالة) - أبو علي - فكانت هذه الأبيات تهنئة له ولزوجته وأولاده، باسمي وباسم زوجتي وأولادي مع تمنياتنا (لعلي) بالصحة والعافية، ولأبويه بالعمر المديد، ليُسعدا برعايته لهما في الشيخوخة:

* * *

أعليُّ قد أسعدتَ أمَّكَ والأبَا ... مِن بعدِ أن شَقِيَا، جوى وتَرقُّبَا

قلبان ظلا يبكيان تزلُّفا ... لله، حتى جئتَ أنتَ، فأُطرِبَا

أختاكَ صار لَهُنَّ فيكَ حماية ... وأبوكَ (شوكتُ) صار شوكاً أصلبَا

و(دمشقُ) مِن أهلٍ، وبيت بني أب ... ومِنَ الصِّحاب، تقولُ جئت فمرحبا

* * *

محمد حيدر وعائلته

مع التهاني الحارة

دمشق ١٩٩٠/٧/١١

مرثاة جيل

إلى روح الشاعر عمر أبو ريشة..

* * *

نعتكَ لي الصحافة في الصباح ... فجاء النعيُ ينكأُ لي جراحي
يذكِّرني بمن سبقت خطاهم ... خطاك إلى رحيباتٍ فساح
إلى الجنَّاتِ حيث مقيلُ ركبٍ ... تظلِّلُه القوافي كالرِّماحِ
ويندى الظِّلُ بالإلهام حتى ... تفيء إليه جامحةُ الطِّماحِ
وفي جنباتِهِ سمرٌ أنيقٌ ... كوشوشةِ الطيور إلى الصَّباحِ
يُفاخرُ بعضُهم ببيانِ لفظٍ ... كمعجزةٍ أتت بالإجتراحِ
وبعضُهُمُ بشاردةِ المعَاني ... كما روَّضت شامسةَ الجمَاحِ

* * *

جنانُ الخلدِ و(البدويُّ) فيها ... تذكِّرني بصحراء وواحِ
يروحُ بها ويغدو بين (شبلي) ... وبين (بشارةٍ) ندماءِ راحِ
يُعاقرهم، ويسكَرُ مِن نشيدٍ ... ويُسكِرهم بأعذبَ مِن صداحِ
ويشتاقونَ كلَّ أخٍ بَعيدٍ ... يجيء، فبيتهم رحبُ المرَاحِ

* * *

لجيلِكَ فضلُ سابقةٍ، وإنِّي ... لجيلك، خافضٌ حُبّاً جناحي
حملتم رايةَ الفصحى وكنتم ... بعصركُم، كتائبَ من فصاحِ
وخضتم بالقوافي كلَّ حربٍ ... فكان سلاحُكم أمضى السلاحِ
عدوُّكُمُ يُعفِّرُ وجنتيهِ ... تراب الذُّلِّ، في كلِّ البِطاحِ
وأمَّا (الحاكمون) فكانَ هَمّاً ... لكم، أن يسلكوا دربَ الصَّلاحِ
نصائحكم تلينُ لهم وتقسُو ... ولاتخشون فيها لومَ لاحِ
شجاعتُكم. لكم نِصفٌ. ونصفٌ ... لعدلِ (الحاكمين) وللسَّماحِ

* * *

قسوتَ فلُمتَ (سعد الله) لوماً كسكرانٍ يمزِّقُ ثوبَ صاحِ[1]
ولمتَ (جميلَ مردمَ) يومَ كانت (كلابُهُمُ) تعضُّ، بلا نباحِ[2]
و«للعسلي» ضدَكَ ألفُ شكوى ويبقى النَّقدُ منكَ بلا جُناحِ
وهم وجميعُ مَن غضبت عليهم قوافيكم بهمسٍ، أو صياحِ
إذا قُرنوا بأعدلِ (حاكمينا) بدوا كالطُّهرِ يُقرنُ بالسِّفاحِ

* * *

رزئت (بعدلِ) بعضهم، وجارت على صفحاتِ مجدكَ كفُّ ماحِ
وذقتَ (بعدلهم) طعمَ اغترابٍ فكنتَ (الريشَ) في عصفِ الرياحِ
تطوفُ بكَ العواصفُ كيف شاءت لأنكَ صرتَ مقصوصَ الجناحِ
وحين أُتيحَ للمنفيِّ عَودٌ أتى يمتاحُ عذبَ الإمتياحِ
تجوَّلَ في (دمشق) وراحَ يسعى إلى (شهبائه) وإلى الضواحي
رأى كِتلاً من الإسمنت تنمو على أطلالِ أزهارِ الأقاحي
فراحَ يلوبُ بحثاً عن عقولٍ إذا وُصِفت تُلقَّبُ بالرِّجاحِ
وأدركَ أنَّ منفيَّ القوافي غدا، ولوقعِهِ رجعُ النُّواحِ
وأنَّ الشعرَ محجورٌ عليهِ يُكافَحُ، بالمحاجرِ واللُّقاحِ
وأن (عساكر) السلطانِ تَدمَى خناجرُهم، بأعناقِ الأضاحي
ويحدو سيرَهم في كُلِّ دربٍ مديحٌ في الغدوِّ وفي الرَّواحِ
هو (الأدبُ) المقيمُ بكل (بيتٍ) وليس سواه مِن (أدبٍ) مباحِ
فقرَّرَ أن يموتَ لأنَّ داء سيعجزُهُ، فيعيَا بالكِفَاحِ

* * *

حنانكَ أيها النسرُ المجلِّي أكادُ أغصُّ بالماء القُراحِ
بُغاثُ الطيرِ مُدَّلَها فعَاثت فساداً، بالمتونِ وبالصِّحاحِ
وصارت (تأتآتٌ) لسانٍ عَيٍّ هي (الشعر) الحديث بلا مزاحِ
تُراضُ لها (المطابعُ) كُلَّ يوم فتخرجُهَا بأجملَ مِن وِشَاحِ

ولايدرونَ أنَّ القُبحَ مهما تزوّقَ لن يصيرَ من المِلاحِ

* * *

أخا (الشهباء) أنتَ شِهَابُ نورٍ يُضيءُ مَسالِكَ الأدبِ الصُراحِ
قصائدك التي اكتملَت صُروحاً أوابدُ، فوق مَعلَمِنا السّياحي
وفوق لهاةِ أعذبِ منشدينا وفي الأوتارِ، مطلقةَ السّراحِ
يُتوِّجُهَا الختامُ بكل بيتٍ فريدٍ من فرائدكَ الوِضَاحِ
حملتَ همومَ أمَّتِنا، فكانَت همومَكَ، حيثُ كنتَ، بكل سَاحِ
وجازَ خيالُكَ الزهراءَ بحثاً عن النَّهجِ المعَبّد بالفَلاَحِ
رسمتَ لنا السّراطَ، وقلت سيروا فإنَّ السيرَ مضمونُ النَّجاحِ
هو الوطنُ الكبيرُ فَوَحِّدُوهُ بسحرِ الضّادِ أوحَدٌ الصُّفَاحِ
وغنيتَ الجَمَالَ فكان لحناً إلهياً، على الوترِ المُتَاحِ
تغازِلُ فالحسانُ لديكَ معنى تهيمُ به، وليسَ بمستباحِ
تُجِلُّ هواكَ عن نَزَواتِ جنسٍ وتسمو فيهِ عن غَزَلٍ إبَاحي

* * *

أخا (الشهباء) ماغنيتُ شعراً بمدحٍ. فاعفُ عن عجز امتداحي
إذا احتاجَ النَّهارُ إلى دليلٍ فإنَّ عمى العيونِ، إلى افتضاحِ

* * *

دمشق ١٦/٧/١٩٩٠

---

(١) ـ المقصود سعد الله الجابري، السياسي السوري المعروف.
(٢) ـ المقصود جميل مردم بك، السياسي السوري المعروف.
(٣) ـ المقصود صبري العسلي، السياسي السوري المعروف.

ميلاد زين

أحتفلُ اليوم بعيد ميلاد حفيدي (زين) وقد مضى عام على ولادته، ويجيء الاحتفال والمحتفى به غائب عنا في زياره لجده الآخر في إسبانيا.

* * *

ميلاده أول الأيام من آب ... ذكراه واقفةٌ كالسيف في بَابي
تزفّ لي ألف بشرى، كل واحدةٍ ... منهُنّ، تُذهِبُ عني كُلَّ أوصابي
طفلٌ كنفحة عفو الله ضحكته ... وصمته آية تتلى بمحراب
أراه يحبو إلى صدري فيطرده ... (أخوه) رغم نداءآتي وترحابي
يغار منه على صدرٍ تملُّكه ... ملكية، ما بها قولٌ لمرتاب
ولايريد شريكاً في تملكه ... حتى ولو كان تعويضاً لأتعاب
أما مودّته إن كان يقبلها ... فإنَّها فيضُ حب غير هيَّاب
يُعطيه من أجل أن يرضَى هديّتَهُ ... ولايضن - لكي يرضى - بأثواب

* * *

يا (زيننا) لم تغب عن عين باصرتي ... إن غبتَ (يا زيننا) عن عين أهدابي
ميلادُكَ اليومَ لاشمع لنُطفأه ... ولا هدايا، ولاتصفيق أتراب
لبيتَّ دعوة (جدٍّ) ملَّ غربتَهُ ... ونأيُك اليوم سوانا كأغراب
عُدْ يا حبيبي، فما في البيت زاويةٌ ... إلا ومنك بها منثور أطيابِ
هنا سريرك. من قلبي وسادتُهُ ... حوَّطته بضلوعي لا بأخشابِ
وحيث كنتَ تناغيني أرى أثراً ... في كل زاوية منه لألعَابِ
وفوق (مكتبي) الباكي لبعدكم ... أراك في وجه أوراقي وأصحابي
حبيبَ قلبي عُد لي (شهدُ) قد رحلَت ... أصبحت وحدك أنسي بعد غيابي
إن كنت (غرت) كثيراً من شقاوتها ... ومن جمالٍ طفوليٍّ وخلَّابِ

ورحت تهجرني. رحماك إنكّما عيناي. إنكما تلخيص آرابي

* * *

ذكّرتماني (ميساءَ) وغيرتها أيام (هاني). فبي مِن يومها ما بي
كانت تغار علينا منه وهي له حِمىً يلوذ به من بطشِ (غلاَّب)
وكان يبكي لها حباً إذا غضبت (ماما) وساقت إليها بعض (ألقاب)

* * *

أعدتما عندنا تاريخ أهلكما فأنتما امتداداتٌ لأنسابِ
كانت وكنتَ وأحلى مايمتّعُني سباق (وثّابةٍ) نحوي (ووثّابِ)
وحين يهدأ في حضني سباقكما تظل تدفعها، من دون أسبابِ
واليوم بُعدُكُمَا سوَى مرابعنا قفراً. ولم يبقَ إلا (الحزن) من (آب)

* * *

دمشق ١٩٩٠/٨/١

يا نجمة الصبح

إلى رفيقة حياتي (أم أولادي) سعاد.

* * *

لم يبق إلا صباباتي وأشواقي وصدق حبّك لي أفديه مِن باقِ
طموحُ عمريَ في شعبي وفي وطني لم يبقَ مِن صبحهِ فجرٌ لإشراق
خابت أمانيَّ حتى لات مِن أفقٍ تغلّقت بظلام اليأسِ آفاقي

* * *

بقيتِ وحدك نجمي، عشتُ أرصده في يقظتي، بين أقلامي وأوراقي
وحين يدركني نومي أراك على إطباقة الجفنِ طيفاً ملء أحداقي

* * *

آمال موعدنا نعمى أعيشُ لها حتى ولو بين إخفاقٍ وإخفاقِ
سويتُ مخدعَهُ، كيف اشتهى حلمي فصرتُ أخشى عليه، كفَّ سُرَّاق
يا نجمةَ الصبح، يا أندى بنفسجةٍ يا مهرة راضها حبي وإشفاقي
شربتُ في حبّكِ الصهباء مترعةً كؤوسها، بيد الندمانِ والساقي
ورحتُ أسكر مِن حبي ونشوته وأُغرِقُ القلبَ فيه أيَّ إغراقِ

* * *

لاتسأليني عن عمري الذي ذهبت أيـامُـهُ بـين إجـهـادٍ وإرهـاقِ
عمري الذي حفظته عينُ ذاكرتي هو الذي كنتُ فيه شيخَ عشّاقِ
وما عدا ذاكَ من عمري فلستُ أرى غيثاً به، رغمَ إرعادٍ وإبراقِ
وهبتُ «للبعث» عمري علَّ أمنيةٍ في البعث يخضرّ فيها يَبْسُ أوراقي
فكان أن يَبِسَت أغصانُ أمنيتي وجفَّ نسغُ حياةِ الجذع والسَّاقِ

* * *

حبيبتي، أنتِ قد أصبحتِ أمنيتي وأنتِ وحدكِ إكسيري وترياقي
إن كان حبُّكِ لي وهماً أعيش به خديعةً. فاتركيني نهب أشواقي
لا توقظي قلبي الغافي على حلمِ كجنَّة الله، في إبداعِ خلاَّقِ
شعري، وأخيلتي، والوهمُ أنَّكِ لي كل الذي منحتني كفُّ رزَّاقِ

* * *

دمشق ٣/٩/١٩٩٠

البداية والمآل

* * *

أنا فيكِ يأسرني الجمالُ ويشوقني منكِ الدلال
ويطير بي شوقٌ لموعدنا، ويسبقني الخيالُ
وهناك تنسيني الصَّبابةُ ما الحرامُ، وما الحلالُ
العاشقان، وموعدٌ عجلانُ، موعدنا اختزالُ
لكنَّهُ الزَّمنُ الثريُّ وفقرنا، الداء العضالُ
ونعُبُ منهُ كأنَّهُ نِعَمٌ يهددها الزوال
النَّاهبان، وفرصةٌ سنحت، ومكنوزٌ يُنالُ
طمعٌ يشدُّ إلى البقاء فما لحامله انتقالُ
وتخوفٌ من عازلينَ تُشدُّ دونهم الرحالُ
حالٌ هو القلقُ الخصيبُ وما عداه الجدبُ حالُ

* * *

لم يبق في أيامنا شيء يجاب به سؤالُ
إلا المحبةُ بيننا فهي البدايةُ والمآلُ

* * *

دمشق ١٩٩٠/٩/١٩

الديمقراطية في حمص

سألتني حفيدتي: هل تعرف لماذا يضع الحمصي كلتا إصبعيه في (سطل) اللبن عندما يريد أن يشتري لبناً. ثم يتذوق اللبن العالق على كلتا الاصبعتين؟ وعندما أعلنت لها عجزي عن التفسير أجابتني. لأنه يعتقد أن رأيين أفضل من رأي. فكانت هذه الأبيات:

* * *

كل من يرتاد (بازار) اللبن   لشراءٍ ليس فيه مِن غَبَن
يضع (الخنصر) في (السطل) وفي   فمه يفحص بالذوق اللبن
ما عدا الحمصي، يأتي مسرعاً   وبكلتا إصبعيه يمتحِن
فإذا استوضحتَ عن أسبابه   قال والفطنة من طبع الفَطِن
إن رأي اثنين خير أبداً   من قرار الفرد حتى لو حَسُن

* * *

دمشق ١٩٩٠/١١/٢

العارُ زالَ

في سيل الحكايا التي يرددها الدمشقيون عن أهالي حمص، خصوصاً في هذه الأيام، ولا أدري لماذا؟ سمعتُ الحكاية التالية فنظمتها شعراً:

* * *

والدُ الحمصي يومَ العرس قال — لابنه، والقول في العرس اختزال
إن تكن زوجُكَ بكراً مثلما — نتمناها، فزغرد يا (نضال)
وإذا لاسمح اللـه بدَت — سيِّباً، فالذبح للزاني حلال
ومع الفجر تعالى صوتُه — مطلِقاً زغرودةً مثل الصهَال
وعلت زغردة الأهل على — صوت قرع الطبل والزمرُ استقال
كَنَّةٌ بكر، وإبن فارس — فعله زينة أفعال الرجال

* * *

ومع الفجر بيومٍ آخرٍ — كان حُدُ السيف قد صال وجالُ
ذبَحَ الحمصي (مسكينته) — ممضياً أمراً به الوالِدُ قال
زوجه في يومها الثاني بدت — سيباً، فاغتالها، والعارُ زال

* * *

دمشق ٣/١١/١٩٩٠

حفيداتي

يمر عيد ميلاد حفيدتي (صيد مضر الأسد) بتاريخ ٢٨/١١/١٩٩٠ وتشاء أمها أن تكون حفلة الميلاد مشتركة بين (سيراء) التي مرّ تاريخ ميلادها منذ ٧/١١/١٩٩٠ وبين أختها و كانت هذه القصيدة هدية لحفيداتي كلهن المقيمات منهن والمغتربات فأرجو أن تنال الإعجاب.

* * *

ميلادُ أمكما يا قطعتي كبدي | غنَّيته عذب شدو البلبل الغردِ
سكبتُ شمعتهُ من ذوب عاطفتي | ومن توقُّدِ حبي جذوةُ الوقدِ
وجئت في عيد ميلاديكما ثملاً | بذكرياتي عن بنتي وعن ولدي
أيام كان (إيادٌ) في قبيلتنا | كالبدر في الليل أو كالشمس في الرأد
تحيطه نظراتُ الحب تحرسه | من خشيةٍ أن تراه نظرةُ الحسدِ
وعندما أقبلت (ميساء) أمكما | وزاحمته على صدري وزند يدي
أبحرتُ في حُلمٍ، أمواجُ زرقته | تطوف بي من غدٍ يمسي لصبح غدِ
وها أنا اليوم في مرساة شطكما | آوي إليه مكاناً، خير مقتعدِ
أختان، يا أنتما كالفرقدين معاً | لم أدر أيكما أغلى على كبدي

* * *

في كل صبح أعاني منكما حرداً | عن المدارس، ما أحلاه من حردِ
وفي المساء أعاني منكما سهداً | ورغم سلطان نومي، متعتي سهدي
وتغضبانِ إذا ما الجدَّةُ انتهرت | إحداكما. فأنا في مثل مُضطهَدِ
وتعلمان بعجزي أن أكون هنا | سوى محلٍ لتهديدات مُضطهِدِ
ورغم ذلك ألقى منكما غضباً | يحيل نعماء أيَّامي إلى كمدِ
وأحتوي الغضب المغناج أسألُهُ | صفحاً. وأعلن توباتٍ بلا عدد
وحيرتي ما لها حدٌّ إذا نشبت | مخالب الغيرة العمياء في جسدي
(صيدٌ) على عنقي يلتف ساعدها | وأختها فوق صدري أو على عضدي

وكل واحدةٍ تأبى مشاركةً لأختها بي، ولاتصغي لمستندِ
وعندما لا ألبّي أيَّ واحدةٍ منكن، تنكرن مني صمت متَّئد
وتعزفان معاً عني إلى لُعب أغارُ منها، فخصمي أُلهياتُ دد
فأنبري لكما حتى أكيدَكُما برفع صوت ندائي، باسم مفتقدي
(يا شهدُ) يا بنت (هاني) يا بنفسجتي يا قرة العين في قربٍ وفي بُعُدِ
أصبحتُ وحدي، تعالي بعد أن هجرا حضني، ولم يقبلا عذري ولافندي
فتُقبلان إلى صدري على عجلٍ لاغيرةً، إنما شوقاً إلى (شهدِ)
وتسألان. متى تأتي؟ وهل كبرت؟ كمثل (زين) وهل تاقت إلى البلد
وهل (عروب) (وهاني) قادمان بها أو أنها سوف تأتي دون ما أحد؟
وإن أتت وحدها. من ذا يصير لها أباً وأمّاً؟؟ وهل تبقى إلى الأبد؟
وتنبري (صيدٌ) في رد الجواب كما تصوَّرته بعين العقل والرُّشد
بابا وماما هما من يصبحان لها أباً وأماً فشهْدٌ حبنا الأبدي
(وإخوتي) (وأنا) نعطي لها لُعَباً من عندنا. ونعيشُ العمرَ في رغدِ

* * *

(حفيدتاي)، وحبي كاملٌ لكما منذ الولادة، لم ينقص ولم يزد
في يوم مولدِ كلّ منكما أملٌ لولاه ضيَّعتُ عمري، ثم لم أجدِ
أفراحُ قلبي بلا ذكرى موالدكم أمست وأكثرُ منها، بذخُ مُقتصد

* * *

أصبحتُ أخشى على قلبي مباهجَهُ قلبي مع الحزن مشدودٌ إلى وتدِ
لم يبق إلاَّ كم في العمرِ من سببٍ لفرحةٍ، هربت من قبضة النكد
وكل ما أتمناه بعيدكُمُ وما يدور بهذا اليوم في خلدي
أن لاتضيع سدى أعمارُ جيلكم وأن ترف عليكم راية السَّعد
وأن تعيشوا مع التوحيد في وطن من ألف عامٍ، نراه غير متحد
هذا هو الأمل المرجو في غدكم إن خابَ فألي لكم، صرتم إلى بدد

* * *

دمشق ١٩٩٠/١١/٢٨

خيبة الرجاء

تعبيراً عن التشاؤم في هذا العام، اخترعت هذه الحكاية، وأرجو أن تصدق (زوجتي) أنها قصة من نسج الخيال، وإذا لم تصدق فسيكون هذا العام أكثر شؤماً مما تصورت:

* * *

في يومكَ الأول خاب الرجاء ... يا عام. أسرع طال منك البقاء
كنتُ وإياها على موعد ... في أول العام وبعد المساء
وسافرت عجلى على (طائر) ... ألقى جناحيه لرحب الفضاء
حورية أشهى من المشتهى ... إن حدثت فهو رنيم الغناء
وإن أباحت وجنة كاللظى ... صارت شفاه الشوق بعضَ الشُّواء
أحببتها حباً كوى أضلعي ... وذقت بالنأي مَرارَ الشقاء
وبعد لأي قطعت وعدها ... واخترت بدأ العام يوم اللقاء
تفاؤلاً مني بآت على ... أنقاض عام كُلُّه (كربلاء)
وخاب فألي، فإذا فرحتي ... ضياءُ برق باهر، فانطفاء
وعدتُ والعام امتدادٌ لما ... كنا عليه أمس ليس انتهاء

* * *

دمشق ١٩٩١/١/٢

تأكيد أول على شكوى

إلى السيد اللواء علي دوبا المحترم.
مع أطيب التحيات...

* * *

أنا مازلت بانتظار الجواب　　شفهياً، أو أسطراً بكتاب
طال بي انتظار حكم (علي)　　(وعلي) بالحكم فصل الخطاب
ربما ظل صامتاً لحياء　　منه عن رد طالب بطلاب
وهو ما لم أعهده فيه قديماً　　فإذا صار، فهو خير جواب

* * *

أنا بالباب (يا علي) فجاوب　　إن (أمونة) العجوز، ببابي
ولك الشكر أن أجبت قبولاً　　ومع الرفض لن أذيع عتابي

* * *

بالتوكيل: المحامي محمد حيدر
دمشق ١٩٩١/٧/٢٧

التماس

من المحامي محمد حيدر إلى السيد العماد الشاعر مصطفى طلاس وزير الدفاع مع التحيات:

* * *

بعد، باسم الله الغفور الرحيم وصلاة على النبي الكريم
جئت، يا حضرة العماد لأشكو أنا مظلومة، وأنت ظلومي
لي بيت ورثته عن جدودي فهو ملكي وملككم من قديم
أخذته (المخابرات) بأجر سنوي، ومبلغ مرقوم
هو (أربع تالاف) وحدة نقد لاتفي باحتياج طفل فطيم
منذ عام الستين، والبيت يعطي نصف ما تفرضونه من رسوم
وأنا اليوم ليس لي من معيل غير وجه الله العطوف الكريم
وتقدمت سابقاً أطلب البيع لبيتي بسعره المعلوم
علني أستطيع بالثمن البخس أداري عجزي وأشفي كلومي
فتصدى «اللوا خصيروف» يأبى انتصاراً لحقي المهضوم
وأنا اليوم جئت أشكو إليكم حالتي - يا عمادنا - وخصومي
أنا أرجوك (خمن) البيت بالعدل وخذه بسعره المحسوم
وأرحني من همه، إنّ بيتي صار هماً يا سيدي من همومي

* * *

(يا وزير الدفاع) إن تدفع الظلم وترأف بسقم كل سقيم
تنتصر في الحروب، جنبك الله بحرب، مواقع المهزوم
(يا وزير الدفاع) إن تشتر البيت تفز بالثناء والتكريم
وإذا كنت (كالخصيروف) تأبى أن تلبي استغاثة المظلوم
(فوكيلي) بالمدح (كالمتنبي) (ووكيلي) بالهجو (كابن الرومي)

عن المواطنة أمونة طيلوني بالتوكيل: المحامي محمد حيدر ١٩٩١/١٢/٢٨

دموع الغيم

تعليقاً على الأمطار الغزيرة والسيول التي اجتاحت البلد هذه الأيام:

* * *

لم يبق من دمعة في الغيم لم تكف — لم يبق في الأرض شيء غير منجرف
إنجاز (ثورتنا) غطته (مَوحَلَةٌ) — لم تبق سيارة في الوحل لم تقف
شوارع الشام صارت كلها بردى — وسوحها ملئت بالماء (كالجرف)
غصت مصارفها بالطمي يصرفه — سيل الهضاب ويبقى غير منصرف
طوفان نوح، ولكن لاسفين به — ينجي، ولاسابح في الوحل لم يخف

* * *

دمشق ١٩٩١/٣/٢٣

إلى التي احتجبت بالصوم

* * *

حبيبتي احتجبت بالصوم عن نظري   وخاب في صومها ماشئت من وطري
صيامها وُعِدَت فيه بجنتها   ونلت فيه عقاب الكاذب الأشر

* * *

شوقي إلى حسنها جوع أكابده   بلا صيامٍ ولا خوف ولا حذر
(وفطرتي) قبلة من ثغر صائمة   وضمة من قوام أملد نضر

* * *

حبيبتي حسنها في الخلق معجزة   توحي الهداية والإيمان للبشر
حبي لها طاعة لله منجية   تغني عن الصوم والتسبيح والنُّذُرِ

* * *

دمشق ١٩٩١/٣/٢٤

استدراك

بعد موجة الأمطار العارمة في الأسبوع الماضي، ابتلانا الله بأسبوع آخر من الحر الشديد. فكان هذا التعليق:

* * *

تبين أن الغيث ما كان مرسلا ... إلينا فغيم الغيث كان مضللا

تخفف من أعبائه فوق أرضنا ... فصارت به كل الشوارع مغسلا

تلاطم فيها الموج من كل جانب ... وأزبد بالماء الطريق، وأوحلا

ولما رأتنا قدرة الله أننا ... فرحنا بما أعطى السحاب وأجزلا

تنبه مولانا إلى أن غيثه ... على غير أرض المستحقين أنزلا

فجهز هذا اليوم من شمسه لنا ... شواظاً، وأصلانا به حين أرسلا

يبخر ماء الأرض من مستقره ... إلى حيث كان الماء في الغيم أولا

وذالك أنا أمة قد تصحرت ... عقولاً وأرضاً، وهي تعدو إلى البلى

* * *

دمشق ١٩٩١/٣/٢٨

التصوف في الحب

* * *

لك أحلام يقظتي ومنامي ولِيَ القربُ منكِ في أحلامي
باعدتنا الأيام جسماً لجسمٍ فاتحدنا بالروح يا إلهامي
واقعي أرفض الركونَ إليه فحياتي وقف على أوهَامي
أتملى غدي سراباً فأروى وفراتي نهر خيالاتُ ظامي
أنا في الناسِ، غير أني بعيدٌ عنهم، في فضائي المترامي
يتبارون بالكلام وسمعي ملكته تصورات كلام
وأنادَى فلا أحير جواباً شغلتني عنهم كؤوس مُدامي
عالمي ليس فيه أي عزول أو غريم، أو طالب لانتقامِ
أنا فيمن أحببتُ ذاب كياني فأنا فيه قد بلغت تمامي

* * *

دمشق ١٩٩١/٤/٥

قالت وقال

أحاديث الصباح، مع القهوة، بين الزوجين، أحاديث متشعبة عادةً. وفي هذا الإطار روت لي ابنتي، أن زوجة قالت لزوجها إنني أخاف أن (أترمل) فأجابها على الفور، (بعيد الشر، أنا ولا أنت). فكانت هذه الأبيات:

* * *

يتجاذبان حديث كل صباح	مـا بـين جِـدٍّ تـارة، ومِـزاحِ
زوجان مر على اقترانهما معاً	زمـن مـع الأتـراح، والأفـراح
قالت، ونظرتها تنم عن (الجوى)	أخشى الترمل فيك يا مصباحي
فأجابها والحب في نبراته	شر بعيد يا نديمة راحي
أفديك غائلة الترمل، فلتكن	لي منك، لا لك: يا عبير أقاحي
وتـودعـا، وكـلاهـمـا لـتـرمـل	يسعى، فداء شريكه الملتاح

* * *

دمشق ١٩٩١/٤/٩

معرفة الله

* * *

أفطر الصائمون إلا (جنابي) (فطرتي) ما تزال خلف حجاب
صوم أتقى التقاتِ شهران في العام وصومي!!! ضاقت بصومي رغابي
أشهر عدة، ولا من (سحور) (أو فطور) ينيلني آرابي
إن صومي (طي) وأصعب صوم ما أعاني من فرقة الأحباب
باعدت بيننا العوازل حيناً وأتى صومها يطيل عذابي
إنها تفهم الطهارة والاثم على غير ماينص كتابي
كلما أسلست قيادا (لفقهي) جاءها من يصدها عن بابي

* * *

ردة يا حبيبتي حين نُحيي رمضانا، بحالة الاكتئاب
نقتل التوق للمباهج فينا فكأن الصيام شهر عقاب
ربنا يا حبيبتي، خلق الحسن وسوى إنسانه من تراب
ليكون الجمال آية رب في حماها نحظى بحسن المآب
إن من يعبد الجمال سيلقى عند باري الجمال كل ثواب
ولقاء الأحباب في كل حين هو درب التقى وعين الصواب
فتعالي إلي طال انتظاري لم أعد أستطيع كتمان مابي
إن شوقي إليك شوقُ (تقي) عرف الله في فم ورضاب

* * *

دمشق ١٩٩١/٤/١٥

يا أبا مضر

الرفيق (سليمان الخش) (أبو مضر) و(أبو السمح)، فارس من فرسان (البعث القديم) ينتقل اليوم إلى جوار ربه، تاركاً لنا مهمة الانتظار. والرفيق (سليمان الخش) عرفته، مناضلاً، وشاعراً، ومدرساً، ووزيراً، وكان في حالاته كلها ثابتاً كالطود على وفائه لرفاقه، وحبه لشعبه، وقلقه على العروبة.

فإلى روحه الطاهرة أهدي هذه الأبيات:

* * *

كنت ملء الحياة، شعراً وفنا ... ونضالاً، يغني الحياة، ويغنَى
كنت درع الصديق إن حَزَبَ الخطب، وعوناً، ومنقذاً، ومجناً
كنت في (البعث) فارساً عربياً ... عرف (البعث) للعروبة إبنا
كنت تستنكر الخلاف كثيراً ... ليس للخلف في العروبة معنى

* * *

يا أبا السمح، يا أبا (مضر، الشماء) ... روعتنا لفقدك حزنا
جسد الفارس المجلي، ولولا ... طاعة الله، يرفض الجسم دفنا
ملأ الحبُّ والشجاعةُ قلبا ... منك، لم يشك فيهما العمر، وهنا
مت خوفاً على العروبة من أن ... تتهاوى على الدروب، وتفنى
مت. لما رأيتها ليس فيها ... غير من ضل عنه رشد، فجنا
مت، لما رأيت أن بنيها ... بعضهم ضد بعضهم مات ضغنا

* * *

أمريكا والفرس، والترك أحيوا ... حقدهم ضدنا، فأصمى، وأضنى
وأتو، جاعلين، من بعض قومي ... في معاداة بعض قومي حصنا
إنها أزمة الخليج أقضت ... منك جنباً، وأرقت منك جفنا
تفرح الشام، إذ رحا حربِ (بوش) ... تطحن الأهل في العراقين طحنا!!
وتغني (مصر) على القصف، برا ... وسماء، كأنما القصف لحنا!!!

ثم لا تهبط السماء على الأرض   وحتى لاتقرع السن سنا
وتظل الحياة تزعم أنا   في دروب الحياة نركض، أنا
مت، كي لايقال أن (سليمان)   يرى. وهو مثلنا ظل قنا

* * *

يا أبا (السمح) يا أبا (مضر، الشماء)   تأتي الذكرى، لتسأل عنا
في (مقاهي القدموس) في مربع البؤس (بمصياف) حيث كنت وكنا
في قراها، وفي الأزقة منها   في (أبي ذرها) الغريب المعنى(*)
ذكريات لولا التخفي عليها   صادرتها (حكومة البعث) منا
ذكريات في (اللاذقية). كان الرمل في الشط للعروبة حضنا
حيث في كل قرية من ذراها   أنبت (البعث) للعروبة غصنا

* * *

مت كي لاترى المرابع قفرا   أصبح الأنس، يا سليمان، جنا
غابةُ الحبِ - غرسُنَا - لم نصنها   فزوت، ثم أنها لم تصنا

* * *

ذكريات في الشام حيث ضللنا   دربنا، وانتهى المسير، وضعنا

* * *

دمشق ١٩٩١/٤/٢٠

(*) - إشارة إلى ثانوية (أبي ذر الغفاري) التي عرفتنا مدرسين فيها، وكان المرحوم من المؤسسين لهذه الثانوية، التي افتتحها الحزب بالخمسينات من هذا القرن لتكون إشعاعاً للعلم والعقيدة.

مات عبد الوهاب

توفي اليوم الموسيقار والمطرب (محمد عبد الوهاب) عن عمر يناهز التسعين (٨٨ عاماً) وهو كما قالت عنه الصحافة آخر الكبار من الفنانين العرب، وقد قرر (حسني مبارك) أن يقيم للفقيد جنازة عسكرية باعتبار أن (الرئيس المقتول أنور السادات) قد منحه رتبة (لواء)، يوم جاء به ليلحن النشيد الجديد لمصر، ويقود (الأركسترا) التي عزفت ذلك النشيد ين يدي (بيغن) رئيس وزراء إسرائيل في أول زيارة له إلى مصر. وهكذا لم يترك عصر الانحطاط في حياتنا شيئاً، لم يلوث. حتى الفن.

* * *

قيل عنه، كان الكبير الكبيرا   وقضى نحبه، ومات أخيرا
رجلٌ أبدع اللحون وغنى   فأجاد التلحين والتعبيرا
رتّل الشعر، فالقصيدة معنىً   كشف الصوتُ، سحره المسطورا
وجلا اللحنُ روعة البيْت وزناً   وشراعُ الألحان جاب (البحورا)

* * *

إن (عبد الوهاب) صير (شوقي)   للقوافي المرتّلات، أميرا
وهو من صاغ من قصائد (رامي)   أعذب اللحن واستثار الشعورا
عاش للفن، ثم عاش عليه   عمره كان شهرة وحضورا
كان عصر انحطاطنا فيه يزهو   فهو في ليل عصرنا كان نورا
لم ينل انحطاطُنا من علاه   في سماء الفن الرفيع كثيرا
فأتته سياسة العصر تغوي   فنه أن يقلد الزمورا
ويصير (الطبل) المسبح بالحمد   لمن ليس فعله مشكورا
ألبسته (اللواء) رتبة جيش   في سباق الحروب كان الأخيرا
فبدا وهو في ثياب (لواء)   (كركوزاً)، وكان شخصاً وقورا
(قشمرته) سياسة العصر حتى   صار، أو كاد، مثلها، أن يصيرا
أنزلته من السماء إلى الأرض   كبيراً، أمسى صغيراً صغيرا

حمّلته، وهو ابن سبعين عاماً إثمَ فعل، والاثم كان كبيرا
قاد (أوركسترا) النشيد وغنى بين أيدي (اليهود) لحناً أثيرا
يوم كان (السادات) فرعونُ مصر يتعاطى مع (اليهود) الفجورا
وهو اليوم عند (حسني) لواءٌ عسكروه جنازة وقبورا

* * *

بلبلَ الروض، صيرتك السياسات بعصر انحطاطنا عصفورا
رحم الله منك ذكرى شباب عبقري، أطربت فيه العصورا
وعفى الله عنك شيخاً أثيما ربما كان مكرهاً معذورا
إن أخلاق عصر (بيغن) (والكمب) (وشامير)، باركوا شاميرا
لم تدع من شيوخ كل المجالات لدينا المعمم المستورا
كلهم في انحطاطنا مارسوا الفسق وقالوا من الشهادات زورا
غير أني أجل شعرا وفنا أن يكونا (للظالمين) نصيرا
وإذا أكرها على الكفر كرهاً لست أدري إن كان ربي غفورا

* * *

دمشق ١٩٩١/٥/٤

بشرى قدوم ساره

اليوم اتصل بنا ولدي الدكتور (هاني حيدر) من (توليدو) بأمريكا حيث يتابع اختصاصه العالي في الطب، ليعلمنا أن زوجته السيدة الدكتورة (عروب الأيوبي حيدر) قد رزقت بابنة ثانية أسمياها (سارة) وأن أختها الكبرى (شهد) لم تظهر حتى الآن أية غيرة، ولكن الآتي في علم الغيب، فإلى القادمة الجديدة أسوق هذه التحية.

* * *

بشرى قدومك، أختَ (شهد) أذكت بقلبي نار وجدي
شوقاً إلى متغرِّبِين تكاثروا، وبقيت وحدي
وتخوفاً من غيرة... تشقى بها أيامُ (شهد)
يا طفلتي بكرَ البنين وبكر آمالي وقصدي
أرجوك أن ترفقي بجديدة في قلب جد
هي لاتقدر أنها اقتحمت عليك وثير مهد
فترفقي برقادها هي لاتطيق طويل سهد
كوني لها في الاغتراب عشيرة تغلي وتفدي
كوني لها عمًّا، وعمات، وخالات، برفد
كوني لها من تونس الخضراء، حتى رمل نجد
كلُّ القبائل إنما من دون ما حسد وحقد

* * *

(يا شهد) (سارة) أختك الصغرى، وملهمتي وسعدي
وقلوب أهلك رحبة لكما بتحنان وود
وتنافس الأختين ليس به مجال للتعدي
(سيراء) جاءت بعد (صيد) فكانتا ندا لند[1]
كلتاهما ضوع الشذا باحت به أكمام ورد

وحديقتي بكما أعادت نفح أزهاري وندي
فتعاطفي معها بقرب الدار أو حتى ببعد
وإذا أثارتك الصغيرة أو غضبتِ من التحدي
فتذكري أني أحبكما معاً، قداً بقد
كلتاكما من مهجتي جزء أعيد به وأبدي
هل أسلم الجزء الضعيف لأي جزء مستبد؟
أم هل إذا رغبت يدي أسلمت للصفعات خدي؟

* * *

(سارا)، كما وصفوك لي سيموت عشاق بصد
إن لم يصنك ذووك من (شهد) ومن حرٍّ وبرد
شدي الركاب إلى الرحيل وأقبلي، فالأمن عندي
مهدت فرشتك الوثيرة فوق أضلاعي وزندي
وإذا تزاحمت الظباء على عذوبة ماء وردي
فثقي بأنك يا حبيبة لن تكوني غير خدّي

* * *

دمشق ١٩٩١/٥/٧

---

١ - (سيراء) و(صيد) حفيداتي من ابنتي ميساء.

أبا محمد

بتاريخ ١٩٩١/١١/٩، نعي إلي والي الشعب صاحب الفضيلة، الشيخ عبد الهادي حيدر عن عمر يناهز السابعة والثمانين قضاه في التبشير بالفضيلة والسعي لإحقاق الحق، والشيخ عبد الهادي خالي وابن عم والدي، وقد كانت جنازته متميزة بالحضور الجماهيري الواسع، الذي عبر عما يكنه الشعب له ولأمثاله من الفضلاء من حب وتقدير. وهم جميعاً لايتمتعون بسلطان دنيوي ليخشاهم الناس ويتزلفون. ولابثراء واسع، ليأتي إليهم الناس ابتغاء الفائدة، أو الكسب وقبل أن ينقضي أسبوعه الأول كانت هذه القصيدة المرثاة، قد اكتملت. فإلى روحه الطاهرة أهدي ما كتبت:

* * *

بقيّةُ الجسد الواني من الوهن ... هي التي لفها الناعون بالكفن
وأنت يا صبوةً للخلد دائمة ... أصبحت من فنن فيه إلى فنن

* * *

الروح نزاعة دوماً لبارئها ... لكنها أبداً في كف مرتَهِنِ
حاجاته في ازدياد لانفاد لها ... والروح ملزمة بالسعي في البدن
والجسم والروح إما أن يسخرها ... له، ولاشيء غير البحث في الدِّمَنِ
أو أن تسخره من أجل غايتها ... فالعمر ساح نضال، لارؤى وَسِنِ
كنتَ المجلي بها في كل معترك ... فأنت يا سيدي فيها أخو الفطن
فقيهُ دين وآداب ومجتمع ... وموئلٌ يُحتَمَى فيه من الضغن
ومرجعٌ رأيه في كل مسألة ... (رأي يخلص بين الماء واللبن)
يحصحص الحقَّ حتى لات مشتبه ... بالحق إلا غبياً أو أخا إحَنِ

* * *

يا عم، يا خال، يا مجداً أفيء إلى ... نديه، مجدك السامي يظللني
كم صك سمعي قول حين ينجح لي ... مسعى، بخدمة أهلي أو بني وطني
هذا ابنُ أخت فلان وابنُ بِجدّتِهِ ... من ليس يعرف، فالقربى تعرفني

أبا المحمد، والذكرى تؤرقني ... لو كان غيرَ قضاء، (يا أبا الحسن)
رأيتَني أدفع البلوى بما ملكت ... يداي، لكن قضاءُ الله يعجزني

* * *

يا سيدي كنتَ عندي الهدي أسأله ... في كل معضلة كبرى فيرشدني
واليوم جنات عدن حضن محتضنٍ ... وكل طير بها يشدو على غصن
وأنت عن كل دنيا الناس في شغل ... بجنة الخلد، والأحباب في عدن
تجلو وجوههم أحداقُ باصرة ... فتعرف الصحبُ، أرواحاً بلا سِحَنِ
ويسألونك عن دنياك عن نفر ... تركتهم طعمة للعجز والوهن
بقيةٌ من نجوم أنت تعرفهم ... تضيء درب السُرى في ظلمة الدجن
وعندها سوف تهفو للذين بقوا ... من الأحبّة في هم وفي شجن
وللبنين وأهل كلهم حَزِنٌ ... من الفراق ويشكو لوعة الحَزَنِ

* * *

يا سيدي، كاد شكي قبل يومكم ... بالشعب، واليأسُ منه، كاد يقتلني
لكنني ساعة التشييع أيقظني ... شعبي على أنه بالمكرمات غني
للعلم، والفضل، والأخلاق، منزلةٌ ... في الشعب، تخفى، وتبدو ساعة المحن
وصاحب العلم والأخلاق محترم ... في الناس، من دون ما زلفى ولا منن
الشعب يظهر في الجلى سجيته ... ويمحض الحب من للشعب لم يَخُنِ
أما التخوف، والزلفى، فإنهما ... وسيلة الشعب، للحُكّام من زمن
وأنت لست بسلطان ولست بهم ... قارون مال، لتغري الناس بالثمن
ما كنت غير أخي فضل وداعيةً ... للمكرمات، وشرع الله والسنن

* * *

يا سيدي إنه درس تعلمني ... إياه، تختم فيه ما تعلمني
أن لا أبدل حب الشعب في بلدي ... بأي شيء، فحب الشعب يسعدني
وأن أظل لشعبي ناصحاً أبداً ... وساعياً بقضايا الشعب، ليس يَني
وأن أقول بأعلى صوت حُنجرَتي ... ما ليس يُعجِبُ شعبي، ليس يُعجبني

يا سيدي لاتخف فالأصفياء هنا — أبناؤك الزغب، في قلبي ومحتضني
هم في سويداء قلب الأهل كلهم — هم بؤبؤ العين في الترحال والكسن
هم في رحاب أخ حان كوالدهم — يرعى طفولتهم بالمنبت الحسن

* * *

يا خال إني في شوق لوالدتي — فاذكر لها بعض مابي حين تذكرني
وقل لها، إن أشواقي لرؤيتها — في القلب، بين شغاف القلب: تَحرِقني
من بعدها فقدت دنياني بهجَتَها — وصار كل هنيء العيش، غيرَ هني
وقل لها أن خوفي أن يفارقني — أبي، كما فعلت أمي يؤرقني
وجوده سلوتي الكبرى وتعزيتي — والخوف من فقده، يا خال، يرهقني

* * *

يا سيدتي رغم علمي أنكم شهب — لابد أن تختفي، فالعلم يقلقني
أخشى عليكم، وأخشى بعدكم بدعا — تحيل موردنا الصافي إلى أَسِنِ
أخشى على مذهبي من بعدكم نفرا — ضلوا سراط الهدى للمركب الخشن
من نصف قرن وأنتم تعملون على — تأكيد إسلامنا بالسر والعلن
وتنشئون بيوت الله عامرة — بالحب، ليست بيوت الله للفتن
طلبتم وحدة الإسلام في ومن — يفرق الجهل بين الأَبِّ والأَبِنِ
رفعتم راية القرآن لاخدعا — ولا أباطيل، بل إخلاص مؤتَمَنِ
الله أكبر في دنيا مآذنكم — صوت يجلجل بين القلب والأذنَ
حاربتم عصبيات الجهالة في — كل الديانات باسم (الأنزع البَطِن)(٢)
وبعد موردكم أخشى على ظمئي — من السراب، مدى الصحراء يظمئني
لكنني برسول الله معتصم — قرآنه والولاء الحق، يعصمني

* * *

دمشق ١٩٩١/٦/١٧

حلم عبقر

اليوم عيد ميلاد ابنتي الكبرى (ميساء) وتمر الذكرى وهي غائبة عنا بشبه جفوة، سببها فيما أظن أنها اختلفت مع زوجها في قضية كان الحق معه بها، وضغطت عليها لتتجاوز ذلك الخلاف، فأذعنت لإرادتي وقاطعتني، فإلى ميساء الحبيبة أقدم هذه الخواطر هدية مني بعيد ميلادها. فأرجو أن تقبل هديتي

* * *

حلم عبقر، وخيالات الرؤى، وجنوح الفكر فيما يتصور
كنتِ (يا ميمي) بعينيَّ وقلبي، يومٍ أن طالعني وجهك
في صبح مبكّر
كنتِ أحلى، كنتِ أجمل، كنت مالم يستطعه حلم عبقر
وبقلبي، وبعينيَّ نشأتِ، وَمَضاتٍ من ذكاء
وتباشيرِ نبوغ، هي لي كل الرجاء
ثم لما صرت (ياميمي) صبيه
صرت آياتِ جمال، صرت طهرَ المجدليه
وتخرجت طبيبه، وتعيَّنت حبيبه
وتزوجت - كما شئت - (مضر)
وحباك الله أحلى مالديه، من بناتٍ وبنين
أين منهم في تجليه القمر!!!!
وتورَّثتِ من الأمِّ صفاتٍ، طيبات، ومزايا
وورثتِ العصبيه، وبقايا عنجهيه
وأنا أشعر دوماً بالخطر

* * *

إنَّ (أحفاديَ) (يا ميمي) براعم، وأنا أخشى عليهم
ولهم قلبي تمائم

فإذا أخطأ أم أو أب، واستمرا بالخطأ والعناد
وبأكل الحصرمِ المر المذاق. كابَدَ الإبنُ الضَّرَس

* * *

أنتِ (يا ميمي) ابنتي أيضاً، كما أنت لأمك
فلماذا لم تكوني، يا ابنتي، مثلي، صبوره
ولماذا لست مثلي قادره، أن تضحي بكثير وكثير
ليظلَّ البيتُ للزوج وللأولادِ جنه
وملاذ

أنتِ يا ميساء، أنتِ اليوم أُم
فاذكري هذا ولاتنسيه، فالنسيان مدعاة النَّدم
يا بنتي يا فلذةً من كبدي، عيدُ ميلادك هذا أفتديه
بغدي

فاهنئي بالعيد، وأنا عنك بعيد
واغضبي إن شئتِ مني، فسأبقى دائماً أعمل حتى لو غضبت
أن أرى أحفادَ قلبي، بأمان، وبأحضانك يا أماً رؤوم
وبأحضان الأب الحاني الكريم
فاعذريني، هكذا كنتُ حريصاً وصبورا
يوم كنتم مثل أحفادي، وعانيت كثيرا
وأعاني. غير أني لم أزل أصبرُ حتى لايقال
فقد الصَّبرَ أخيرا

* * *

دمشق ١٩٩١/٧/١٨

يا أمتع الأصحاب

يونس محمد، قبل أن يكون أباً لفراس وبعد أن كان أباً لفراس، كان أخي (وربَّ أخ لك لم تلده أمك).

يونس الأنيس في الوحشة، والجليس الذي لايُمَلّ، ذكي الدعابة، لمَّاحها، مناضل في قواعد البعث، ومناضل في قياداته.

توفاه الله وهو في عمر العطاء فإلى يونس محمد، الأخ، والرفيق، والنسيب، والعضد، والظهير، إلى روحه الطاهرة أقدم هذه الأبيات:

* * *

الموتُ، فيما قالت الأنبياء مرقًى إلى جنَّات دار البقاء
لكنَّه فيما أرى علَّةٌ لم يعرف التطبيبُ منها دواء
ثكل ويتم وافتقاد معاً وغُمَّةٌ للأهل والأصدقاء
الموت مأساة بأبعادها أهونُ مانلقاه منها البكاء
إن كنتَ فيه، صرتَ في جنةٍ فنحن، صرنا معه في شقاء
ما ضَر هذا الخلد لو أنه كان هنا في الأرض، لا في السماء

* * *

يا أمتع الأصحاب، يا من إذا ناديتُ في الجلى، أجاب النداء
في يومكَ الباكي هنا، أبصرت عيناي ماذكَّرني كربلاء
ظُلمتَ حتى لم يجد ظالم فيما أتاه، أيما إعتداء
أعطيتَ ماقصر عنه الندى وكنتَ مازلتَ كثير العطاء
لكنَّه العصرُ، وأخلاقُهُ تسوِّق الغدرَ بثوب الوفاء
عصرٌ تقلبنا على جمره حتى غدونا فيه مثل الشِّواء
وكم تبادلنا شكاياتنا من حقبة في العصر ليست سواء
أعذب ما تشتاق أسماعها في عالم الأصوات صوتَ الرياء

يا أمتع الأصحاب، كم ليلةٍ ... تَعَانَقَ الصبحُ بها والمساء
ونحن نستجلي طريق الهدى ... بكل ما أوتيتَه من ذكاء
ويصبح الصبح ولسنا نرى ... في عصرنا، إلا شعاب الغباء
قوافل تُحدى، ولا حادياً ... إلا إلى تهلكة أو خَوَاء

* * *

كنتَ ترى العصر بأبعاده ... فالبدء يعطيك مدى الإنتهاء
لم تقتنع، أنّا إلى غاية ... أمَامنَا، والسيرُ نحو الوراء
لم تقتنع، أن التماع الدجى ... على امتداد الأفق، بشرى ضياء
لم تقتنع، أن نداءاتهم ... للسلم، قد تحقن منا الدماء
فالذئب قد يَرهَبُ حُملانَنَا ... إن واجهت، حتى ولو بالثغاء

* * *

يا أمتع الأصحاب لولا الأسى ... في اليتم، والثكل، وشوق اللقاء
غبطتُك اليوم على ميتة ... جنَّبتَ فيها نفسك الإنتقاء
ما بين أن نقضي قهراً لما ... يحمله الآتي غداً، لامِراء
أو أن نعيش العمر في عالم ... لم يُبقِ (ضاداً) في حروف الهجاء

* * *

يا أمتعَ الأصحاب، لو أبصرت ... عيناك ما أبصرتُ يوم العزاء
شققتَ عنك القبر عطفاً على ... زوج، وأبناء وضاء وضاء
وإخوة، أرّقهم أنهم ... قد أودعوا قبرك كل الرجاء
ورأفةً (بالشيخ)، وهو الذي ... آمن بالله وعدل القضاء
وظلَّ رغم الهول في خطبه ... معتصماً بالله، ثبت الولاء
أحزانه في قلبه شَمعَةٌ ... تضيء درب الصبر للأقرباء

* * *

يا سيدي، خطبُكَ في يونس ... وخطبنا، يَصمُتُ فيه الرِّثاء

* * *

دمشق ١٩٩١/٧/٢٧

وجهك البدر

حفيدي (زين العابدين مضر الأسد) يكمل اليوم عامه الثاني ونحتفل بعيد ميلاده بحضور أخواته (صيد، وسيراء) وأخيه الأكبر (رفعت) بعد أن عادوا جميعاً من رحلتهم في اللاذقية. وبحضور حفيدتيَّ (شهد هاني حيدر) (وساره هاني حيدر). واحتفالنا اليوم يتم بزين وشهد وهي التي دخلت عامها الثالث منذ ١/٧/١٩٩١ إلا أنها كانت في الإغتراب (بأمريكا) ولم نستطع أن نحتفل بعيدها وهي غائبة. ولذلك تم جمع المناسبتين بمناسبة واحدة، وكانت هذه القصيدة.

* * *

وجهُكَ البدر في سماء حياتي ... يا حبيبي، فاصبر على قبلاتي
وابتساماتُكَ التي ملء عيني ... هي أحلى ما كان في البسمات
والنداءآت منك تُطرِبُ سمعي ... مثلما وقعُ أعذب النغمات
تأتآت فصيحةُ الوحي، أوحت ... ليَ مالم أجده في الكلمات
وشكاوى من اعتداءات أخت ... أو أخ، نال منك بالصفعات
أنا عنها في عجز مجلس أمن ... يتلقى الشكوى بكل اللغات
ثم يلهو بأي شيء سواها ... مستريحاً لأتفه الترهات

* * *

يا حبيبي شوقي إليك حنين ... جهلته بقية العاطفات
زاحمتني عليك رملة شطٍ ... سكرت من مغازلات البنات
غرتُ منها، فعفتُ شاطيء بحرٍ ... بمحاراته وباللؤلؤات
وتسمرتُ في طريق دمشقٍ ... أرقب السالكين والسالكات
علَّ وجه الحبيب (زنزون) يجلو ... حلكة الليل في سماء حياتي
وأعرتُ الأبوابَ دقات قلبي ... لتضج الأبواب بالدقات

وتجيئون موكباً يتهادى	كتهادي الحمائم الزاجلات
شوقكم يسبق الخطا لتقصوا	ماشهدتم من قصة السابحات
وتقصوا لنا مغامرة البحر	مع الغائصين والغائصات
ومع (اللّنشِ) وهو يمخُرُ في البحرِ	عبابَ العواصف الهائجات
يتهادى حيناً ويُسرِعُ حيناً	ليباري النوارسَ الطائرات
(صيدُ) تروي، فتنبري (سيراءُ)	تبسطُ الأمر من جميع الجهات
وبسحر من البيان وعذب	من تراتيل أبلغ الآيات
يتصدّى (رفوعةٌ) للحكايا	وعلينا الإصغاء للحكواتي

* * *

يا حبيبي ضيوفُ عيدك جاؤوا	ليغنوا بعيدك الأغنيات
وأضاءت شموع عيدك فينا	فتقدم، لتطفئ الشمعات
(شهد) جاءت من البعيد لتحيي	معك العيد، وهي في الراقصات
قدُّها مائِسٌ، وكلتا يديها	تتلوى بأرشق الحركات
حَمَلَت من هناك (سارا) لتُعطي	لكَ (سارا) في جملة الأعطيات
هي تهدي أختاً، وأثمن شيء	بالهدايا، هديةُ الأخوات
فأرحها منها وأنت أثير	عندها في حياتها والممات

* * *

(شهد) يا(زين) قد قضت أمس عيداً	في بلاد توزِّع الآهات
حكمها يزرَعُ المآسي، ويَسقي	بالدماء الحقولَ للإنباتِ
لم تجد يوم عيدها عطفَ عمٍّ	لم تُمَتَّع بفرحة العمات
هي في غربة، وغربة (شهد)	حرمتها هدية الخالات
إن ذكرى ميلادها أرقتنا	فهي عنا في غيهب الظلمات

* * *

(أمريكا) (يا شهد) خصم لدود	صارم الوجه، عابس القسمات
ليس في أمر كرهها لبني قومك	شكُّ، ولات من شبهات
فاتركيها ولايغُرنكِ منها	بعضُ ماتشهدين من مغريات

وتعالي أرضَ الجدود ففيها　　من حنـان الجدود والجدات
مايُسَوِّي الحياةَ شهداً (لشهد)　　(ولسارا) السمراء والقادمات
عيد ميلادِ (زين) قد جمع الشَّملَ　　وكنـا قبيـلة فـي الـشتـات
عامه الثالث الذي هو آت　　أنـا لـولاه مـافـرحـت بـآت

* * *

دمشق ١٩٩١/٨/١

حاذري

كنتِ طفله
وأنا كنت وزيراً
وكبيراً
وتلاقينا كثيراً
كنتِ جاره
ترصدينَ الدرب، ليلاً ونهارا
وتصيحين إذا أبصرتني
قادماً
جاء الوزير
يومها استوقفني منك الفضول
وشقاوات الطفوله
والتماع الأعين النجل
واشراق الجبين
وتساءلتُ
من البنت الجميله؟
وتراجعتِ بلا خوف
وأفسحتِ الطريق
وتظاهرتِ ببعض من حياء
وأناألمس شعرك
وأنا أطبع قبله
فوق خدٍ، وردّته
حمرة من خجلٍ
ونضاره

قيل لي إنك جاره
وشقيه
وتغارين كثيراً
وتحبين كثيراً
وتظلين على نافذة البيت
عيوناً راصده
لاتملين استراق السمع
تصطادين همس السابله
وتلمين حكايا السابله
لتقصي بعضها حيناً
وأحياناً لإشباع الفضول
وشقاوات الطفوله
وافترقنا سنوات
باعدت مابيننا السكنى
وأعباء الحياة
ونسيتُ
لم يعد في خاطري
منكِ
ولاحتى بقايا ذكريات
لاتلومي
إنه البعد، وأعباء الحياة
إنها سن الكهوله
فاعذريني يا جميله
لم أعد أذكر شيئاً
من شقاوات الطفوله
أنت
يا طفلة أمسي

يا شقيه
ما الذي ذكرك اليوم باسمي
وبرقمي
يا صبيه
ولماذا جئت باسم مستعار
ما القضيه!!!
صوتك المغناج في الهاتف، أغرى صبوتي
فصبوتُ
وكما شئتِ، على الهاتف
أعطيتكِ وقتي
ومواعيدَ خروجي ودخولي
وغفوتُ
أجدل اللقيا منامات
كما صوّرها طيش خيالي
صوتك المغناج، أوحى لي، بما ليس يصدَّق
وأفقتُ
وإلى الموعد أسرعتُ الخطا
ناسياً شيبي، ومايوجبهُ سن الكهوله
من وقار
وكما تبدو عروس البحر من أعمق أعماق البحار
لعيون الراصدين
بعد أن أعياهُمُ طول انتظار
وأصيبوا بالدوار
هكذا أنت بدوت، حين أشرقت ببابي
وأنا أتلو كتابي
وجهك البدْرُ
وعيناك ظلال البحْرْ

واتساع البحْرْ
وقوامٌ أملدٌ كالرمْحْ
أمسَكَتهُ قبضة الفارسِ
من أوسطِهِ
فتجلى الخصْرْ
وتبسمتِ، وألقيتِ التحية
وتماسكتُ، قليلاً
وسألتُ
أنتِ مَن كلمني بالأمسْ؟
أنتِ من صيَّرتِ أمسي عرسْ؟
أنتِ من أسكرني صوتك حتى صرت أحلم؟
أنت؟
أهلاً يا صبيه، أنا أصغي فلتقولي
لي ماسر القضيه؟
وتبسمتِ بخبْثْ
وتلقيتُ الجوابَ، ثم باعدت الكتابا
وصمتُّ
وتماسكتُ قليلاً، وخجلتُ
إن أحلامي التي عشت بها
ولها، منذ أمس
أخجلتني
ما الذي سواك يا طفلة أمسي
فتنة للناظرين
ما الذي أضفى على صوتك هذا السحر
بل هذي الغوايه
ما الذي سواك تمثال غوايه
ولماذا جئتني

أتحبِّينَ بي الجارَ الوزير
أم تحبين بقايا من شباب
كان فتنه
أم تحبين بسني ومشيبي
وبنظّارات عيني، وماتحوي جيوبي
والداً مات وخلاكِ صغيره
لم يدللك كفايه
لم يداعبك كفايه
فأتيتِ
تنشدين الحب والتدليل عندي
بعد أن صرت غوايه
يا صبيه
حاذري أن توقظي البركان في صدري
فما زال بصدري، للبراكين بقيه
حاذري القبلة من ثغرك لي
لاتثيري نزواتي
لاتثيري شهوتي الحرى لقبله
حاذريني بعد أن صرتِ صبيه
قبلاتي عندما يبدأ سيل القبلات
لن تكون
بعدما صرت صبيه
مثلما كانت قديماً
قبلاتِ أبويَّه

دمشق ١٩٩١/٨/٨

سوف أبقى أتألم

يا إلهي
دلني إن كنت تعلم
ما الذي يمكن أن أفعلَهُ
وأنا في كل ما ألقاه حولي
أتألم
أنت من قدر أن أهوى الجمال
فهو عندي وحدةٌ لاتتجزأ
هو في زوجي وأهواها كثيراً
وهو أيضاً في سواها
فلماذا عندما أصبو قليلاً
لسواها
تجعل البيت جحيماً لايطاق

* * *

أنا لم أفعل سوى أني صبوت
للجمال
وهو ماقدَّرتَه أنتَ عليَّ
فلماذا أنتَ قدرت عليها
أن تغار
وتحيل البيت نار
وأنا فوق لظى جمر الجحيم
أتألم
يا إلهي
ما الذي أفعله بعد الكهوله

بعد أن أصبح أبنائي
شباباً وصبايا
بعد أن لم يبق لي من عمل أعمله
غير نظم الشعر
ورؤى أيام ماضيّ الجميله
يوم كان العمر فيضاً من رجوله
يوم كان السكر
قبلة من ثغر
أين منها الخمر
ما الذي أفعله اليوم إذا
ما نظمت الشعر
ورأتني (أم أولادي) بأبيات القصيدة
باحثاً عن حب
حالماً بالحب
أزرف الدمعة في البيت
بديل القافيه
فاستشاطت غضباً
وأقامت ضدي الدنيا
ولم تقعدها
فكرهت الشعر والنثر وعفت الأدبا
وانزويت
في زوايا البيت وحدي
أتألم
ما الذي أفعله يا رب قل لي
إنني في حيرة من أمر حالي
وأنا يا رب ضقت اليوم ذرعاً

بالألم
وإذا امتد بي العمر طويلاً
وإذا لم يمت التوق بقلبي
للجمال
وإذا ظلت حياتي عرضة للنكد
سوف أحيا ما تبقى لي من أعوام عمري
أتألم
يا إلهي
هل إذا قررت أن أهجر هذا البلدَ
ومشيت
تاركاً خلفي أهلي
أم أولادي، وأولادي، وأهلي
تائهاً في هذه الدنيا، أجوب الخافقين
باحثاً في كل صقع
عن وطن
ليس فيه غيرة في الحب
ليس فيه (أم أولادٍ) ترى الزوج قلاده
أو وساده
هل إذا قمت بهذا أستريح
من عنائي؟
ومَنِ الضامِنُ لي إن تم هذا
أنني أُسعَدُ باقي العمر
أو لا أتألم
يا إلهي
أنت فيما قاله عنك محمد
أنت حللت على الكره الطلاق
هل إذا طلّقتُ من أحببتُ؟

حتى لا أكون
أو تكون،
مبعثاً، للنكَدِ
هل إذا قمت بما حللتَ لي؟
كارهاً
أُنهي عذابي وأعيش
ماتبقى من حياتي
وأنا لا أتألم

* * *

(أمُّ أولاديَ) لولا أنها
نكدِيَّه
وترى الزوج قلاده
أو وساده
وتغار
كنت في صحبتها، أسعدَ أزواج البشر
هي عنوان الطهاره، وجميله
وهي أم فاضله، ورؤوم
وهي ترعى بيتها خير رعايه
وتصون، وتدبر، وكريمه
وهي في الجلى نصير ومعين
ومعي كانت وتبقى صابره
غير أني كلما عدت إلى البيت
أراها غاضبه
من غيابي غاضبه
من وجودي، وأنا في الصمت، تبدو غاضبه
من قراءآتي ومن شعري

ومن أهليَ تبدو غاضبه
أنا في موضع شك عندها
ولهذا فهي دوماً غاضبه
وأنا
من خوف أن أفقدها
ومن النار التي تحرقني
عندما أفقد صبري
من معاناتي بما ألقاه منها
من شكوك وغضب
أتألم
يا إلهي
هل إذا زوجت نفسي غيرها
استريح؟
ومَنِ الضامِنُ لي أن لاتكون؟
زوجتي الأخرى كما الأولى
غيوره
ومَنِ الضامِنُ لي أن لا أكون؟
عندها أيضاً قلاده
أو وساده
ثم من يضمن أن لا أتصابى
وأنا
مثلما قدرتَ لي أهوى الجمالا
وإذا أقعدني السن
عن السعي الحثيث
للقاء في مواعيد غرام
فمَنِ الضامِنُ أن لا أستمر
باحثاً آناء ليلي ونهاري

عن لقاء ومواعيد غرام
أُسعِدُ القلب بها حتى ولو كانت
خيالا
يا إلهي
حالتي فيما أظن
مالها في هذه الدنيا علاج
وسأبقى أتألم
وبظني أن آلامي نبيله
وبظني أنني أدمنتها
فإذا الآلام جافتني
قليلاً أو كثيراً
سأرى نفسي من جفوتها
يا إلهي أتألم

دمشق ١٩٩١/٨/١٢

رثاء ونداء

في منتصف الساعة الأولى من يوم الجمعة الواقع في ٤/١٠/١٩٩١ الموافق ـ ٢٦ ربيع الأول/١٤١٢ هـ انتقل والدي الشيخ حيدر محمد حيدر قدس الله روحه ونوَّر ضريحه، إلى جوار ربه عن عمر يجاوز التسعين عاماً (١٨٩٥ ـ ١٩٩١) في مستشفى الأسد الجامعي بدمشق، وتم تشييعُ جثمانه الطاهر إلى مثواه الأخير في (بيت ياشوط ـ منطقة جبلة) في موكب شعبي مهيب، نظراً لما كان يتمتع به من حب وتقدير بين الناس وفي حفل تأبينه كانت هذه الأبيات:

* * *

بعد رزئي به تهون الرزايا ... بعده لم أعد أخافُ المنايا

بعده عربدي إذا شئت يا ريحُ ... وهاتي من كل ثلج شظايا

كنتُ أخشى عليه لفحة بردٍ ... تتقرى منه خبيء الحنايا

كان لي منحةً من الله أغلى ... ما أفاء الرحمن لي من عطايا

وأنا بعدما استردته مني ... جنة الخلد، لا أطيق الهدايا

* * *

لاتقولوا صبراً جميلاً فرزئي ... أيها الناس هد مني قوايا

كان قلبي، ومات. كيف عزائي ... أتُعَزّى بموتِ قلبي يدايا؟

قُطعت من ثرى الحياةِ جذوري ... بعد أن غاب في الثرى والدايا

لا تُلام الأغصان في يبس الجذع ... إذا الريح صيرتها بقايا

* * *

أبتي يا أحَنَّ قلب على الأرض ... وأنقى سريرةٍ في البرايا

أنا في البيت، قادمٌ من بعيد ... واشتياقي إليكَ يحدو خطايا

فلماذا لم تكتحل بمحياك ... وقد جن شوقها مقلتايا

أين قرآنك الكريم، وأن النهج ... تتلوهما، وأين الوصايا؟

أين أوراقك الكثيرة والكتبُ ... وكانت تضيق عنها الزوايا
أين صوت الشيخ المجلجل بالحق ... ينير الداجي، ويجلو الخبايا

* * *

أبتي أقبل المريدون فاقرأ ... من تراتيل فكركَ الحر آيا
حِكمٌ في بيانك السمح تبدو ... بوضوح الأشياء خلف المرايا
أنت جيلٌ حيٌ، وذاكرةُ الفهم ... لجيل مضى، كثير المزايا
عشتَ تسعين حجةً تعبد الله ... جهاراً، وفي خفي النوايا
مسلما، مؤمنا، بباب علي ... وبنيه، أنخت ركب المطايا
وعلى منهج الإمام علي ... وبنيه، سموتَ تجلو الخفايا

* * *

أبتي إن بكاكَ شعبي إماما ... وفقيهاً وموئلاً في الرزايا
أنا أبكيك والداً وصديقاً ... هَمُّه أن أنالَ كلَّ منايا
يسهر الليل في التوسل والزلفى ... لكي لا أضلَّ دربَ هدايا
ويصلي ليمحو اللهُ عني ... إثم ما قد أُبلَى به من خطايا
ويسوق الأعذار للناسِ عني ... حين لايعذرانني عازلايا

* * *

أبتي أبلغ السلامَ لأمي ... أنتَ أدرى بلوعتي وأسايا
أنت أدرى بالشوق يُضرِمُ قلبي ... وعلى ناره تذوبُ حشايا
أبتي قل لها مدى ما تُعاني ... أخواتي، وما به أخوايا
يومها كنتَ سلوةً وعزاءً ... ومعيناً على جميع القضايا
وهُمُ اليوم بعد داهيةِ الخطب ... أفاقوا على جميع البلايا
أبتي ماعساهم يفعلون اليومَ، ... في أمر حزنهم، وعسايا
نحن يا سيدي غدونا يتامى ... ودموعُ اليتيم بعضُ السجايا
أبتي يا معلّمَ الحب والصفح ... أنادي، وأنتَ موحي ندايا

أيها الشعب، وحدة الرأي دين فاعتنقه، وانبذ جميع الحكايا
إن درب الإسلام درب سوي فاسلكوه، ولو مشيتم حفايا
ورداء الإسلام خير رداءٍ فالبسوه، ولاتظلوا عرايا
حققت أمةُ العروبةِ نصراً يوم كان الإسلام للفتح رايا
يوم كان القرآن نهج سلوكٍ وصوىً، لاتضل عنها السرايا
وهو اليوم مثلما كان بالأمسِ، فهبوا إليه نهجاً وغايا
هو هذا نداؤنا، فاسمعوني ورجائي بأن ينادي سوايا

* * *

دمشق ٤/١٠/١٩٩١

أميره، ودره

أطلعني أحد الأصدقاء هذا اليوم على كتاب بعنوان (لقاء مع عيسى بن هشام) تأليف (أميره الدره)، وأميرة الدره مدرسة قديمة في ثانويات دمشق تعرفت إليها منذ عام ١٩٦٨، ولم تكن وفق ماتركتهُ لدي من إنطباعٍ أولي - سوى فاتنه، مهذبه، أنيقة، تتذوق الأدب، (ورمانطيكية) جداً، ومن بقايا الأرستقراطية الشامية الحزينة على أن نفوذها قد تأثر سلبياً بإنقلاب (٨ آذار ١٩٦٣) - وصرنا صديقين من خلال مهنة التدريس ثم باعدت الأيام بيننا إلاّ لماما وبالمصادفات النادرة جداً.

وفي كتابها الذي أشرت إليه وجدتها ناقدة اجتماعية وسياسية من الطراز الأول ومتعاطفة مع الكادحين (بعد أن أصبح الكادحون السابقون أرستقراطيي المجتمع بفضل (الثورة) وأصبحت الطبقة (الأرستقراطية) القديمة هي الطبقة الكادحة، فكانت هذه الأبيات:

* * *

أميرةُ عشقٍ، لا أميرةُ أفكارِ ... عرفتُكِ، يا أحلى من القمر السّاري

وما كنتِ فيما كنتُ أحسَبُ دُرّةً ... لغير عقودٍ من نثيري وأشعاري

وهوّمتِ عني في البعيد، وفرّقت ... خطانا التي مالست أدري، وإعثاري

ومثل شهابٍ قد تمرين لحظةً ... وقبل ارتدادِ الطرف من خطف إبهارِ

تغيبين عني، لا أراكِ، وإنّما ... يدل عليكِ الطيب، يا طيب زواري

إلى أن أتاني عنكِ ما قد أغارني ... وخلّى لساني فيك يفضحُ أسراري

عشقتِ من التاريخ شخصاً فضولُه ... يعرّضُهُ في كل يوم لأخطارِ

يروحُ ويغدو كالرقيب ليجتني ... لدى كل عصرٍ عنه باقة أسرار

ويسترق الأخبارَ من كل موقعٍ ... ولو خبّؤوها خلف جدران أسوار

أتيتِ (بعيسى بن الهشام) لعصرنا ... وزودته عنا بعلمٍ وإخبارِ

وأغريته فينا، فسلَّ لسانَه ... وأَفتَلَ مايصمي، لسانٌ لثرثار

فلولاكِ لم يكشف من (الحكم) عورةً ولم يتحدث بالذي فيه مِن عارِ
جَبُنتِ عن النقدِ الذي شئتِ قولَهُ فجئتِ به يحيي الليالي لسمّارِ
وقوَّلتِه ماشئتِ أنتِ، وإن هُمُ أَتَوا بكِ في التحقيق لذتِ بإنكارِ

* * *

أميرة قلبي بل ودرةَ مفرقي أجيبي، متى كنتِ الخبيرةَ في الدار؟
ترينَ عيوباً كنتُ أحسَبُ أنني لوحدي، أراها تحت مرآةِ منظاري
دعي عنكِ (عيسى بن الهشام) فإنني برفقتكِ الأُولى ولو طال (مشواري)
تعالي إلى قلبي، وعقلي فإنني وهبتكِ قلبي قبلَ أخذكِ أفكاري

* * *

دمشق ٩/١١/١٩٩١

المسافرتان

في هذا اليوم سافرت حفيدتاي (شهد وسارة) إلى أمريكا حيث يقيم والداهما (هاني وعروب) طلباً للعلم، فكانت هذه الأبيات.

* * *

فراقكما يضني ويشقي ويسهدُ ... وقربكما يغني ويهني ويسعد
ولولا التأسي عنكما ببقيةٍ ... من الحفداء القاطنين، لأُنشدُ
أيا موت زر إن الحياة كئيبة ... ببعدهم، والعيش عيش منكَّدُ

* * *

سيأتي عليّ الصبح (لاشهدُ) أجتني ... لثغري، ولا (سارا) لسمعي تغرِّدُ
وأوشكُ أن أشكو (عروباً وزوجها) ... إلى اللهِ، إلا أنني أترددُ
هما والدا شهدٍ وسارا وإنني ... لأعلمُ شوقَ الوالدين وأشهدُ
ولكننا جد أليف وجدَّةٌ ... تُذَم من الأحفادِ حيناً وتُحمَدُ
وتمنحهم في كل حين محبَّةً ... تلوَّنُ في أثوابها وتجدَّدُ

* * *

حنانيكما كانا هنا كل متعتي ... فكيف سأحيا والتَّعلَّةُ تبعُدُ
أعيداهما لي واصبرا وتجلَّدا ... لبعدهما، لم يبق عندي تجلُّدُ

* * *

دمشق ١٩٩١/١١/٢٠

يا أبا الشعر

في هذا اليوم بلغتني نعوة أستاذي المرحوم الأستاذ أحمد ابراهيم عبد الله المدرس والشاعر والمناضل. وفي محراب شاعريته جئت أتعبَّدُ بهذه الأبيات. راجياً لها القبول عند روحه الطاهرة.

* * *

يا أبا الشعر، يا أخا الشعراءِ ... يا سليل القصيدة العصماءِ
أنت بالشعر سوف تخلد حيا ... ويموت الباقي من الأحياءِ
شعرك النكتة الذكية والظَّرف ... ونقد يصمي ولو بحياءِ
وهجاء تأنق اللفظ فيه ... فغدا وهو غير لفظ الهجاءِ

* * *

أنعزي ونحن من سيُعزَّى ... فيك يا سيدي أخا الشعراءِ؟
أنت علمتنا فنوناً من الشعر ... وكرَّهتنا بفن الرثاءِ
ذاك أن الرثاء ندب على الموتى ولحن يثير دمع البكاء
والذي أنت مؤمن فيه لحن ... عربي الإيقاع والإنشاء
يبعث العز في النفوس ويعلي ... راية النصر حرة في العلاء
عشت عنوانَ عزةٍ وشموخٍ ... فإذا مُتَّ، مُتَّ رمزَ إباء

* * *

دمشق ٢١/١١/١٩٩١

عرفتُكِ يا جيبولُ

نعي إلى اليوم فضيلة العم الشيخ كامل يوسف الخطيب، صفي الوالد ورفيق حياته، فلاح لي الأمر و كأنه اتفاق بينهما ليترافقا في جنةِ الخلد كما ترافقا في هذه الدنيا وقبل أن أصِل من دمشق إلى قرية (جيبول). في منطقة جبلة - حيث عاش المغفور له ودفن - كانت هذه الأبيات:

* * *

عَرَفتُكِ (يا جيبولُ) للظُّرفِ ناديا ... وللمشتكي مما يعانيه، آسيا

عرفتك ظلاً بالمحبّة وارفاً ... عرفتك نوراً في الدُّجُنةِ هاديا

عرفتك علماً حصحصَ الحقُّ عنده ... فأصبح مجلوُّ المضامين باديا

عرفتك ماءً سلسبيلاً معطَّراً ... يعطره الندمان بالطهر صافيا

يروي عطاشَ الناس من كلِ ملَّةِ ... فلو وردوا، لم يعرف الناسُ صَاديَا

فمالكِ!!! كاد اليَبسُ يُذوي نضارةَ ... وكادت مياهُ النبع تخجلُ سَاقيا

ومالكِ، والقصَّادُ أنّى لقيتُهم ... لقيتُهُمُ وجهاً عبوساً وباكياً

بربِّكِ هل ما كنتُ أخشى وقوعَهُ ... غدا واقعاً يدمي الحشا والمآقيا؟

وهل كامل الإيمانِ والظُّرف والندى ... ورب القوافي، أصبح اليومَ ماضيا؟

إذن، فاذني لي جئت ربعكِ باكياً ... أعزيكِ، بل إني أعزي القوافيا

أعزي به الإيمانَ والعلمَ والندى ... وخلقاً كعفو الله، سمحاً وهانياً

أعزي به شعباً وآلا وإخوةً ... أعزي به نفسي، لقد كان غالياً

هو العمُّ، والإلفُ الوفيُّ لوالدي ... وكنتُ أراه فيه حيّاً وباقيا

ومنذ ثوى لم يبقَ لي من مثابةٍ ... فصرتُ كأني قد تيتّمتُ ثانيا

* * *

قضى في سبيل الله تسعين حجةً ... وظل به سيفُ الحقيقة ماضيا

يذود عن الإسلام كيد منافقٍ ... ويدفع عنه كاذباً ومرائيا

فلم يخش في الإسلام لومة لائمٍ ... ولم يستمع في الحق لحياً وَلا حِيَا

يوالي علياً والأئمة آلهُ ... ويبقى لمن والى علياً مواليا
ويدعو لدين الله بالجدِّ تارةً ... وبالظَّرف أحياناً، فبوركَ داعيا
يروِّضُ بالحسنى شِماسَ مكابرٍ ... ويمحو القِلَى من قلبِ مَن كانَ قاليا
يجاذب في حبلٍ من الودِّ هاجراً ... فيجذبه، حتى ليغدو مصافيا
وفي لمحات من ذكي حديثه ... يهدهد غضباناً ليصبح راضياً
مزايا هي الإرثُ القديم لآله ... تباركَ إرثُ الأكرمين معاليا

* * *

حنانيكَ يا عمَّاه جئتك راجياً ... وماخبتُ يوماً حين آتيكَ راجيا
تفضل وخذ مني رسالة مدنَفٍ ... إلى والدي، واذكر له بعض مابيا
حنانيك أشواقي لرؤية وجهه ... تحيل ندي العيش حران صاديا
وشوقي لأن أصغي لعذب حديثه ... يناز عني وعيي، فما عدت واعيا
أفتش عنه في زوايا مقامه ... وأسأل عنه الرائحين الغواديا
وأخشى عليه البرد، إن هبَّ ريحها ... فقد كان يخشى الريح إن هب عاتيا
أفتّش في أوراقه فأراكما ... نجيين في شعر يدق معانيا
وتوقظني أني فقدتكما معاً ... قصائد شعر أرسلوها مراثيا
فأصبر والصبر الجميل علامة ... على العجز، يرضى العاجز الظلم قاضيا

* * *

حنانيكِ يا جيبول لم تبق كعبةٌ ... سواكِ إليها يسمع الحج حاديا
(فمكة) صارت للدخيل مرابعاً ... إليها ومنها يستحث النواجيا
تعج بآلاف السكارى، وكلهم ... بغير أذان الله جاء مناديا
وصخرة بيت القدس تشكو عواهراً ... بغايا، فلم يترك لها الدهر حاميا
نواشز من كل اللغات تجمعت ... لتسكنه، فالقدس صار ملاجيا
(تجمَّعَ فيه كل لسن وأمةٍ) ... سوى الضاد، صار القدس للضاد ناسيا
ووحدك يا جيبولُ أصبحت قبلةً ... ومنسَكَ حجٍ، والحمى والمحَاميا
ترابك مثوى الأكرمين وإنه ... لأندى تراب الأكرمين مثاويا
فتيهي بهم فخراً على كل موضعٍ ... بهم وبعقباهم رَقَيتِ المراقيا

دمشق ١٩٩١/١٢/١٣

عُرسُ الخلود

إلى روح العم الكريم الشيخ كامل يوسف الخطيب، في ذكرى مرور أربعين يوماً على وفاته، قدس الله روحَهُ، ونوَّرَ ضريحه.

* * *

زغاريدُ، أنّى راحَ سمعُكَ يسمَعُ ... وشمسٌ وأقمارٌ تغيبُ وتطلَعُ
وآلاف آلافِ الثرياتِ عُلِّقَت ... فما لثريّا في السماواتِ موضِعُ
وحورٌ وولدانٌ تروحُ وتغتدي ... بروحٍ وريحانٍ به تتضوعُ
صفوفاً صفوفاً والمزامير رجعُها ... يشنِّفُ آذاناً تصيخُ فتسمَعُ
وفي ظل عرش الله جلَّ جلالُه ... ملائك لاسم الله تعنو وتخشع
وأرواح من آبوا إلى اللهِ قبلكم ... ترتِّلُ آياتِ الهدى وترَجِّعُ
وآخِرُ ركب الوافدين إليهم ... عيونهُمُ من فرحةِ القرب تدمَعُ
صفيّاك، عبدُ اللهِ هادي، وحيدرٌ ... للقياك أشواقُ الصفيين تُهرَعُ
وتلقاهما، قلبٌ يذوب مودةً ... ووجهٌ بأنوار الولاية يسطعُ
وبينهما تختالُ، لامِشيةَ الونى ... تعاني، ولا عُكّازَةُ الشيخ تظلَعُ
فعالمُ قدسٍ أنتمُ في رحَابِهِ ... أجلُّ من الشكوى وأسمى وأرفعُ
تُجاذبهم ظرفَ الحديث وعذبَهُ ... لتنأى بهم عن كل ماهو مفجعُ
ولكنّه التذكارُ والشوق والجوى ... وبعضُ فضولٍ لم يزل يتطلَّعُ

* * *

وتُسألُ عن حالِ (الحسين) وغيره ... من الصحب، ممن قد تركتَ وودَّعوا
فقل لرفاق الدرب إن رفاقهم ... يؤرقهم شوق النداءِ ليَرجعُوا
وما همهم إلا الرجاءُ بأنهم ... لحسن مآبٍ سوف يُدعونَ إن دُعُوا

* * *

وتُسأَلُ عنّا عن بلادٍ وأمّةٍ	تجرّعُها الأيامُ ذلاً، فتَجرَعُ
تكادُ بها حكامُها، دون حاجةٍ	ولا طلبٍ منه، لدى الخصم تركَعُ
يفيء عليها اللهُ مِن غيرِ منّةٍ	عطاءً فنغدو، والعطاءُ مضيَّعُ
ويحشدنا الحكامُ نهتف عالياً	بشكر عطاياهم، ونحن نُجَوَّعُ
ونهتِفُ، يحدونا على الدربِ خوفهم	أيُعذَرُ شعبٌ هاتف حين يَفزَعُ!!!

* * *

معَارضَةُ الحكامِ، بعضُ شجاعةٍ	وأكثرهَا عدلٌ من الحكم يشفَعُ
وحينَ تُولِّينا الشجاعةُ ظهرها	ويحكمنا ظلم فلا يتزعزع
يكون نضالُ الصمتِ أشجعَ موقفٍ	إذا قبلَ الحكامُ ذلك أو وَعَوا
وإلاَّ فإن الصمتَ جرم معاقبٌ	عليه، ولاشيء سوى الشكر يَنفَعُ

* * *

وتُسألُ!!! لكنَّ الجواب كما ترى	إذا قلتَ، يدعو الكلَّ أن يتوجعوا
وعُرسُكَ يا عماه في الخلد فرحةٌ	نَضِنُّ بها عن وصفِ حَال يُروِّعُ
فأرجوكَ غُضَّ الطرف عن أن تجيبَهُم	فذهنك وقادٌ، وظَرفكَ مُبدِعُ
تحدث إليهم، فالحديث مشوِّقٌ	وكلهم فيما تُحَدِّثُ مولَعُ
وأرجوك يا عماه نسيانَ حَالِنا	لتبقى بما أنتم به، تتمتَّعُ

* * *

دمشق ١٩٩٢/١/٢٤

موطن النجوم

قبل عشرة أيام، انتقل إلى رحمته تعالى، فضيلة الشيخ كامل صالح معروف، وهو من أتراب والدي، ومن أصدقائه المخلصين، ورفاقه الأثيرين، والراحل الكريم، واحد من أربعة أعلام ذهبوا تباعاً وخلال أشهر معدودات، وهم بحسب تسلسل انتقالهم إلى جوار الله.

الشيخ عبد الهادي حيدر، والشيخ حيدر محمد حيدر، والشيخ كامل يوسف الخطيب والشيخ كامل صالح معروف عليهم السلام.

إن هؤلاء الراحلين، وكوكبة من رفاقهم في محافظات اللاذقية وطرطوس وحماه كانوا مشاعل النهضة التي قادها الشيخ (سليمان الأحمد) خلال هذا القرن. فإليهم من خلال الراحل الكريم الشيخ كامل صالح معروف أقدم هذه الأبيات:

* * *

جبلٌ طاولَ السماءَ فطالا ... وارتدى الغيمَ عِمَّةً وعِقالا

وتخفّى بجُبَّةٍ من ضبابٍ ... ألبسته مهابةً وجلالا

شفَّ حتى ما عاد يُبصرُ منه ... أيُّ راءٍ يراهُ إلا خيالا

وإذا أزبدت سيولُ الأعادي ... حولَهُ، شَبَّ فوقها وتعالَى

وشموخ الجبالِ، ما كانَ يوماً ... مطمحاً يرتقي إليه الكسالى

* * *

جبلٌ أعجزت مناعتُه التركَ ... فشدَّت عن جانبيه الرحالا

وأقضَّت صخوره من فرنسا ... مضجعاً، فالرقادُ كان محالا

قد توالى عليه في كل عهدٍ ... من عهودِ اضطهادهم، ماتوالى

أنكروه ديناً قويماً، وأصلاً ... طاب في المكرَمَاتِ، عمًّا وخالا

وأرادوه للضلالةِ والجهلِ ... مقاماً وموئلاً، ومثالا

فأبى ذلك المصير، وأرخى ... للجيادِ المطهَّماتِ، المجالا

في سباقٍ إلى ارتقاء المعالي ... طالَ فيه عقلاً حصيفاً، وجالا

زادُه في السَّباق فصحى ونهجٌ	وكتـابٌ منـزّلٌ إنـزالا

* * *

جبلٌ ظلَّ رغم كل اضطهادٍ	عنفواناً سَمَا، وعزَّ منالا
دَعواتُ الإخاء والحب والوحدةِ، كانت قيلاً لديه وقالا
وأغانيه رغم كل التجني	لم تجاوز حَدَّ (العتابا، ولالا)
وهو في الدين والعروبة، عَادَى	من يعادي، في الأقدسين، ووالى
وإذا لاحَ فيه بعضُ نشازٍ	كان كفراً فيما يرى وضلالا
وأباهُ قولاً وفعلاً وأدمى	بظُبَاهُ صدرَ النشاز قتالا

* * *

جيلٌ، مثْلَ الفقيدُ وجيلٌ	من رفاقِ الفقيد، فيه المثالا
قاوموا الجهلَ والخُرافةَ والبغيَ	جنوباً، وقاوموها شمالاً
حاربوها بالشعرِ والنثر والموقفِ	قولاً منزَّهاً وفعَالاً
إنهم جندُ قائد الحملةِ الكبرى	(سليمان). فيهم الحقُّ طالا
تحت راياته، مشوا من جهادٍ	لجهادٍ، ولم يملوا النزالا
عَلِقُوا النَّصرَ دِريَةً ونبوغاً	فاستووا فوق ظهره، أبطالا
منهمُ كاملُ السجايا، ابنُ معروف	وأكرِم بالصَّالحين خصالا
شـاعرٌ، لايَبـذُّه المتنبي	فكرةً، أو فصاحةً، أو خيالا
وأديبٌ، في نثرِهِ نفحاتُ	(النَّهجِ)، تبدو، كتابةً وارتجالا
وفقيه بقولِهِ يدركُ الناسُ	حَراماً من أمرهم، وحلالا
مرجعٌ، في جوابه محكماتٌ	لاتخلي للسَّائلين سؤالا
وإمام صَلاتُهُ تأسر القلبَ	فلا يستطيع عنها اعتزالا
كاملٌ وهو في ولاءِ علي	وبنيه الأطهار، زاد كمالا

* * *

يا ابن زيتونةٍ على (جبل الزيتون)   طابت أصلاً، وطابت نوالا
زيتها كان دائماً وسيبقى   في السراج المنير يعطي اشتعالا
جيلُكَ الجيلُ، علَّمَ الناسَ معنى الحُبِّ في اللّهِ منهجاً ومقالا
علَّمتنا خطاكُمُ كيف يبني   عالَمُ الأرضِ، بالسماء اتصالا
إنَّهُ العقلُ، فيضُ إشراقةِ الحقِّ   تجلَّى بدايةً ومآلا
وجهادٌ في الله، جَلدٌ شجاعٌ   لم يهن، بَلَهَ أوهن الأغلالا

* * *

تلك آثاركم تدل عليكم   تتحدى على الزمانِ الزوالا
سوف تبقى من بعدكم، وسيبقى   شعبكم ينحني لها إجلالا

* * *

جبلٌ، موطن النجوم، سيبقى   جبلاً، يمنَحُ الهدى الضُّلاَّلا
لم ينَل منه جَاهل، من قديم   وهو اليوم يرفض الجهالا

* * *

دمشق ١٩٩٢/٢/١

أبا إياد

الرفيق محمد علي حسن (أبو إياد) من الرفاق الحزبيين الجيدين الذين قضوا حياتهم جهاداً في سبيل المبدأ الذي آمنوا به، عرفته منذ أوائل السبعينات، واستمرت علاقتنا إلى مابعد منتصف الثمانينات فقلَّت اتصالاتنا خوفاً عليه من زياراتي له أو زياراته لي، وفي وفاته شاركت في العزاء، وأنا اليوم في أربعينه الذي يصادف السابع من هذا الشهر، أقدم إلى بنيه وآله هذه الأبيات:

* * *

الإسم، والهدف المقدس واللَّقَب — وصداقةٌ عزت، وقربى في النَّسَب

وجحودُ عهدٍ، قد بذلنَا جهدنا — كي لايقال عليه جلاَّب الكُرَب

شَدَّت أواصِرَنَا، فكنتَ محبَّباً — عندي، وكنتُ لكَ الوفيَّ المجتَبى

لا عن قلىً كان التباعُدُ، إنَّمَا — كي لا أثير عليكَ ألوانَ الرِّيَب

* * *

أأبا إيادَ، وأنتَ أصدَقُ ناصحٍ — لو تستسيغُ النصحَ آذانُ الخشب

قل لي. ألم تيأس وأنتَ تسوقُه — نصحاً، ولا أغلى، لمن لم يستجب

عشتَ الحياة كما أرادتك العلا — تعطي بلا مَنٍّ هناكَ، ولاطَلَب

أنشأتَ أجيالاً، فكنت معلماً — فذاً، وكنت مؤدِّباً، جمَّ الأدب

وعملتَ في لغةِ البيان مقوماً — أخطاء مَن عَجُمُوا، ولو سُمُّوا عَرَبْ

ودفعت عن صدق العقيدة كيدَ مَن — جاؤوا لتبديل العقيدةِ بالكذب

* * *

أأبا إيادَ، رحلتَ رحلةَ فارسٍ — لم يثنه الخذلان عن طلب الأرَب

جَسَدٌ وَنَى لكنَّ همةَ نفسِهِ — أبداً تسير به على هام السُّحُب

عش في جوار الله عيشة هانئٍ — واترك لباقينا مكابدة التعَب

أبناؤكَ الأبرار خيرُ عزائنا — وسماؤكم أبداً تضيء بها الشُّهُب

* * *

دمشق ٤/٢/١٩٩٢

أيها الموت

إلى روح العميد صالح الخطيب، الذي توفاه الله يوم الجمعة الموافق ١٩٩٢/١/٣١ إثر نوبة قلبية لم ينفع معها الطب، أهدي هذه الأبيات:

* * *

مِن عزاءٍ لاينقضي لعزاءِ ... ضِقتُ ذرعاً، كفى، بحق السَّماءِ
أيها الموت، قد عدوت علينا ... وتماديت في ألَدِّ عداءِ
أهو ثأرٌ أدركتَهُ!! أم تراها ... خبطةٌ من تخبط العشواء
هي سادية إذا رقص الموتُ ... وغنى، على نشيج البكاءِ

* * *

أيها الموتُ، لاتقل عالَمُ الروح ... جميلٌ، وفيه دارُ البقاءِ
هل سمعتَ الأمَّ الرؤومَ تناجي ... ولداً، حُمَّ فيه أمر القضاءِ؟
هل رأيتَ الأطفال تبكي أباها؟ ... دمعَةُ اليُتمِ، جمَرةُ الأحشاءِ
إنه الثكل والتيتُّمُ والبُعدُ ... عن الأقربين والأصدقاء
والخلودُ الذي قطعتَ به الوعدَ ... وتزجي به جميلَ العزاءِ
ليسَ إلاَّ أضغاث حلمٍ وبعضاً ... من عزاءٍ يساق للأحياءِ
والسماءُ التي تشير إليها ... مهمَهٌ فوقَ مهمَهٍ، من فضاءِ
يزرعُ الخوف في النفوس، فلا شيء سوى الخوفِ في رحاب السَّماءِ

* * *

لستُ أدري يا موتُ، أي سلاح ... فيكَ أمضى، في سَاحةِ الهيجاءِ
شبحٌ أنتَ لاتُرَى، ولهذا ... ليسَ لي فيكَ غير مُرِّ الهجاءِ

* * *

إنَّ (عبد الرحمن) مازالَ ثأراً ... نلتَ منه، ولم تُنَل بجزاءِ
ما جنته يداكَ فيه سيبقى ... مثلاً للجريمةِ النكراءِ

فلماذا لم تتعظ؟ إنّك اليوم تعيد المأساةَ، دونَ حياءِ
صَالحٌ، مَن غدرتَ، مثلُ (أبي المنذر)، في عنفوانِ عمر العطاءِ
وبنوه على الشقاءِ صغارٌ مثل أبناء عمهم في الشقاءِ
صالح كان ذخرَهم، مثلما كانَ (أبو منذرٍ) محطَّ الرجاءِ
ورؤومٌ، وأيِّمٌ، وعناءٌ بعدَهُ، قد يهون كل عناءِ
وإخاءٌ، أُبوَّةٌ، ذاقَ فيها أخواهُ، أضعافَ حزنِ الإخاءِ
ووفاءٌ في الأهلِ يجعل للنّكبةِ وقعاً، مضاعفَ الأصداءِ
واحتياجٌ مِن أمّةٍ قَلَّ فيها مثل مَن غلتَهُم مِنَ الأبناءِ
مشهدٌ كررته كفُّكَ يا موتُ كأنّا نعيش في كربلاءِ

* * *

أيها الموتُ، أنتَ لغز كبيرٌ وأنا فيك أجهلُ الجهلاءِ
كلما شئتُ أن أراكَ بوجهٍ واضحٍ، جئتَ مغرقاً بالخفاءِ
يكبر العمرُ بالشيوخ، ونرجو من لدنهم، هدايةَ الحكماءِ
ويموتُ الشيوخُ منا تباعاً فأرى فيكَ مُهلِكَ العقلاءِ

* * *

ويموتُ الشبابُ في نضرة العمر عليهم دلائلُ النجباءِ
موسمُ الخير، ألفُ بشرى لديهم تتجلّى وعداً، لعين الرائي
فأرى فيكَ، مَن يُحيلُ الأماني بغدٍ مشرقِ الرؤى، لهبَاءِ

* * *

ويموتُ الأطفالُ في المهدِ مرضَى أُرضِعُوا مِن يديكَ نسغَ الداءِ
ويموتُ الحكام في كل أرضٍ ويموتُ العاصي من الأشقياءِ
ويموتُ الغني عمّا لديهِ من ثراءٍ كميّتِ الفقراءِ
فأرى فيكَ قاتلاً يتخفّى كلما مَاتَ ميِّت، بِرداءِ

* * *

كل حَيٍّ يموت، والموتُ يبقى فكأنَّ الخلودَ ملكُ الفناءِ

* * *

أيها الأصفياءُ آلَ خطيبٍ   يا أحبَّ الأصحاب والأصفياءِ
(إذا أعزيكم فنفسي أعزي)   وبقلبي أبكيه لا برثائي
جئتكم أحملُ النَّصيبَ من الخطبِ، وماجئتكم مِنَ الشعراء

* * *

دمشق ١٩٩٢/٢/٧

عيد الأم

اليوم تحتفل البلاد بعيد الأم، وأتطلع حولي فلا أرى أمي، وتلتهب أشواقي إليها أضعاف ماكنت أحس بها يوم أن كانت زيارتها ممكنة، فإلى أبنائي وأحفادي أتوجه مخاطباً في عيد الأم، لعل النصيحة تنفعهم فلا يضيعون وقتاً يعيشونه بعيداً عن أمهاتهم:

* * *

بعد أمي، ماعدت أعرف عيدا ... بعدها ماعرفتُ يوماً سعيدا
عشتُ في نعمياتها بعضَ عمرٍ ... ما تمنيتُ غيره أن يعودا
نفحاتٌ من الحنانِ، وحُبٌّ ... كان حباً، وسوف يبقى، فريدا
في رحاب الذكرى، أعيش عليه ... بعد أن صار عن وجودي بعيدا
ولهذا فالعيد عندي نصحٌ ... لجميع الأبناء، بيضاً وسودا
أن يعيشوا نبض الحياة مع الأم ... قياماً من حولها، وقعودا

* * *

حكمة الأب لابنه، وعليه ... أن يربي على هداها الحفيدا
إن صدر الأم الرؤوم أمانٌ ... فقدُهُ، يجعل الأمانَ فقيدا

* * *

دمشق ١٩٩٢/٣/٢١

جيل المناضلين

الأستاذ أحمد جعفر سلمان، تتلمذت على يديه في (البعث) منذ عام ١٩٤٦ أي قبل التأسيس الرسمي للحزب، ورغم أنه قضى حياته مناضلاً في صفوف حزب البعث فقد كان في الطليعة أيام النضال السلبي. وانكفأ إلى الظل بعد أن أصبحت سورية تحكم باسم الحزب، عاش مناضلاً فقيراً، ومات معتزلاً فقيراً، توفاه الله منذ مايزيد على عشرين يوماً، ولكنني لم أسمع بموته إلا اليوم، فإلى روحه الطاهرة أرفع هذه الأبيات:

* * *

جيلٌ تُمثّلُ فيه القولَ والعملا ... والمرتقى الصعب، والإقدامَ والأملا

جيلٌ تنطّحَ للجُلّى فعاقرهَا ... خمراً، وكانت لديه الكأس والثَّمَلاَ

جيلٌ حياتُكَ تلخيصٌ لسيرته ... فهل أذنتَ لأروي بعض مااعتَمَلاَ

* * *

في أربعيناتِ هذا القرن، كنتَ لنَا ... معلماً، وأخاً، والقدوةَ المَثَلاَ

علمتنا (البعثَ) أخلاقاً وتضحيةً ... ومبدأً في هداه نأمَنُ الزَّلَلَا

علمتنا أننا من أمّةٍ صنَعَت ... حضارةً، نوّرت للعالَمِ السُّبُلَا

لكنَّهَا لوثَةُ الطغيانِ، قد هدَمت ... ما أرسَلَ اللهُ، في بنيانه الرسلا

وأضعفت كلَّ سورٍ من مناعتنا ... واستنفرت ضِدّنا الفسّاق والدّخلاَ

علّمتنا أننا جيلٌ تُرَشِّحُهُ ... أقدارُهُ للعلى، إن أحسن العملَا

جيلٌ مهمّتُهُ توحيدُ أمّتِهِ ... فلا يَظَلُّ دخيلٌ، لايقالُ جَلَا

الشعبُ غايتُهُ، والشعب عُدَّتُه ... بالشعبِ يسترجِعُ الأمجادَ والأَثَلاَ

* * *

علّمتنا وأنرتَ الدّربَ، وانطلَقَت ... أقدامُنَا تتقرى السهلَ والجبلَا

عقدٌ وأكثر من أعوام عزتنا ... تهدي سواءَ سبيلٍ كان مقتبِلَا

* * *

وأربَدَّ جَوٌّ، وغَامَت كَلُّ واضحةٍ ... وصارَ دربُ حُدَاةِ الشعب مشتملَا
ضاعت فلسطين، بل ضاعت كرامتنا ... وأرضنا، وفقدنا الخيلَ والإبلَا

* * *

وفي أوائل سبعيناتنا لمَعَت ... في الأفقِ، بارقةٌ، شدَّت لها المقَلَا
في يومها. قلتَ لي ماظَلَّ في خلدي ... حيًّا، كجذوة نور الحق، مشتعلا
ويومَهَا كان همي أن نظلَّ معاً ... في الحزب، لا أن أرى الأستاذَ مرتحِلَا
وكنتُ أحسبُ أنَّا سوفَ ننقذُهُ ... مما به، ونداوي عنده العِلَلَا
وسوف نبعَثُ في أستاذِنا ثقةً ... بالبعثِ، ضَيَّعَها الخطبُ الذي نزلا
ومَرَّ بي وبه مالستُ أذكره ... فصارَ فرضٌ وجوبٍ بيننا نَفَلَا
وقيلَ ماتَ: ولا والله ماخَلُدَت ... في البعث من قيمةٍ إلا التي حَمَلَا

* * *

يا ميّتاً عاش في دنياه معتكِفاً ... محرابَهُ، وعن الآثامِ معتزلَا
شَرُّ البليّةِ أن تحيا إلى زمنٍ ... كُلُّ الأمانيِّ فيه قد دنَت أجَلَا

* * *

أقصر أبا معن، قلبي عن محبتِّكُم ... يا آل سلمَانَ، رغمَ البعدِ ما عَدَلَا
والحب أقدس مايبقى بعَالَمِنَا ... وعالَمُ اليومِ هجرٌ كلُّهُ وقِلَى
عشنا حياةً معاً، لولا تـ كرها ... لقلت للموتِ زُر يا موتُ ألف هلَا

* * *

دمشق ١٩٩٢/٤/١

تناثر در العقد

يتناثر جيل والدي من علماء الدين العلويين تناثر الدر من عقد اللالي‌ء، و كان آخر الراحلين، فضيلة الشيخ عبد الكريم سلامه من قرية (ربعو) منطقة (مصياف)، وعلى الرغم من أن معرفتي الشخصية فيه قليله، إلا أنني وجدت نفسي مسوقاً وراء عواطفي لهذا الجيل من المتميزين الأفذاذ، و كانت هذه الأبيات:

* * *

تناثر دُرُّ العِقد وانفرط العِقْد ... وأقفر ربعٌ بعدهم، وانطوى مجدُ

شموسٌ، وأقمارٌ، تتالى غروبهم ... فَغُمَّ علينا بعد نورهمُ القصدُ

أيُحمَدُ ربٌّ شاءهم في جواره ... إذا كان هذا. يا إلهي لكَ الحمدُ

* * *

أتيتُ أعزي الآلَ، آلَ سلامةٍ ... ومابيننا ودٌّ قديمٌ، هو الوُدُّ

تُنَازِعُنَا فيه الحياةُ تباعداً ... ولكنَّهُ يبقى، ولو كرهَ البعدُ

تُعَرِّفني بالعَمِّ آثارُ والدي ... وعمي وخالي، والذي ترك الجَدُّ

فأعرفه فيهم، ولو قلَّ بيننا. ... لقاءٌ، فإن العهد بينهم عهدُ

توَرَّثتُ عنهم حُبَّ أهل ودادهم ... فوِردُهم وِردي، وقد عذب الوِردُ

وباسمهم أرثي رفيقَ جهادهم ... على غير عرفٍ. إنه العلم النجد

تفوحُ طيوبُ الوَردِ في كل موضعٍ ... فيشتَمُّها أنفٌ، ولو لم يُرَ الوَردُ

* * *

بذكركَ يا عماه، أجلو وجوهَهُم ... رفاقك من أهلي وقد أقفرت نَجدُ

ويعبقُ من طيبِ بمثواك طيبُهم ... توحَّدتُمُ في الدينِ فأتَّحَدَ النِّدُّ

ظُلِمنا، وحاشاكم، بحاصل قسمةٍ ... لنَا مُرُّ حزنِ اليتمِ، إذ لكم الخُلدُ

وأنتم، وأيمُ الله للخلدِ أهلُهُ ... بذلتم له جَهداً، فأثمرهُ الجَهدُ

فهل نستحق اليتمَ والحزنَ والأسى ... حنانيكَ يا رباه، روَّعنا الفقدُ
خُطُوبٌ على شعبي تجمَّعَ شملُهَا ... وأحسَبُ أن الأفقَ بالخطب مربدُ
بقيةُ أعلَامِ تكادُ سيوفهم ... بما جاهدَت تعيا، فيأسرها الغمِدُ
حسينٌ وإبراهيم، صنواك في الوغى ... بقية ميهوبٍ ومرهجٍ، إن عُدُّوا
تُنازِعُنَا شيخوخةُ الجسم فيهم ... وأرواحهم لله قد شفَّها الوجدُ
لكلٍّ نبوغٍ في الحياةِ مهمَّةٌ ... هي الجدُّ والتحصيلُ والبذلُ والرفدُ
وأعمارُ كل النَّابغين نقيسُهَا ... بحاجتنا، لا بالسنين التي تبدو
ولو لم يكن هذا، إذن لتساويا ... بوحدةِ مقياسيهما، الحُرُّ والعبد
وأنتم ومهما طالَ عمرُ بقائكم ... تظلُّونَ عينَ الشعبِ في نورهَا يغدو
وفقدكم يبقى على الشعب نكبةً ... تزلزله، حتى ليوشك ينهَدُّ

* * *

حنانَكَ يا عماه حزني لفقدكم ... وخوفي على الباقين ليس له حَدُّ
فَمَن بعدَكم للعلم والدين والتقى ... ومَن بعدَكم للرشد، إن فُقِدَ الرشدُ
فهل أنا من حزني، بيأسٍ، أم أنَّها ... حقيقةُ أمرٍ واقعٍ ما له رَدُّ
وعفوكَ يا عمَّاه كن أنتَ والألى ... مضوا لجنان الخلدِ، وفداً، هو الوفدُ
وسوقوا إلى الله الضراعة إنه ... سميعٌ، مجيبٌ عنده الصدق والوعد
ليدفع عنا شرَّ بغي عدوِّنا ... فما غير جند الله يحمي الحمى جندُ
وإن لم تحوطنا عنايَةُ ربكم ... سيعدو علينا كل من شاء أن يعدو

* * *

دمشق ١٩٩٢/٤/١٠

تصابي الكهول

* * *

لم أجد مايزيلُ عنّيَ مابي   غيرَ ماقد أعيشه من تَصابِ
ولهذا عبدتُ ماكانَ قبلاً   بين قلبي وقلبها من شِعَاب
وأعدتُ ارتباطَ حبل ودادي   وشددتُ الواهي من الأطناب
وحملتُ النّايَ الحنونَ وشبّبتُ   بنَايي، لحنَ الهوى والرغاب

* * *

وأطَلّت من شرفةِ البيتِ بدراً   علقت في جبينِهِ أهدابي
فأثيرت رغائبي، وتصوّرتُ   بأني مازلتُ غَضَّ الإهَاب
وتطاولتُ علني أبلغ الشرفةَ   من فوق تلّةٍ من ترابِ
فهوت بي شيخوختي، فأطل البدرُ   من أفقه، يعاين ما بي
هِمَّةٌ رَكّبت جناحين من شوقٍ   وجسمٌ هوى على الأعتاب

* * *

واختفى البدرُ ضاحكاً من جنوحي   وتهاديتُ ظالعاً في إيابي
أتقرى جسمي الرضيضَ، وأهوي   بيدي نافضاً غبار ثيابي

* * *

أدبُ العشقِ لابنِ ستين عاماً   غير آدابه بعز الشبابِ

* * *

دمشق ١١/٤/١٩٩٢

يا آل أحمد

أمس تلقيت دعوةً لحضور حفل تأبين المرحوم منير الأحمد ابن المرحوم بدوي الجبل في ٢٤/٤/١٩٩٢ فإلى روحه الطاهرة أقدم هذه الأبيات:

* * *

الظلمُ للحُرِّ أمرٌ غير مُحتَملِ ... يميتُهُ قبلَ أن يدنو من الأَجَلِ

وحينَ يرفض حُرٌّ أن تطولَ به ... حياته. وهو من ظلمٍ بمعتَقَلِ

فموتُه موقِفٌ عِزٍّ، وليس لكم ... على المنيّةِ من لومٍ ولا عَزَلِ

* * *

يا آل أحمد، آلُ البيتِ قدوتُكم ... لكم بهم أسوة، في العَلِّ والنَّهَلِ

كمثلهم منكم في الدين مؤتَمَنٌ ... على خزائن علم الله والرسُلِ

ومنكم مَن إذا سَاءلْتُ أمّتنا ... عمَّن حمى مجدها، ترنو إلى البطل

ومثلهم، من دماكم كل طاغيةٍ ... له نصيبٌ، ويبقى الحقُّ حَقُّ عَلي

* * *

أبا محمد، ذكرى عهد أنسكم ... هنا وفي الشام ملء القلب والمقَلِ

أيام يُصبحُ فينا الصبحُ يُسكِرُنا ... شعرٌ نغنّيه في وصفٍ وفي غَزَلِ

وفي هجاءٍ نأى عن كل فاحشةٍ ... فجاءَ لفظاً أنيقاً غيرَ مبتذَلِ

يُصمي، كَحَدِّ حسامٍ، كلّما مَلِسَت ... شَباتُه، كانتِ الأصمى بلا جدَلِ

وفي مديحٍ يقولُ الحقَّ لا كذباً ... ولاريـاءَ. ولازلـفـى لمُهـتَـبِـلِ

يُنَزِّلُ الشعرُ فيهِ الآيَ معجزةً ... بالمفرداتِ، وبالمعنى، وبالجُمَلِ

نذوقُ من كل خمّارٍ معتَّقَهُ ... ومن جنى كلِّ عسّالٍ رُقَى العسَلِ

مِن امرئِ القيس مشبوبَ الهوى ثَمِلاً ... إلى رؤى بدويٍّ في ذرى الجبل

أطلَّ من أفقِ الصحراءِ في لغةٍ ... تأنَّقت من ذرانا الشم بالحُلَلِ

غنّى بها الوطَنَ الغالي، فأطرَبَهُ ... وأفزَعَ الظلمَ حتى انجابَ من وجَلِ

بشِعرِهِ وبأسيافِ الألَى امتشقوا سيف الجهادِ، أُضيأت شعلَةُ الأمَلِ
وما عليهم إذا كانت مساوئُنا قد أخمدت في الأماني جذوةَ الشُّعَلِ
والحقد أقتلُ ما تُبلى الشعوبُ به ويلي علينا. ومِنَّا ألفُ واخجلي
ماضَرَّ لو أنَّ مَن لاموا لِمَا زعموا من الخطايا، مشوا من غير ما عَجَلِ
واستوثقوا، وأقاموا العدلَ في رجلٍ كانَ الوفيَّ لهم بالقول والعَملِ
أو فلنقل أنَّهُ خانته عاطِفَةٌ وزَلَّ. مَن هو معصومٌ عن الزلَلِ؟
فكيف ننزع عنه كل مأثرةٍ وكيف نُسلِمُه للداءِ والعِلَلِ؟
الله أكبر هذا نجمُ أُمتنا من ألف عامٍ، وهذا النجم في زحلِ
أخلاقُ عصرِ انحطاطِ لايلام بها غير القتيل، ويبقى القتلُ لم يُنَلِ

* * *

أبا محمد، فلتعذر إذا سكتت يراعتي عن مدى قولٍ، فلم أقلِ
وإن أقل لستُ كذاباً ولانَقِماً وإنني لِوَلِيِّ الأمر خيرُ وَلِي
لكنَّه الخوفُ مما قد أُخذتَ به وأن أُحَمَّلَ ما يعي به جَمَلي
ويعلمُ الله، أني ما أردتُ بهم شراً، وأعطيتهم نصحي بلا دخَلِ
لكنني سوفَ أبقى مخلصاً أبداً للشعب والأرض في حِلِّي ومرتحلي
وسوف أبقى أنادي لا أخاف بها وشايةً لعزولٍ أو لمنتحِلِ
دربُ الهدى، هو درب الشعبِ مَن سلكَت أقدامه غير درب الشعب لم يصل

* * *

يا آل أحمدَ إني في ربوعكم أشارك الأهل حزنَ النكبة الجلَلِ
وأحمل الود، ودُّ الأكرمين مضوا للأكرمين، ووداداً غير منفصِل
إن الجذوع وقد طابت منابتها تبدي نضارتها في غصنها الخضل

* * *

يا آل أحمد، نهجُ الحق جمَّعَنَا كُنَا عليه معاً في سَالِفِ الأزَلِ
وسوف نبقى على النهج القويمِ معاً واللهَ نسألُ منجاةً من الخطلِ

* * *

دمشق ١٩٩٢/٤/١٧

سارا العربيَّه

تحتفل حفيدتي (سارا هاني حيدر) بعيد ميلادها الأول، يوم غد، وحفيدتي اكتسبت جنسية أمريكية بالولادة، ومازالت مقيمة مع والديها وأختها في أمريكا. وعلى لسان حفيدتي نظمت هذه القصيدة تخليداً لهذه المناسبة الغالية.

أنا سارا العربيَّه

عيدُ ميلادي، غداً، فتذكروا، عيدَ ميلادي

وهاتوا لي الهديَّه

جئتُ من مغتَرَبي، خلفَ البحار قبلَ أن يمضيَ من عمريَ عَـام

لأَراكم

لِأَرى أهلي يعيشونَ على أرض الجدود

آه مـا أجـمـلـهـا أرضَ الجدود

وقريباً

رغم أني لا أريد، سوفَ - يا أهلي - إلى مغتَرَبي

سوف أعود

* * *

أشعِلُوا شمعتي الأولى، فلن أطفِئَهَا

سـوفَ أبـقـيـهـا لـكـم مـشـتـعِـلَـه

تمـلأ الـبـيـتَ ضـيـاء حينَ قطع الكـهرباء

* * *

جدَّتي

لاتغضبي مني إذا (القاز) انكَسَر

كُسِرَ الشَّرُ، أزيلي

أثَرَ (القاز)، فلا يبقى من الشر أثَر

لم يكن (فازُكِ) يا أمَّ أبي عندما داعَبتُ خديه. خَذِر
فَرَّ مني، فَهَوَى، لم أرتكِب فيهِ إثماً، إنما (الفازُ) عثَر
في غدٍ
يومَ يناديني السَّفَر، وأطير
أحملُ الذكرى إلى حيثُ ولدت
سوف أبقى عندكم
ذكرى جميله
بشقاواتي، وأفراحي، وأحزاني الجميله
أنا أدري
أن جَدّي، سوف يبكي لذهَابي
وستبكي جدتي أيضاً، وتنسى
كل ماسقت إليها، من عذابِ

* * *

أنا لن أنساكم في المغترَب
كل خالاتي، وعماتي، وعمي
وجدودي
من قريب أو بعيد
وسأبقى أذكر الأتراب في كل لَعِب
سأنادي دائماً (صيد) (وتاتي)
سأنادي دائماً (فافي) (وزين)
وإذا عانيتُ من غيرةِ (شهد)
سأنادي
أين (بشرى)!! أين (زينه)!!
سوف أدعوهم جميعاً، علَّها تخشى عَلَي
من وجود الآخرين
علَّهَا تذكر أني أختهَا، علَّهَا ترأفُ بي

وتُبقّي ليَ من حُضنِ (عروب)
زاويَه
فأنا في غربتي، ليس لدي
غير تلك الزاويه
(شهدُ) في غربتها، لمَّا تَزل
مثلَهَا عندكم حينَ تغار
كل شيء ملكها

* * *

عندما يُقبِلُ (هاني)، وتغار
تملأ البيتَ صراخاً وعويلاً، وغناء
وتُسوِّي المستحيلا، أملاً أن لايراني
وإذا قلتُ بأني عَائدَه   تركَبُ الدربَ، فما من فائده
عيد ميلادي غداً
هل لكُم
في غدٍ، أن لاتقولوا لِيَ كَلَّا!!!
أنا أدري، أنني في (الشام)
وأنا أعلمُ ما نحنُ به
في بلادِ المغترَب
من هناءٍ وسعَادَه
وعلى رغم الذي أشعره، من فروق
بين ما أنتم به في الوطنِ   والذي نحنُ به في المغترَب
أنا أرجوكم بأن لاتهجروا، مثلنا أرض الوطن

* * *

دمشق ١٩٩٢/٥/٦

غدرتِ بي

إلى التي أخلفت وعدها ولم تعتذر.

* * *

غدرتِ بي. بعد أن أفعمتِني أملَا والغدرُ، يا بنتُ، أمرٌ ليس محتملَا
ماضرَّ لو قلتِ إني عنكَ في شُغُلٍ فلا يظل عليكِ البالُ منشغِلا
أخشى عليكِ، وخوفي لايهدهدُهُ سوى اللقاءِ، لهذا جئتُهُ عجلا
لملمتُ من كل روضٍ، قبلَ موعدنا أندى الزهورِ، ولما عفتِهِ ذَبُلَا
واصطدتُ أفكار أهل العشق كلهم وجئتُ فيها، وقد لحنتها، غزَلا
وكنتُ أحلم فيما قد أجازُ به عنها، ولو أن مَن أحببتهم بخلا
ضَمّاً، وذوب رحيقِ الثغرِ أَرشِفُهُ من مجتني ثغرِ مَن أحببتها قُبَلَا
فخابَ ما كنتُ أرجوه وآملُهُ غدرتِ بي بعد أن أفعمتني أمَلَا

* * *

دمشق ١٩٩٢/٥/١٢

الشعّرُ والشَّعرُ

من وحي الأمسية الشّعريّة التي أقامتها السيدة الشاعرة غادة فؤاد السّمان في المركز الثقافي بدمشق:

* * *

لشِعرِكِ وقعٌ في النفوسِ جميلُ ... ولكنَّهُ رجعُ الصدى ويزولُ
وذلك أن الخوفَ في الناسِ علَّةٌ ... تأثَّرَ فيها السمعُ، فهو عليلُ
يخافونَ إن ألقوا لقولِكِ سمعَهُم ... عقاباً، وذنب السّامعين مهولُ
وإلاَّ لكان الشّعرُ منكِ رصَاصةً ... تصيب فؤادَ البغي، فهو قتيلُ
فرفقاً بهم، ولتسكتي عن قصيدةٍ ... يكون صدَاها مأتَمٌ وعويلُ
لشَعرِكِ إيماءٌ يثير صبابة ... يُحاوِلُ شيبي قصرَهَا وتطولُ
خيوطٌ من الفجر الأصيلِ تجمَّعَت ... لتحجب بدراً ضَلَّ عنه أفولُ
تخافُ على وَردِ الخدودِ اشتهاءَنَا ... فتلقي عليها الظِّلَّ، وهو ظليل
وإن كشفت كفاكِ عن بعض وجنةٍ ... تَلوحُ لِعَيني روضَةٌ وخميلُ
وقَدُّكِ أوحى للبلاغةِ قولَهَا ... إذا وَصَفَت قَدّاً، تقولُ، أثيلُ

* * *

جمالُك أخّاذٌ وفكركِ مخصبٌ ... ويجذبني للحالتين فضولُ
فهل ليَ في دنياكِ موطيء ناقةٍ ... لألقي به رحلي، وفيه أقيلُ؟
إذا كان هذا فهو مِسكُ ختامِهَا ... وإلا، فحظي في الحياةِ قليل

* * *

دمشق ١٩٩٢/٦/٤

هكذا تموت الشموع

مساء يوم الجمعة الواقع في ١٩٩٢/٦/٥، انتقل إلى جوار ربه خالي الشيخ عبد الوهاب حيدر عن عمر يناهز الثمانين عاماً، وهو ثالث عظيم تفقده العائلة خلال أقل من عامين فإلى روحه الطاهرة وإلى أرواحهم جميعاً أقدم هذه الأبيات:

تموتون مثل الشمع يذوي ويذبُلُ ... ولكنَّه يبقى يضيء ويشعَلُ
تباعاً تباعاً، لاتُخلُّونَ موضعاً ... من القلب إلا والأسى فيه يفعَلُ
لكم هِمَمٌ قعثاء تُضني جسومكم ... ويَقصُرُ عنها العمرُ وهو مُطوَّلُ
وقيمتكم في الناسِ أن عقولكم ... تنير لهم دربَ الهُدى وتجمِّلُ
ورثتم عن الأجداد عزاً وسؤدداً ... وورَّثتمونا منه ما هو أفضل
تركتم لنا مجداً أثيلاً، وإنما ... أنطتم بنا ماسوف يضني ويثقِلُ
لأنَّ فراغاً تتركونَ وراءكم ... كبير علينا مَلؤه، إذ نُحمَّلُ
فما نحن إلا جدولٌ من بحوركم ... ولا يستوي في الناس بحر وجدولُ
ولكننا والله يشهد أننا ... سنبذل جهدَ المستطاعِ ونأمَلُ

* * *

رأيتُك في تشييع خالي ووالدي ... تمنَّيتَ لو هم من أقامَ وترحَلُ
بكيتَهُمُ مُرَّ البكاءِ، وها هم ... بلقياك مزهوونَ في الخلد حُفَّلُ
تنضَّرتِ الدنيا بكم في حياتكم ... وها أنتم والخلد أزهى وأجمَلُ
فللّهِ عصرٌ كنتم عينَ عصرِهِ ... وللّهِ آتٍ بعدكم كيف يهزُلُ

* * *

نأيتم ولن ينأى عن البال ذكركم ... فأنتم لنا عقلٌ إذا نحن نعقِلُ
وأنتم عناوينٌ لنا حين ننتمي ... ويعرفنا فيكم فتى، حين يجهل
إذا قيل هذا حيدريٌّ تبادرت ... أساميكم في ذهن من جاء يسألُ

فأنّى لنا النسيانُ والكونُ حولنَا ... مليء بكم. في مجدكم نحن نرفُلُ

* * *

حنانيكَ يا عمّاهُ عيشِيَ بعدكم ... مريرٌ، وليلي أيها الخالُ ألْيَلُ
تيتّمتُ مراتٍ بفقدِيَ والدي ... وعمّي وأخوالي وعمريَ يذبُلُ
وصرتُ أليفَ الهَمّ بعد فراقكم ... وألبس ما الصبر الجميل يفصّلُ
عزائي بكم، أبناؤكم، ومهنّدٌ ... هو السيف تبلوه الحروب فيُصقَلُ
بقية أسيادٍ عباديلَ لم يعد ... سواه لدينا منكم اليوم عبدَلُ
يطوف به قلبي حناناً وخشيةً ... ويرصده يمضي حزيناً ويُقبِلُ
وأرجو له العمرَ المديدَ فإنّهُ ... بقيّةُ غيثٍ، عندمَا كان يهطِلُ

* * *

حنانيكَ بَلّغ أهل بيتكَ أننا ... على عهدهم باقون لانتحول
نسير على درب الهدى لن يصدنا ... عن المثل الأعلى دعي مضلِلُّ
ولن يردَ الظمآن منا مواردأ ... إذا لم تكن من منهلِ الحق تنهل
وعهداً بأن نبقى مع الشعب لانرى ... سوى رأيه، فيما يقول ويعمَلُ
حنانَكَ هجرانُ الأحبّةِ مؤلِمٌ ... ولو أنها الجنات دارٌ ومنزِلُ
تلفّت فإن الشعب في يوم فقدِكم ... يكبر من هولِ الأسى ويهلّلُ
وأهـلٌ وأحـفـادٌ صـغـارٌ وأيّمٌ ... وأبناء صدقٍ، والخطوب تزلزلُ
توسّل إلى مولاكِ أذناً بِطَلّةٍ ... علينا، فإني باسمهم أتوسّلُ

* * *

دمشق ١٩٩٢/٦/٥

سوسن

صبية كأحلى ما تكون الصبايا، أطلت بدون موعد، وسألتها الإسم والعنوان فقالت أن اسمها (سوسن) وأنها من (باب توما) فكانت هذه الأبيات:

* * *

سوسنةٌ في طيبها، سوسنُ ... وغصنُ بانٍ قَدُّهَا اللَّين
والليلُ من ذوب دجى ليله ... أهدى لها فاكتحلت أجفُنُ
والفجرُ مزهواً بألوانِهِ ... في وجنتيها، بل هي الأحسن
وناهداها بوحُ رُمَّانةٍ ... مشبوبة الشوق، ولاتزعن
والشهدُ، إلا من لما ثغرها ... جَنَاهُ لايُغني ولايُثمِنُ
أبصرتها اليوم فما أبصرت ... عينايَ منها غير مايفتِنُ
سألتُ من أين؟ فقالت أنا ... من (باب توما) أيها المؤمن
فقلتُ: هل في (باب توما) هنا ... بحرٌ وشطآنٌ، ولا أفطن؟
سمرةُ هذا الجسم يافتنتي ... بحريَّةٌ، لا مَرْهَماً يُدهَنُ
عرفتُها من لفح شمسِ الضحى ... على رمَالِ الشَّطِّ، يا سوسنُ
فالبشرة السمراء في شاطِئي ... خمرٌ على سكري بها أُدمِنُ
كيف سرقتِ الخمر من دنه؟ ... ودينكم قال: أن استأذنوا
ياقرة العين، أنا مسلم ... لكنني في شرعتي هين
والدينُ إن كان عدو الهوى ... والحب، لايعجبني الدين

* * *

يا قرة العين مشيبي الذي ... في لمتي، مثل الضحا بيِّنُ
لكنه الخدعة، كي تحسبي ... وأنت عندي أنه المأمَنُ
قلبي في الحب فتى طائش ... والشيب تمويةٌ، فلا تأمنوا

* * *

دمشق ١٩٩٢/٧/٥

يا غادتي

مساء أمس تحقق الوعد، والتقينا، جاءت متأخرة عن الموعد، وواضح أنها تعمدت إهمال مظهرها، كما تعمدت طوال السهرة أن تنقد نفسها نقداً ذاتياً، وأدركت أنها فعلت ذلك عامدة ولغاية في نفس يعقوب.

فكانت هذه الأبيات:

* * *

حاولتِ في يوم اللقاءِ الأوَّلِ ... وفشلتِ، في أن لاتصيبي مقتلي
أهملت موعدنا، فكان تأخرُ ... وأتيتِ مُهمَلةً، فلم تتجملي
ووصفتِ نفسَكِ لي، فكنتِ شراسةً ... وتقلباً بالطبع غيرَ مُعَلَّلِ
وأسىً يَرِينُ، وليس ثمَّةَ موجبٌ ... وشرودَ ذهنٍ، دونَ أي تأمُّلِ
وتململاً إن عشتِ داخِلَ منزلٍ ... وتململاً إن عشتِ خارج منزل
وظننتِ أنَّكِ بعدما أسمعتِني ... نقداً لذاتِكِ، سوف أسمَعُ عُزَّلي

* * *

يا غادتي، أنا عاشقٌ لتَميُّزٍ ... في العقل، لا في اللبس أو في المأكل
ولأنتِ في هذا توقُّدُ شُعلةٍ ... من فوقِ شاهقةٍ، بلَيلٍ أليَلِ
وأنا الذي ضَلَّ السبيلَ بمهمهٍ ... ظُلُماته اتَّسعت لكل مضَلَّلِ
ورأى على مافيه، ومضةَ شعلةٍ ... أيضلُّ عنها؟ وهي آخر موئل

* * *

يا غادتي، بعد اللقاءِ تأكدَت ... كُلُّ الرؤى السكرى بحلمي المخملي
لاتسألي ماذا فعلتِ بمهجتي ... بعد اللقاءِ، وإن تشكّكتِ اسألي

* * *

دمشق ١٩٩٢/٧/١٧

رأي

بعد لقائنا الثاني، سألتني أن أوقِفَ سيل مجاملاتي لها (كما قالت) وأن أقول رأياً صريحاً بلا مجاملات، حول ديوانيها اللّذين أهدتهما إلي. ونزولاً عند رغبتها كان هذا الرأي:

وتسألني
متى تُنهي احتفالَ الزارِ
تسبيحاً بآلائي؟
متى أسمعُ منكَ القولَ
كالكيِّ على المفصَل
يثير كوا مِنَ الآلامِ   في أعمق أعماقي
ويشفيني
ألا إنَّ الكلام الصدقَ   مثل الكي (بالصُّوفان)
له طيبٌ كضوعِ المسكِ   مسكوبٌ مع الألمِ
ويشفي موضِعَ الأَلَمِ
أريدُكَ أيها النقَّادُ   أن تقرأ أشعاري
وأن تنسى انفعالاتي   وجِدِّيَّةَ أظفاري
وأن تنسى انفعَالَكَ بي
فلستُ أريدُ إرضائي   ولا أطلِبُ إغضابي
أريدكَ قارئاً للنَّصِّ   يكشف كُنهَ آياتي
ويدرك نبضة الإحساس في قلبي
ويصطادُ رؤى أحلاميَ السكرى
وراء الأفق المجلُوِّ
في خيط شعاع الفجر
مغزولاً بإلهامي

أريدُكَ قارئاً يمتاحُ   أسبابَ نزولِ النَّصِّ
من إدراكِ مأساتي
وتعلَن أنني أخطأتُ - إن أخطأتُ - في التعبير عن ذاتي
فنَصِّي ليس قرآناً   ولا أرغب أن تعكف
صوفياً بمحرابي
سألتِ
وحار بي قلمي   فلا يعلَمُ ما يكتُب
قرأتُ
فمن رأى الكلمات   سيفاً قُدَّ من ذهَبِ
له غمدٌ حريريٌّ   إذا يُغمَد
وإن يُشهَر   فصعقةُ لمسةِ التيار
لامهرَب
تظنُّ وأنتَ في المطلع   كأنَّ الدرب خط الأفقِ
ممدوداً إلى الأبعَد
وتفجَؤُكَ الخُطَا الأولى   كأنَّكَ صرتَ محمولاً
على ظهر بساط الريح   في عاصف أرياح جنونية
ويهبط فيك أو يصعد
فتشهقُ خشيةً حيناً   وتشهقُ متعةً حينا
وأنت تمر بين الغيم   يبرِقُ فيكَ أو يرعِد
فأنتَ بكل شريانٍ، بكل وريد
مشدودٌ لما تقرأ
ولاتدري أتكتُبُ أنتَ   أم أنَّ الذي يُكتَب
يعبِّرُ عنكَ
حتى لاترى فيه سوى أنتَ
سوى ما فيكَ، مفتوحاً، وكنتَ تظُنُّهُ مُغلَق
سألتِ:
وحارَ بي فكري   فلا أعلَمُ ما أكتُب

قرأتُ نصوصَ ديوانِك سمعتُ نزيفَ شريانِك
رأيتُكِ أحرفاً فيها تنزَّلَ نَصُّ قرآنِك
فأبصرتُكِ في كل قوافيكِ وأوزانِك
ولكنَّك يا أحلى مِنَ الأحلى بديوانِك
طلبتِ إليَّ أَن أتلُو نصوصَكِ، ناسياً أنتِ
فعذراً
ما قرأتُ هناكَ ليسَ سواكِ في أسطُر
وأنتِ أثرتِ إعجابي فكيف يصحُّ أن أنكِرا!!!

* * *

دمشق ١٩٩٢/٨/١

أملٌ خابَ

كنتُ على موعدٍ معها هذا اليوم، ولكنني اضطررت لإلغاء الموعد، نظراً لوفاة والدة أحد الأصدقاء، فكانت هذه الأبيات:

* * *

أن نلتقي، ونغني الوصف والغزلا — والهجو، نشرب منه العَلَّ والنَّهلا
ونسكب الشُكرَ من أدنانِ قافيةٍ — نُدمان خمرتها قد أدمنَ الثَّمَلا
هذا هو الأمَلُ المرجو عشتُ له — ويوم موعده لم أدركِ الأملا
بُدِّلتُ بالأمل النشوانِ تعزيةً — لفاقدينَ أساهم يجرَحُ المقلا
ويقتضيني وفائي أن أعزيَهُم — محمَّلاً كبدي ما ليسَ محتملَا
فكانَ خطبي أضعافاً مضَّعَفةً — مِمَّا ابتلاهم به الخطبُ الذي نزلا

* * *

عزيتهم وأنا فيما نُكبتُ به — عز العزاء، ونلتُ اللومَ والعذلا
مَن ذا يضمِّدُ لي جرحي وقد نكأت — آلامُهُ ألفَ جرحٍ خلته اندملا
وبلسمي في لقاءِ مترفٍ نضرٍ — يذوب فيه رحيقُ المجتنى قُبَلَا
هذا هو البلسَمُ الشافي فإن بخَلَت — به عَليَّ، فلي وِترٌ على البخَلَا
وإن تَجُد فنعيم الله جمَّعَهُ — لي الإلهُ، وأعطانيه مختزلا

* * *

يا بنتُ لا تغضبي إن بحتُ في أملٍ — صانته نفسي عن بوحٍ به، خَجَلَا
أسرارُنَا المسكُ. ريحُ المسكِ يفضحُهُ — حتى ولو أودعوه الحُقَّ معتقلا
إن كنتِ طالبةً حُبَّاً تهدهدُهُ — أبوةٌ، لم تفيئي ظِلَّهَا الخَضِلَا
فإنني عشت فيها العمرَ في ولدي — وما أزالُ، وحبي فيهم اكتملا
فلتقبلي الحُبَّ مني كيفما حفِلَت — به قوافيَّ، حُبّاً ليس منتحَلَا

ولتفهميه كما يرضيكِ زاعمةً — أبوةً أو إخاءً ظَلَّ متَّصِلَا
أو فلتقولي صديقٌ، كل أمنيتي — أني النموذج في إيثارِكِ الرجلَا

* * *

يا بنتُ، لاتخجلي إن كنتِ معجَبَةً — بالشيب، يبقى خيالُ الطفلِ منفعلا
إن بحتِ لي فأنا يا بنتُ مؤتَمَنٌ — وأنتِ عندي أغلى مايقالُ غَلَا
خوفي على الوَردِ من أنفاس محترقٍ — شوقاً، ينجِّيهِ مني، فهو ليسَ ولَا
أخشى عليكِ صباباتي فأكبتها — لكِنَّها الجمرُ. يبقى الجمر مشتعلا

* * *

دمشق ١٩٩٢/٨/٧

تاريخ ميلادي

وتسألني بعد تعارفنا، متى تاريخ ميلادك؟ فأجيب:

* * *

يوم التقينا معاً، تاريخُ ميلادي فتلطمئني، أنا في عمر أحفادي
شيبي خديعة عجز لا ألوذ بها إلا إذا غـازلـتني أم أولادي
لي في هواكِ صباباتٌ أكابدها قد أثلجت نارُها أكباد حسّادي
أشهى الموارِدِ قدامي، ويُوردني سرابَهُ، فأظلُّ الوارد الصادي
ومايؤرقـني أني وأنـتِ معاً في بؤرة الشك، للغادي وللبادي
وكل أمنيتي أن لايخيب بنا شكٌّ، فشكُّهُمُ يمني وإسعادي
أدنو، أمُدُّ يدي، ارجو، وتَسَحَرنُي كَفٌّ تُمَدُّ إلى صدري لإبعَادي
أصوغُ ملتَمَسِي آياً أرتِّلُهَا وأسكب السِّحرَ في ألحَانِ إنشادي
فلا أنالُ سوى التسويف يحمِلُ لي وهماً بوعد، وتأميلاً بإيرادِ
فوهم وعدِكِ لي أحيا به وله ولست أدري متى أو أينَ ميعَادي

* * *

دمشق ١٩٩٢/٨/٢٠

وحقِّكِ إنَّه قَدَرُ

من على شرفةٍ تُطِلُّ على سهل الزبداني، أَطَلَّتْ. وكانت الشمسُ تميل إلى الغروب، وتفاعلاً مع المنظر الأخَّاذ، أخذتها حالة وجدٍ صوفيه فمدَّت يدها إلى السماء، وأرسلت منها قبلاً لذات الله ـ كما يفعل الأطفال ـ تعبيراً عن شكرها له، وإعجاباً بما خلق.

كانت هي كذلك، وكنت متسمراً حولها أرقب جمالها بعينٍ لاترى في الدنيا ما هو أجملُ من الحبُّ. فكانت هذه الأبيات:

* * *

مدى ما يبصِرُ النَّظَرُ ... فراشٌ أخضَرٌ نَضِرُ
تطَرِّزه، كوشي الثوبِ ... ألوانٌ، هي الثَّمَرُ
وتنتصِبُ الصخورُ هناكَ ... في قمم، وتنتشرُ
تحيطُ به كحرَّاسٍ ... تخافُ عيونَها البَشَرُ
وتبدو الشمسُ خلفَ الأفقِ وهي تكادُ تحتَضَرُ
تجاذبُها أشعَّتُهَا ... بقاءً، وهي تنتحِرُ
وبعضُ تشظِّياتِ الغيمِ ... أفرغَ ماءَها المَطَرُ
وفجَّرَها هبوبُ الريحِ ... فانتَشَرَت، وتندثِرُ
وأنتِ على مطلِّ السفحِ ... حيث يُسَرَّحُ البَصَرُ
وقفتِ، وأنتِ شاعرةٌ ... لها شيطانةٌ أشِرُ
تعبقِرُ كلَّ خاطرةٍ ... فلا تبقي، ولاتذَرُ
فكيف وعالمُ الإبداع ... تجلوه لهَا الصُّوَرُ!!!

* * *

وقفتِ تكاشفين الحَقَّ ... والأشواقُ تستعِرُ
وكفُّكِ مثلُ كفِ الطفلِ ... بالزيناتِ ينبَهِرُ
فيبسطها، وبسطُ الكف ... يُستَجدَى به الوطَرُ

يصعَدُ شوقَهُ قبلاً		بباب الحقِّ تنهمِرُ
تعبِّرُ عن عميق الشكرِ		والعقبى لمن شكروا

* * *

وكنتُ وحولي السُّمَّارُ		نادى فيهم السَّفَرُ
أراقب كفَّكِ الممدود		تدعوهُ، وتنتظِرُ
وأَعجَبُ كيف لم يُقبِل		على عجلٍ، ويعتذر

* * *

رأيتُكِ لحظةَ النجوى		كما يتبتَّلُ القمَرُ
جمالُكِ لَخَّصَ الإبداعَ		والإبداعُ يُختَصَرُ
أُخِذتُ به، كما أخذتكِ، آيُ اللهِ، والسُّوَرُ
وكدتُ أَهِمُّ، لكنني		تملَّكَ قلبي الحذَرُ
هو المحرابُ، والإيمانُ		في المحرابِ يُعتَمَرُ
وثغرُكِ في تلاوَتِهِ		حرامٌ حينَ يُعتَصَرُ
ولكني بآمالي		فعلتُ، وفعلتي نُكُرُ
فإن لم يغفرِ الباري		فإنَّ مثابتي سَقَرُ
لأن اللهَ يحصي الوزرَ		في نيّاتِ من وزروا
وكم مثلي بنيَّتِهِم		- على إيمانِهِم - كفروا

* * *

جمالُكِ يا معذبتي		يذوبُ بحبِّهِ الحَجَرُ
وحُبُّكِ لحنُ أغنيتي		وسحرُ اللحنِ، والوَتَرُ
وخمرَةُ كأسِ سمّاري		وكأسُ الخمرِ، والسَّمَرُ
وحبُّكِ أدمنته الروحُ		فهو الصحو والسَّكَرُ
فقولي ما أردتِ به		وحقُّكِ إنَّهُ قَدَرُ

* * *

دمشق ١٩٩٢/٨/٢٦

لاتظني سلوت

* * *

لاتظني سلوتُ، أنتِ بقلبي — وبعينيَّ، بين هدبي وهدبي
غير أن المهتافَ كان عزولاً — نالَ مني. وليسَ ذلك ذنبي
نصفُ وقتي قضيتُه في رجائي — أن يلبي، لكِنَّهُ لم يُلَبِّ
وقضيتُ الباقي من الوقتِ أشكو — هاتف (المرديان) لِلَّهِ ربي

* * *

ما أمَرَّ البعَادَ، بُعدِيَ أدمى — مهجتي. هل يضمد الجرحَ قربي
أنت يا غادتي عروسَةُ بحرٍ — أسرتها دمشقُ من غير حربِ
وأنا الفارسُ الذي زرعتهُ — كبرياءُ البحَارِ في كل دربِ
باحثاً عن عروسةِ البحر ليلاً — ونهاراً، مستسهلاً كل صعب
فإذا أنتِ في دمشق عروسٌ — عوَّضتها عن غوطتيها بخصب
وإذا فارسُ البحارِ المجَلّي — غارقٌ في سرابِ صحراءِ حُبِّ

* * *

دمشق ١٩٩٢/٩/١٢

في رحابِ الذكرى

في احتفالنا الأول بمناسبة ذكرى الوالدين، كانت هذه القصيدة هدية إلى روحيهما الطاهرتين.

* * *

كيفَ يمسي الوجه النضيرُ ترابا   كيف يغدو الظِّلُّ الظليل سرابا؟
كيف يخبو العقلُ الذي كان وهجاً   عبقرياً، مجنحاً، وثّابا؟
هل تعيدُ الذكرى سوى لمحاتٍ   منه تزدادُ بالوفاءِ اقترابا؟
ماهي الروحُ؟ ما هو الموتُ؟ والجسمُ لماذا في الموتِ يغدو تبابا؟
دمه فيه والعروقُ ولحمٌ   وعظامٌ، ولايحيرُ جوابا
ليسَ في الأرض ميِّتٌ لم يُخَلِّف   أصفياءَ، أحبَّةً، أصحابا
فلماذا لم يستطع أي ميتٍ   رغمَ أشواقِهِ إليهم إيابا؟
وخلودُ الأرواحِ. هل هو كونٌ   لتُعاني الأرواحُ فيه اغترابا؟
أم تُراهُ تعِلَّةً للتأسي   وافتراضاً يطمئنُ الأحبابا؟
وخلودُ الأرواحِ. هل يقتضِيها   ثمناً. أن تقطِّعَ الأنسابا؟
وهل الخلدُ يسلبُ الروحَ توقاً   وحنيناً، ولوعة، وارتقابا؟
ويميتُ الإحساسَ، فالروحُ فيه   لاتُحِسُّ الإفراحَ والإغضابا؟
إن يكن هكذا الخلودُ. فإنّي   أبداً، لن أدقَّ للخلدِ بابا
إن حزني، وفرحتي، وبكائي   وسروري، والبشرَ والأوصَابا
هي أغلى من أن أعيشَ خلوداً   لارغابا فيهِ، ولا آرابا

* * *

كيف تسلو روحُ الأبوةِ في الخلدِ بنيها، وتهجرُ الأترابا؟
كيف لاتكشِفُ الحجاب، وتصغي   لنداءِ الأشواقِ منهم، عِتابا؟

هل تعاني في الخلدِ قيداً وتشكو | مثلما نحن في الحياةِ، استلابا؟
أم ترى الروح والخلود حكايا | نَسَجَ الوهمُ جسمَهَا والثيابا؟
أبدعتها رؤى خيالاتِ حَيٍّ | أنـكَـرَ الموتَ غـايـةً ومـآبـا

* * *

عفوكَ الله إن فقديَ أمي | وأبي قد أضَلَّ عني الصوابَا
فأنا في تلهفي، واشتياقي | لا أطيق احتمالَ فكرةِ، غَابَا
حضن أمي، وضَمَّةٌ من حنايا | والدي، كانت المنى والرغابا
دفؤها كلما سعيتُ إليهِ | غمر القلبَ دفؤهَا والإهَابَا
وأنا بعدها أعاني صقيعاً | صَكَّ مني العظامَ والأعصَابَا
لم يعد للحياةِ عنديَ معنى | في رحَابِ الذكرى، أعيشُ اكتئَابا

* * *

والدي كان قبلَ عامٍ ملاذاً | كلَّمَا جاء مَن يَسلهُ أجابَا
وهو اليوم بعد أن صار ذكرى | في رحاب الذكرى، أراه كتابا
فيه كشفُ الحسَاب عن جهد عمرِ | عاش فيه مع الزمَانِ غلابا
ثَقَّفَتهُ الأيامُ فهو حكيمٌ | وفقيهٌ، ما قالَ إلا أصـابـا
وهـو فـي الشـعـرِ والـفـصَـاحـةِ، والـنـثرِ إمامٌ، قـد زيَّـنَ الآدابـا

* * *

والدي كان بي وبالنَّاسِ بَرّاً | ورحيماً. لم يُدعَ إلا استجابا
وأنا اليومَ في الرحَابِ أنادي | فإذا لم يجب، سأجفو الرحَابا

* * *

يا حبيبي، يا سيدي، يا شفيعي | عند ربي، إذا وردتُ الحسَابا
كنتَ تدعو الإله سراً وجهراً | وتصلي، لكي أنالَ الثوابا
وأنا اليوم بعد نأيكَ عني | سوف تغتالني الذنوبُ ارتكابا

* * *

يا حبيبي كم ليلة بعد أمي أطلعت صبحها علينا انتحَابا
أنا أبكي أمّاً، وتبكي أليفاً شاركتك الحياةَ شهداً وصَابا
عشتماهما محبة، ووفاء وبنيناً، وهدأة، واضطرابا
عشتماهَا شيخوخةً خَفَّفَ الحُبّ عليكم أعباءَهَا والصعابا

* * *

سنواتٌ عشرٌ، وأمّيَ تشكو داءَهَا، والدواءُ عَزَّ طِلابَا
تتمنى لنفسِها الموتَ، رفقاً بكَ، لاجفوةً، وليسَ اجتنابا
هَمُّهَا كان أن تراكَ سعيداً دائمَ البِشرِ، جيئةً وذهابا
تتمنى من عمرهَا لك عمراً نضراً، تستعيدُ فيه الشبابا
إنها تدرك انشغالَكَ فيها وتعاني خوفاً عليكَ العذابا

* * *

سنواتٌ عشرٌ، تَصُبُّ الأماني في كؤوس من الرجاء شرابا
كلما ضجَّ يأسُهَا، هدهدته منكَ بشرى فانجابَ عنها انجيابا
أعلَنَ الطبُّ عجزَه، فتدرَّعتَ بطب يحيِّرُ الألبَابَا
كل يومٍ عن معجزاتِ طبيبٍ اسمه الله، كنت تلقي خطابا
تستثيرُ الإيمانَ فيها فتصغي لحديثٍ يحيي الأمَاني عذابا
غير أنَّ الموتَ الذي لم تخفْهُ نالَ منها، ونالَ منكَ عقابا
وأنا بعدَكم مع الموت أحيا ومع الخلدِ، خشيةً وارتيابا

* * *

أيها الخالدان، في نبض قلبي وبدمعي، يعطر الأهدابا
وبطيب الذكرى بكل مكانٍ عطَّرَته الحياة فيكم فطابَا
عالم الخلد، طِيبُ ذكرى لميتٍ هو لولا ذكراهُ صَار ترابا

* * *

دمشق ١٩٩٢/١٠/٤

ابنُ جدٍّ أنا

* * *

إبنُ جَدٍّ أنا، وجَدِّي مَزَارُ وحفيدي (زَينٌ) وبنتي (غفارُ)

ولأَنَّ الحسناء لم تستجب لي يومَ أَن كان ذلِكَ المشوارُ

سَجَدَت عنوةً على درجِ البيتِ فشُجَّت وأُرغِمَ (المنخار)

وهي اليوم بالضمادِ تعاني أَلَمَ الجبرِ إذ أنا الكسَّارُ

* * *

يا دمشقيّةَ الدلالِ احذريني دعوتي في سمَاءِ ربي قرار

وأطيعي واستسلمي واستكيني (حيدرٌ) من صفاته الكرارُ

أنا يا غادتي محب صدوق وعلى مَن أحب - جِدّاً - أغارُ

فإذا لم تبادليني غراماً بغرامٍ، وطالَ منكِ ازورارُ

سوف أدعو ربي بِبِرِّ جدودي أن تجازيك عن عذابي النَّارُ

* * *

دمشق ١٥/١٠/١٩٩٢

أخي يا خليل الصالحين

في مطلع هذا الشهر، رُزِيء الصديق الشاعر خليل علي الصالح من قرية بعبده منطقة جبلة، بوفاة ولده الشاب إثر حادث أليم، وعلى الرغم من أنني لا أعرف الفقيد فقد وجدت أن من حق والده علي ومن واجبي تجاهه أن أقوم بواجب الرثاء فكانت هذه الأبيات:

* * *

براكين إلهامٍ يفجرها الحزنُ ... كما بهدير الرعدِ تنفجر المزنُ

فهل ساق واشٍ عنك للموت فريةً ... فصدقها، والموت يقسو ولايحنو

* * *

أيا موتُ إلهام الخليل بن صَالحٍ ... على الدهر هامَاتُ النبوغ له تعنو

ينزِّلُ آي الشعر إعجازَ مبدِعٍ ... تتيه بها الفصحى، ويزهو بها اللحن

ويرسلها مدحاً لمن يستحقه ... ويرثي بها مَن لايغيبه الدفن

وإلهامه لايستثار بنكبةٍ ... ليبدعَ، فالإبداع في بيته الركن

ويا موت ما في مثل ما قد فعلتَه ... تفجُّرُ إلهاماً، لقد فاتك الظعن

رميتَ بما أصْمى، وظنُّكَ أنه ... يفجر إلهاماً، ألا قتل الظن

فو الله إن جفت بحارُ نبوغه ... وسال دماً من هولِ ما سقتَهُ الجفن

سأرفع أمري فيكَ لله وحدَه ... ويشهد لي أنس الخليقة والجنُّ

* * *

أخي يا خليل الصَّالحين، بمهجتي ... أساكَ، سواء يبعد الدار أم يدنو

فقيدُكَ ابنٌ والأبوة لوعةٌ ... بها يتشظى القلب إن فُقِدَ الابن

وأنتَ أبٌ بَرٌّ وشاعِرُ أيكةٍ ... يذوبُ حناناً حين يعرى بها الغصن

بقلبكَ حب لو توزَّعَ بعضُهُ ... على الناسِ ولَّى من قلوبهم الضغن

ولكنّه الإيمان أعطاكَ قدرةً فجئتَ تواسي فيه مَن هده الحزنُ
هنيئاً لكَ الصبر الجميل فإنني إلى مثله في كل نازلةٍ أرنو

* * *

أخي يا خليلَ الصالحين لو أنّه سوى الموت، كان الشعب حصناً هو الحصنُ
ولكنَّهُ الموتُ الذي قيل انَّهُ طريق إلى جناتِ عدنٍ، فما عدن؟
وقيل هو الأذن الذي يجتبى له فمن شاءه الرحمن يُعطَى له الإذن
وقيل... وأخشى منكَ شكي وحيرتي لأني أرى في الموتِ غبناً، هو الغبن
يسوقُ إلينا اليتمَ والثكل والأسى فكيف نسمي القبحَ حسناً، ولا حسنُ
وحتى مَ نرضى أن نقولَ لمخطيءٍ أصبتَ، فمدحُ الظلم يوحي به الجبن

* * *

كفانا كفانا ما نساقُ لقوله على غير إيمانٍ به، بئس مَا نحن
نسبّح باسم الظلم، فالظلم عندنا إله، وحاشا الله، آلاؤه السجن
وترهقنا آلاؤه، غير أننا نقول لوقع السوط، هذا هو الفن
سلاسلُ قيد الظلم، صوتُ صليلها هو الطرب الباقي، ونحن الألى غنوا
نحمّلُ أثقالاً تنوءُ بحملِهَا جبالٌ، ويلقى الحتفَ بالفتكِ مَن أنّوا
نسبّح في الدنيا طوالَ حياتنا وليس لنا فضل بذاكَ، ولَا مَنُّ
ونخلَدُ للتسبيح فالخلدُ كُلُّهُ مدى زمن تصغي لتسبيحه الأذن
ومن كذّبوا أنا خُلِقنا جميعنا لتسبيحه لاغير، قيل لهم جنوا
فيا رب دنيانا وخلدك واحدٌ أيفرح عبدٌ إذ نناديهِ يا قِنُّ
إرادتنا يا رب محضُ إضافة بلا أي معنى، فالغِهَا أنا ممتَنُّ
ويا رب، من سنوا لنا مدحَ مخطيءٍ أنلهم جزاءً عادلاً بالذي سنوا

* * *

أخي يا خليل الصالحين، وعهدُنَا بعزمِكَ لايرقى إلى عزمك الوهن
عزاؤكَ أن الشعبَ عزاكَ صَادقاً فكذب عزاءِ الشعب ليس له وزنُ

* * *

دمشق ١٩٩٢/١٠/١٧

هناك عرفتك

إلى روح الصديق الأديب الأستاذ سامي عطفة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته:

* * *

هناكَ على قمّةِ المنحدَر | وفوقَ ثنيّاتِ دربِ القَمَر
وحيثُ وريفُ الظلاَلِ الظليلِ | يندي، فيورِق حتى الحجَر
وحيث الطريقُ إلى المرتقى | يصيبُ الدوارُ عليها السَّفر
يَلِفُّ يلفُّ كمثل العُقَالِ | على هامَةِ الرجلِ المعتبر
هناكَ وفي رحباتِ المقامِ | بأعلى المطل على المنحَدَر
وبين جموعٍ من الزائرينَ | أتوا ليوفُوا المقام النَّذُر

* * *

عرفتُكَ لا زائراً للمقامِ | على أنه يسعِفُ الزائرين
ولكن أتيتَ لتنأى بهم | مريديكَ، عن أعين الراصدين
أتيتَ تحمّلهم ما حَمَلتَ | من السِّرِّ، بشرى إلى العالمين
تبشِّرُ بالبعثِ أنشودَة | تُلحنُهَا أنتَ للمنشدين

* * *

هناك التقينا على أن نظلّ | مع البعث حتى نُوارى الكفن
ويشهد في عهدنا شاهدٌ | مزارٌ تُسميه (مولى حسن)

* * *

هناكَ رأيتُكَ سامي المقامْ | هناكَ عرفتك سامي المنى
هناك عرفتُ هدوءَ البحار | وعمق البحارِ، وسِرَّ الغنى
هناكَ التقينا ولم نفترق | بكلِ الأماكِنِ، إلا هُنَا

* * *

حملتَ بمصيافَ عبثي المِضَّ وحمَّلتني عبأكَ المجهِدا
كسولان، إلاَّ بآمالِنَا فآمالنا تستحث الغَدا
وغرفتنا مثلُ حالِ البلادِ ثقيلُ الذباب بها عربدا
وَأعجَبُ أنا خلال السنين نقيمُ بها ثُمَّ لم نُقعَدَا
نسَابق في تركها بعضنا إلى أن نرى عَودَنَا أحمَدَا

* * *

فنرجع، تلقي عَليَّ الملام بما نحنُ فيه، فتَلقَى الغضَب
وأهرَبُ منكَ ومن غرفةٍ تُهيبُ بساكِنِها للهَرَب

* * *

أتذكُرُ طفلةَ جيراننا وكانت كما نقطَةُ المصحَفِ
أحبَّتكَ دوني، فناكَدتُهَا على رغم إحساسها المرهَفِ
وكنتَ تغار على حبها وتظهر في مظهر المدنَفِ
وكنتُ أغارُ... ولكنني تكتَّمت عنكَ فلم تَعرِفِ

* * *

أتذكر ليلةَ جرجرتني وراء عواطِفك اللاهِبَه
إلى قريةٍ في سفوحِ الجبالِ وكنتَ تُحِبُّ بها حَاطِبَه
بلَيلٍ يُضِيعُ دجَاهُ الدليلَ فكل كواكبه غائبَه
يصك عظامي صقيعُ الشتاءِ ولفحَةُ أرياحِه الغاضِبَه
ويعثر خطوي على دربها فليس على دربها دارِبَه
وأشكو فتعتَبُ من شكوتي وتسكتني الرفقةُ العَاتبه
وينبحُنا الكلب، يا فرحة تجيء بها النبحة الصَّاخِبَه
ونفرَحُ أنَّا على بابها ويصعقنا أنها غائبَه

* * *

أتذكر أيامَنا في حمَاه أتذكر أيامنا في حلَب
تهددني أن ستتلو عليَّ مقالاً طويلاً وبعض الخُطَب
وأدفع أني سأتلو عليكَ من الشعر ماقَلَّ منه الأدَب

وننهي النزاعَ بخمّارةٍ | وصوتِ غناءٍ جفاه الطَّرَب
أتذكر بعض لقاءاتنا | هنا في دمشق... وبعض العتب
أتذكر أم أنَّ دار الخلودِ | تنسيكَ من ظل في المغترَب

* * *

أخي إن رحلتَ، فما نحن فيه | مقيم، ويشتد منه اللَّهَب
أتونٌ تعذبنا نارُهُ | عذاباً أليماً، ونحن الحطب
لئن طالَ فينا البقاء المِمِضُّ | ولم نستَعِد رشدَنا، أو نتُب
سألقاك من بعد عمرٍ طويل | وتسألني عن بلوغ الأرَب
وسوف أجيبُ بِلا خَشيةٍ | ولا إنتهازيَّةٍ أوَ كـذِب
أمانيُّنَا كُلهَا كُلهَا | بما غابَ منها وما لم يغب
تنكَّبَ عن دربها جيلنا | وخلَّفَها في بطونِ الكُتُب
فلم يبق منها ولا بارقٌ | من الأمَلِ المرتجى، لم يخب

* * *

أخي يا أبا أحمدٍ، ما الحياةُ | إذا لم تكنِ أملاً يُرتجَى
وهل عاقل لايرى أن يموتَ | إذا الفكر غُلَّ وغُلَّ الحجا
لموتِكَ أمنية في الخلودِ | وليل الفناءِ علينا سجَى
فعذراً، وتعلَم أني القؤولُ | ولكن عَليَّ (كذا) أُرتجَا

* * *

دمشق ١٩٩٢/١١/١

توازعني الإلَهامُ

استيقظت اليوم، وأنا في حيرة من أمر حَالة شيطان شعري. فالهجَاء للظلم يغريه، والغزل يثير شجونه. فماذا أفعل؟

* * *

توازعني الإلهامُ، هل أتغزَّلُ؟ أم أن هجاءَ الظلم أولى وأفضَلُ؟
تثير ليالي الثلج بركانَ رغبتي إلى دفءِ نهدٍ راغب يتدلَّلُ
ويأخذني قسراً تصورُ أن أرى بعين خيالي، ظالماً يتوسَّلُ
هجائي سوطٌ غير أني مبتلى بهجو عديم الحِسِّ لايتملْمَلُ
لذلك (ضيعَانُ) الهجاءِ، ومالَهُمْ سوى أن يهدوا مكرهين، ويرحلوا
وأما أحاسيسُ الهوى عند أهله وأحلامُهُ، فهي الخلودُ المؤمَّلُ
فلو قيلَ، هل تقبل بديلاً لجنَّةٍ بقاءَكَ مشبوبَ الهوى؟ قلتُ أقبَلُ
إذا الحب لم يعط الحياة رواءها تصير حياةُ المرء موتاً يُطَوَّلُ
(بناتُ الهوى) مَفهومُ عصرٍ تخلَّفَت مفاهيمه، والقولُ فيه تَقَوُّلُ
(فبنتُ الهوى) تعبيرُ فصحى تأنَّقَت تعابيرها في وصف ما هو أجمَلُ
فَصَيَّرَهُ عصرُ التخلُّفِ سُبَّةً تسيء إلى مَن في الهوى تتجمَّلُ

* * *

يغيِّر عصر الإنحطاط معَانياً لأوضح تعبيراتنا ويبَدِّلُ
يسمي فسوقَ الحاكمين طهارةً وظلمهم عدلاً، هل الظلم يعدل؟
ويرخي على سحر الجمالِ سجافه حجاباً، فليل الجهل في الصبح يُسدَلُ
وأقسِمُ أن الله جل جلالُهُ ومهما ادَّعى شراحُنا وتأولوا
سيقفِلُ أبوابَ الخلودِ بوجههم لأنهم ماتوا ولم يتغزَّلوا

* * *

دمشق ١٩٩٢/١١/٢٧

صباحية

* * *

عيونُكِ أحلى من عيونِ غزالِ وثغرُكِ أشهى من رحيقِ زلالِ
ووجهُكِ لولا الطهر، قلتُ غوايةٌ عشقتُ بها حتى الولوعَ ضلالي
وقهوتُكِ الهاليَّةُ البوح والشذى سكرتُ بها حتى تغيَّرَ حالي
وإطلالَةُ الإصباحِ عندَكِ مدخلٌ إلى أفقٍ يزهو بكل جَمالِ
غيومٌ على متنِ الرياح تطايرت ضفائرها ثلجاً نثيرَ لآلي
يلفِّعُ هاماتِ الذرا فكأنَّهُ يلفِّعُهَا في شملةٍ وعقالِ
ويربط أغصانَ الشجيرات بعضها لبعضٍ، كما لو رُبِّطَت بحبالِ
وترتعش الأوراقُ من لفح بَردِهِ كرعشةِ قلبٍ خافَ يومَ نزالِ
وأخشى على نفسي الصقيعَ فأرتمي ليغمرني بالدفءِ صدرُ (....)

* * *

دمشق ١٦/١٢/١٩٩٢

يُذكِّرُ من ينسى

تلقيت دعوةً لحضور الاحتفال بذكرى مرور عام على وفاة المرحوم الشيخ كامل يوسف الخطيب في قرية جيبول محافظة اللاذقية، وقد حال سوء الأحوال الجوية بيني وبين رغبتي الملحة بالحضور. فأرسلت هذه الأبيات:

* * *

يُذَكِّرُ من ينسى، وليست لي الذكرى ... فذكرهم ما غادر القلب والفكرا

هُمُ بين أجفاني، وفي نبضِ خَافقي ... وأنتم وهم في صدق ما قلته أدرَى

لقاؤكم بعضُ المنى، وهو عندما ... يكون مع الذكرى يصير بنا أحرى

ولكنَّ من كان (الصقيعُ) خصيمَهُ ... سيُقعِدُه، إلا بقدرةِ مَن أسرَى

تغمَّدَ عفوُ الله أرواحَ من مضوا ... وألهمنا من بعدِ فقدِهمُ الصبرا

* * *

دمشق ١٨/١٢/١٩٩٢

مدمن الحب

* * *

أنتِ أحلى مما حلمتُ وأعذَب — وأنا مثلما توقَّعتِ، أشيَب
غير أني والشيبُ يخضِبُ رأسي — لم أزل عاشقاً يُحِبُ ويرغَب
كل حسنٍ له بقلبي نصيبٌ — وإذا قلتُ غير ذلكَ، أكذِب
حاذري رغبتي فشوقيَ جَمرٌ — إن نفختِ الرمَادَ عنه تَلَهَّب
ويشِفُّ الوقارُ حتى لَيَبدُو — كلُّ ما كان بالوقارِ محجَّب
ويعودُ الصِّبَا غنياً كريماً — فارساً في معاركِ الحب أغلب
يُترِعُ الكأس في الهوى ليُروِّي — ظمأً أستثيرُهُ حين أشـرَب
أدمَنَ الحبَّ كُلَّ نبضةِ عرقٍ — من عروقي. ومدمِنُ الحب يتعَب

* * *

دمشق ١٩٩٢/١٢/١٩

تهنئة

العماد الصديق علي دوبا، كان قادراً منذ أن كان (نقيباً) على أن يَسُوقَ أيّاً كان إلى السجن، وبالرغم من أنه أصبح اليوم (عماداً)، فإنه لم يُعْطَ صلاحيات جديدة، لأنَّ صلاحياته وُلِدَت مكتملة، ومع ذلك فإنني شعرت بالسرور فعلاً، وأنا أتلقى نبأ ترفيعه اليوم إلى رتبة (عماد) فإلى العماد الصديق أرسِلُ هذه الأبيات مقرونة بأحر التهاني وأصدَقِهَا

* * *

في دولة (الأمن) (والألقاب) (والرتب) رُفِّعتَ من قُطُبٍ فيها إلى قُطُبِ
صرتَ (العمادَ) ولولا وَهنُ من سبقوا لقلتُ هذا جزاءُ الجد والتعبِ
لكنها إن تكن في مثل سَابِقِهَا فإنها لُعبَةٌ في جملة اللعَبِ
مذ كنتَ فيها (نقيباً) كنتَ مقتدراً على اعتقاليَ معصوماً مِنَ الرِّيَبِ
وأنت ما زلت حتى الآن مقتدراً على اعتقالي بلا ذنب ولا سبب
ورغم هذا فإني اليوم منشرح لأمر ترفيعك السامي، بلا كذب
دُم في هناءٍ وعِزٍّ أنتَ أهلُهُمَا وليَحميكَ اللهُ من حقدٍ ومن غضَبِ

* * *

دمشق ١٩٩٣/١/٢

رفق التودد

كان يدَّعي حبَّها، ويتوَدَّدُ إليها تربيتاً على كتفها، وكانت تشكو من أنها تكاد تسمع صوت انهراسِ فقراتها، تحت وطأة تودده. فكانت هذه الأبيات:

* * *

إن المحِبَّ إذا تـوَدَّدَ ربَّـتَـت ... يَدُهُ على كتف الحبيب فتؤنس

أما الدعِيُّ فكَفُّهُ إن ربَّتَت ... كانت كظلف الفيل ساعة يرفس

تـتـأوَّه الـفـقـرات أول رَبـتَـةٍ ... ألمَاً، وثـانـيـةُ الأثـافي تُـخرِسُ

* * *

يـا أيـهـا المتـوَدِّدونَ تـرفَّـقـوا ... بعظامها، رِفقُ التودُّدِ يُسلِسُ

* * *

دمشق ١٩٩٣/١/٧

مقارنة

الصديق الدكتور مفيد عبد الكريم عرفتهُ (مفيداً) (و كريماً) وضد الظلم، ولكنه بعد أن أصبح وزيراً، أراه يهرب من إحقاق الحق وإنصاف المظلوم، فهل حدث له كل هذا التغيّر لأنّه صار وزيرا؟ لست أرى سبباً آخَر:

* * *

كأني به من بعد أن كان مبصِراً ... (تَطَمَّش) فهو اليوم أصبح لَايَرَى
وكان (مفيداً) يوم كان محامياً ... إذا لاح ظلم، أنكر الظلم وانبرى
فمالي أراه اليوم بَدَّل حالَهُ ... إلى حالةٍ أخرى، غداةَ توزَّرا

* * *

لكل امرء من اسمه بعض مابه ... وكان (مفيداً) قبل أن يتغيرا
عرفناه يمشي في الحياة تقدماً ... فمالي أراه اليوم يمشي إلى الورا
إذا كان هذا حالُ حكام شعبنا ... فقد أكلت أهداف أمتِنَا (....)

* * *

دمشق ١٩٩٣/١/١٦

الذكرى الثانية والثلاثون

في السادس من آذار مرت الذكرى الثانية والثلاثون لزواجي السعيد ونسيت هذا العام تلك المناسبة الغالية في زحمة انشغالي (بقضية المبعدين ومسيرة السلام المتعثرة) وعلى الرغم من أن زوجتي لم تنسَ المناسبة فقد أبت أن تذكرني، لكي تعاتبني على ذلك الاثم الكبير، وعندما ذكّرتني عتاباً هذا اليوم، سقت إليها هذا الاعتذار الشعري. فهل سيقبل اعتذاري؟

* * *

نسيتُهُ لا لأنّي عنكِ في شُغُلِ — ولا لعجزِ أعانيه من الرجل
ولا لأنّك في الخمسين من عمرٍ — تكاد تذبل فيه نضرة الأمَلِ
نسيته، لا لهذا أو لذاك وذا — من كل ماقلتُ، أو مازلتُ لم أقل
نعم نسيتُ لأنَّ العمرَ أجمعَهُ — من يوم عرسيَ حتى آخر الأزل
نصفان. حبي وأشواقي لفاتنتي — نصفٌ، ونصفٌ أعانى فيه حبّكِ لي
نطرّزُ العمر بالألوان زاهيةً — من أخضر الحب، حتى أصفر الزعل
فلا محلَّ لذكرى، لاتفارقنا — تحيل أيامنا دهراً من العسل

* * *

عتابُكِ المرُّ قد أدمَنتُ نكهتَهُ — فإن رضيت طويلاً ضَجَّ بي وَجَلي
رضاك أُوجِسُ منه خشيةً، فأنا — تضيق عن احتمالات الرضى حيلي
أشكُّ في ذات نفسي حين لاعتب — ولا اتهامٌ بحلِّي أو بمرتحلي
آذار شهر ربيعي، كان من زمن — ومايزال، وأنت الوحي في غزلي
عطَّرتِ أيام عمري، يا بنفسجتي — فكيف أنسى الشذا في عمري الخضِل

* * *

دمشق ١٩٩٣/٣/٩

لاتغاري

قرأتُ لها أبياتاً من شعري الغزلي، فبدت ملامح الغيرة على وجهها. فكانت هذه الأبيات:

* * *

لاتغاري، فأنتِ نبض فؤادي ... وعيوني، ورقدتي، وسهادي
لاتغاري، فما لغيرك شيءٌ ... لك حبي وإلفتي ووِدادي
كل حسن أراك فيه، فأهفو ... أنت عندي في الحسن عين المراد
أتغارينَ منك؟ حبك عندي ... بالغٌ فوق منتهى آمادي
عشرات من السنين تولت ... وهوانا أنشودة الإنشاد
لم تغير منه السنون الخوالي ... رغم أني أغار من أحفادي
أنتِ هندي وزينبي وربابي ... ودلالي وغادتي وسعادي
أنت كلُّ الدنيا بعين وجودي ... أنت مني ضلالتي ورشادي
وأنا بعد ما بلغت عِتيًا ... من حياتي، وكاد ينضب زادي
لم أعد مبعثاً لغير التأسي ... أو مثاراً لغير عطف الأعادي
فاطمئني، ما عاد يحمل عبئي ... عنك، إلا حصيرتي ووسادي
صار حالي يا بنت بعد مشيبي ... واكتهالي، في مثل حال بلادي

* * *

دمشق ١٤/٣/١٩٩٣

لماذا

* * *

لماذا؟ أكابد عبء الصيام وأُجهِدُ نفسي بذل السجود
وأقتل وقتي بصيد الثواب وبالجري خلف سراب الخلود
وحوريِّتي، وهي كل المنى وغاية ما تبتغيه الجهود
هنا ملء قلبي وعيني معا وحبي لها اختزال الوجود

* * *

لماذا؟ يا إله العشق لم تترك بمحرابي
إلهاً غير ذاتك أنت من مجموع أربابي
تَوَحَّدنَا فأنت أنا أضم عليك جلبابي
وليس سواك من يختال مزهواً بأثوابي

* * *

لماذا؟ تجليتَ بي للبشر وكيف تجسدت بالمختصر
تَلَبَّشتني يا إله الغرام ورحت تلفق عني السير
تغازل هذي، وترنو لتلك وتحفر لي في طريقي الحفر
وتزعم أنك أنت الوفي وأني في حبها من غدر
فهل أنت في حبها عازل يريد الوقيعة بين البشر؟
حذار، فإني من أجلها أُذِلُّ القضاء وألغي القدر
ومن أجلها لا أرى مخرجاً سوى أن أُميتَكَ أوأنتحر

* * *

دمشق ١٩٩٣/٤/٢

بشائر بالجملة

اليوم اتصل ولدي هاني من أمريكا ليزف إلينا البشائر التالية:

١ - تخرج هو من هيئة البورد الأمريكية وحصل على الدكتوراه في طب الأطفال.

٢ - زوجته عروب حامل في شهرها الأول وجميعنا نشتاق لولد ذكر بعد وردتين هما شهد وسارا.

٣ - إن شهد تحتفل بعيد ميلادها الذي يصادف ١|تموز وقد تقدم بضعة أيام بسبب ظروف عمل الأهل وأختها الصغرى سارا تقوم بمهمة إحياء الحفل رقصاً.

ولهم جميعاً كانت هذه الأبيات:

* * *

بشائر من خلف البحار، وَمَن أسرى ... بهن إلى سمعي هو الخير والبشرى

تخرَّجَ هاني، فهو ما عاد مجبرا ... على أن يُقَضِّيَ طول أيامه (يقرا)

وصارت عروبٌ حاملاً لرجائنا ... بأن سوف تحيي في البنين لنا الذكرا

(وشهدُ) التي لاشاهد في الكون مثلها ... تقيم احتفالاً يسعد العين والفكرا

فميلادها ذكرى لدينا عزيزةٌ ... ومفردةٌ مهما تعددت الذكرى

و(سارا) أختها الصغرى تروح وتغتدي ... وتأمر حتى لاتُرى أنها الصغرى

ترف كالعصفور إن صفقوا لها ... وترقص فالأفعى تصير لها خصرا

* * *

أحبةَ قلبي أنتم غاية المنى ... وعيشكم الهاني سعادتنا الكبرى

نعيش هنا شوقاً إليكم بُغُصَّةٍ ... وبعدكم عنا يؤرثنا الضرا

وأعذب قولٍ يُطرِبُ الأذنَ وقعُهُ ... إذا قلتم أنّا سنلقاكُمُ (بُكرَا)

* * *

دمشق ١٩٩٣/٦/٢٧

عَدَتكَ العيوب

توسط لدى العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري.

* * *

يا وزيرَ الدفاع عندي قريبٌ عسكريٌّ، وسَائقٌ موهوبُ
هو في الحرب لايُخيفُ عدواً ما له في الحروب إلا الهروبُ
كبرت سِنُّهُ، وصار معيلاً وهو للفقر صَاحِبٌ وربيبُ
لم تنله عطيةٌ من خليج يوم أن كانَ للخليج جيوبُ
وعطايا لبنان ما نالَ منها أي شيءِ، وعَافه التهريبُ
بائسٌ وضعه، ولامِن معينٍ وينادي غوثاً، ولامَن يجيبُ
أنا أحتاجُهُ. وأنتَ غنيٌّ عنهُ. فأفرزه لي وأنتَ مصيبُ
وإذا احتجت أن تحرر قدساً أو تصونَ الجنوب. عاش الجنوبُ
فسآتي به إليكَ بقوسٍ وسهامٍ، إن سُدِّدَت لاتَخِيبُ

* * *

وعلى كل حال فضلُكَ قبلاً غامِرِي، أيها الأديبُ الأريبُ
وسواءٌ أرسلتَهُ أو بقينا دون ماسائقٍ عدتكَ العيوبُ

* * *

دمشق ١٩٩٣/٨/١١

يا أبا الخير

الدكتور أبو الخير الأتاسي صديق قديم ووفي، وطبيب قديم وبارع، جئتهُ من دمشق وأنا لا أعرف ماذا أحمل من أثقال الدنيا، فأكتشف أنني أحمل (قنبلة) موقوتة، وأصر على تطهير جسمي من ألغامه، وبرعايته وتحت إشرافه أجريت عملية جراحية في القلب تم فيها تغيير ثلاثة شرايين.

وأنا اليوم بعد أسبوعين من إجراء العمل الجراحي قضيتها لدى ولدي هاني في توليدو، أعود إلى كليف لاند لزيارة اطمئنانية للدكتور الأتاسي حاملاً هذه المرة أبياتاً من الشعر أقدمها إليه عرفاناً بالجميل، راجياً لها عنده حسن القبول:

* * *

كَشَفَ الطِّبُ يومَ أن شَقَّ قلبي   كلَّ ما كنتُ في الحنايا أخَبِّي
كشفَ الكره للطغاةِ وأفشى   سِرَّ كرهي لهم، فيا كبر ذنبي

* * *

كشفَ الحبُ للجَمَالِ وأفشى   سِرَّ حبي له بشرق وغربِ
وغداً عندما أعودُ سليماً   سوف أقضي بسجن زوجي نحبي
وإذا ما نجوتُ منها لأمرٍ   أنقذتني فيه إرادة ربي
فسأحيا بالهجر من صاحباتي   وسأقضي عمري بلا أي حُبِّ

* * *

يا أبا الخير هل لدى الطب حَلٌ   للذي أشتكيه من فتح قلبي؟
وإذا لم يكُن لَدى الطب حَلٌ   فلماذا أنقذتَنِي من مطبي؟

* * *

يا أبا الخير ميتةُ الداءِ خيرٌ   من حياةٍ في حال خوف ورعب
وهي خير من الحياة وزوجي   تتشكّى مني ببعدٍ وقربِ

وهي خيرٌ من أن أعيش وحيداً … دونَ حُبٍّ، وكل حسناءَ تسبي
كنتُ أحيا مثلَ الفدائيِّ يمشي … حاملاً (لُغمَهُ) على كل جَنبِ
فـأزلـتَ الألـغـامَ مـنـي لأنجو … غير أني مازلتُ خوَّاضَ حربِ
ورجـالُ الحروب لابـد يـومـاً … أن يموتوا ما بين طعنٍ وضربِ
يا أبا الخيرِ إن أعش فحياتي … أنقذتها خبرات فارس طب
هو أهل لكل مدحٍ جميلٍ … غير أني في المدح يُغلَقُ دربي
وله أن أقولَ عنه اختصاراً … لشعوري من غير ما أي كذب
أنتَ في الطِّب كابن (حمدانَ) في الحرب … وفـي المدح لـسـتُ كـالمتنبي

* * *

توليدو ١٩٩٣/١٢/١

السيد الرئيس حافظ الأسد والسيدة الأولى عقيلته، وأبناؤهم وآل الأسد

خطبكم في باسل هو خطب للوطن والأمّة.

من أعماق قلوبنا نشاطركم الحزن، ونتوسل إلى الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، وأن يلهمكم الصبر.

عزاؤنا وعزاء الوطن في بقاء سيادة الرئيس وسلامته، ندعو الله أن يمد بعمره ويعينه على تحمّل أحزانه النبيلة، وأعباء الوطن.

إنا لله وإنا إليه لراجعون.

أمريكا ـ توليدو
١٩٤٤/١/٢١
الرفيق محمد حيدر وعائلته وأبناؤه

أبا باسل

أرسلت هذه الأبيات إلى السيد الرئيس حافظ الأسد تعزية له بوفاة ولده الأكبر (باسل) تغمده الله برحمته.

* * *

يا أبا باسلٍ تحملتَ عَنَّا ... كل عبءٍ، لا بل تحملتَ منا

وأنا يوم أن أحَاق بكَ الخطبُ ... بعيد، والخطب في البعد أضنى

باسل كان ملء عين بلادي ... وبحسبي أن كان للأبِ إبنا

أنا يا سيدي شريكك في الخطب ... وقلبي أذابه الخطب حزنا

وشريك الخطوب أصدق وداً ... من شريك فيما أعز وأغنى

* * *

أمريكا ـ توليدو

١٩٩٤/٢/٤

كلّما قلت

للمرة الثالثة، أتهيأُ للعودة إلى دمشق، وتحول الظروف بيني وبين هذه العودة وتعقيباً على ذلك كانت هذه القصيدة:

• • •

كلّما قلتُ سوف آتي دمشقا ... وتهيّأتُ، قيل بل سوف تبقىَ
مرةً تُطبقُ السماءُ على الأرضِ ... رعوداً، وزمهريراً، وبرقا
فيُهيضُ الجناحَ طيارُ عصرٍ ... يركب الريحَ عادةً، ثم يرقى

• • •

وبأخرى، يحولُ دوني وداعٌ ... للأحباء، يجهدُ القلبَ خفقا
و(الأتاسي الطبيب) في أمريكا ... مستبدٌ، والطِّبُّ يرفض رفقا
إنَّهُ مدرك لعشقي دمشقاً ... وهو يدري بأنني ذبتُ عشقا
غير أن الإخلاصَ في الود والطب ... لديه، أبى لأسريَ عتقا
وأحال استمراره في اعتقالي ... لإقتناعٍ مني، بأن قال حقا
وأنا اليومَ في (توليدو) مقيمٌ ... أتلقى منها الذي أتلقى
بَلَدٌ موطن الثلوجِ شتاءً ... وخريفاً، وصيفها فيه تشقى
والربيعُ الذي يقولونَ عنه ... زهراتٌ تطفو على السطح غرقى
رغم هذا، أعيش فيها حياةً ... دفؤها يملأ الشرايين دفقا
أنا فيها أبٌ، وجدٌ، وعَمٌّ ... يتبارى في حبي الكل صدقا
وحبيبي، وزوجتي، ورفيقي ... ملأت لي الحياة حُبّاً (ونَقّا)
غير أني أغارُ منها، (فسارا) ... وهبتها يومَ التسابق سبقا

• • •

لا تلومي دمشق، لستُ بسَالٍ ... نحن نبقى من أجل عينيك شرقا

والشقاءُ الذي بكِ اليومَ شيءٌ		عارضٌ، شوَّه الجميلةَ خُلقَا
ستعودين يا دمشق، قريباً		منتدى الفكر، وهو يسرَحُ طَلقَا
وتعودين منبراً عربيا		يزحم الخلقُ من حواليه خَلقَا
منبرٌ شامخٌ، منيعٌ على الجهلِ		وللشِّعرَ والفصَاحَةِ مرقَى
لوثَةُ الظلم فيك مهما تمادَت		سوف تُطوَى طيَّ السجلِّ، وتُلقَى
أنتِ عبرَ التاريخ عانيتِ قمعاً		واضطهاداً وذقت كبتاً وخنقا
وأنجلى النقعُ عنكِ مطلع فجرٍ		عربي، يمتدُّ عمقاً وأفقا

* * *

هكذا كنتِ يا دمشقُ وهذا		ما تكوِنيتَهُ، فمجدكِ أبقى

* * *

توليدو ١٩٩٤/٢/٤

يا جنى

طالت غيبتنا في أمريكا، وقررنا أخيراً أن ننتظر قدوم حفيدتنا الثالثة (جنى هاني حيدر) ويوم قدومها بتاريخ ١٥/٢/١٩٩٤ كانت هذه القصيدة قد اكتملت:

* * *

يا جنى العمر، ياجَنَى   أقبلي، إننا هُنَا
نحن جَدٌ، وجَدَّةٌ   ركبا الريحَ هيِّنا
وأتينا، لنلتقي   بكِ يا غايةَ المنى

* * *

قَد أطلْنَا مكوثَنَا   فبدَونا كأنَّنَا
قد تخذناكِ حجَّةً   وأتينَا لنسكُنَا
لكِ في الشامِ عمَّتانِ   وعمٌ، مع الضَّنى
يتمنون لو هُمُ   يستطيعونَ، مثلنا
أن يجيئوا إلى هنا   ليلاقوكِ يا جَنَى

* * *

يا جنى العمر بسمَةٌ   منك، أشجى من الغنا
محزنٌ في نشيجه   مثل موالِ ميجنا

* * *

في الصباحاتِ أجتلي   وجهَكِ المشرقَ السَّنا
وأناغِيكِ مشفقاً   خائفاً بَردَ ثلجنا
وإذا ضِقتِ بالمهَادِ   وثيراً، ولينا
صِرتِ في حضن جَدَّةٍ   لا ترى فيك مطعنا
تتمليـن أوجهاً   وتناجين أعينا

فـإذا مـا تُـبُـودِلَـت		نـظـرةُ الحب بـيـنـنـا
وتـبـيـنـتِ أنَّـنـا		ما لنا عنك من غِنَى
رحتِ تغضينَ عامداً		وتجاهلتِ مَن أنا

* * *

يا جنى العمر، في غدٍ		نركب الريحَ أرعنا
لـنـلاقـي أحـبَّـةً		بُعدُهُم كانَ محزِنا

* * *

كل أحفادِ مهجتي		عندهم بعضُ قلبنا

* * *

في غدٍ سوف نلتقي		في حنين لبعضنا
ويـثـيـرون حـولَـنَـا		جدلاً عنك موهِنَا
قـلـقُ الـطـفـل بَـيِّنٌ		لـو بـدا لـيـس بَـيِّنَا
وسنُشفِي غليلَهم		عنك، مهما تلونا
فـاذكـريـنـا فـإنـنـا		سـنـوفي بـعـهـدنـا
وسـنـأتـيـكِ ثـانـيـاً		وسـنـأتي بـكُـلِّـنـا

* * *

توليدو ١٩٩٤/٢/١٥

شهر آذار

تمر ذكرى زواجنا ونحن في أمريكا، والثلج يغطي كل شيء في توليدو، بينما كنا نعتقد أن زواجنا قد تم في الربيع ومع الزهور، فإلى تلك الذكرى أهدي هذه الأبيات:

* * *

شهر آذارَ في بلادي ربيعُ ... يلبَسُ الأرضَ فهي شكل بديعُ
ولأني مهاجر عن بلادي ... جاءني والربيع عندي صقيعُ

* * *

إن آذار في (توليدو) ثلوجٌ ... لبستها الدنيا فمات الربيعُ
غير أن الذكرى تظل بقلبي ... وبأذني صدىً له ترجيعُ
إن آذار كانَ موعدَ لقيا ... جئتها والهوى لديَّ ولوعُ
حُبّنا الطاهر النقي استضافت ... موعدَ الملتقى لديه الضلوعُ
فزرعنا في صدره زهراتٍ ... أخصبت، فالزهور حقلٌ بديعُ
صور الحسن فيه إعجازُ خلق ... شاءَ إيجادَه البصيرُ السميعُ
واستمرت بنا الحياةُ طويلاً ... يكتم الحبُ سِرَّهَا ويذيعُ
ثلث قرنٍ، ونيفٌ، وهوانا ... قبس تستضيء منه الشموعُ
لي منه في كل آذارَ فجرٌ ... يملأُ الأفقَ فالسمَاءُ سطوعُ
وهبتنا الحياةُ من زينتيها ... نصفها، فالبنون عطر يضوعُ
وسنبقى في ظلهم نتمنى ... أطولَ العمرِ، فالفراق مريعُ
نحن لولا البنينُ والحب كانت ... كل أيامنا زماناً يضيعُ

* * *

أمريكا ـ توليد
١٩٩٤/٣/٦

ندوة الأربعاء

كنا في دمشق نلتقي كل يوم أربعاء، في منزل واحد منا يدعونا هو قبل الموعد و كانت تلك الندوة مجلس أنس وسمر وسياسة، و كان يحضرها بالإضافة إليَّ كل من الدكتور حافظ الجمالي، والعماد ناجي جميل، والدكتور جبر الكفري، والأستاذ عبد الكريم عدي والأستاذ نبيه حسون والأستاذ نزار التوام والأستاذ القبيسي وآخرون بشكل متفرق، وبعد أن جئت إلى أمريكا (وَحَشتني) تلك الجلسة فكانت هذه الأبيات:

* * *

ذبت شوقاً لندوةِ الأربعاءِ — فأذكروني هناكَ يا أصدقائي
واسمعوني، أروي لكم ما تعاني — أمريكا في عيشها من (شقاء)
شعبها كالقطيع من غير راعٍ — تتبارى جملانه بالثغاءِ
ليس فيه، ولايريد زعيماً — أوحداً ملهماً بلا أخطاءِ
وهو لايستحي من النقد حتى — لو أتى نقده بغير حياء
ولسَان الكتّاب فيه طويلٌ — وطوالٌ قصائدُ الشعراءِ
يتبارونَ في الحوار وتعلو — نبراتُ الأصوات للخطباءِ

* * *

ورجالُ الأمنِ الأشداء فيه — هم أمامَ القانونِ كالضعفاءِ
ما لهم من مزيةٍ عن سواهم — وهم كلهم من الأسوياء
ليس فيهم من حاقدين على الناسِ، ولا كارهين للفضلاء
ولهم راتب يعيشون منه — دونما مِنّةٍ، ولااستجداء
والإساءاتُ منهم تتلقى — دون ظلم نصيبها في الجزاءِ
ورجال الإعلام في أمريكا — لايخافون سلطة الرقباء
هي فوضى يقولُ من شاء فيها — ما يرى قوله من الآراءِ
صحف تملأ البيوتَ وفيها — ما يثير الفضول في القراءِ

من عروض الأسعار حتى المآسي لتعاطي كبائر الفحشاءِ
ومن القدح بالرئيس المسمّى لكلامٍ عن سر غزو الفضاءِ

* * *

ولديهم مجالسٌ في انتخابٍ ليس للأمن فيه حق انتقاء
لايخافون سوء ما هو آتٍ من خيارٍ يعطى إلى الدهَماءِ

* * *

هذه حال أمة تتصدى لتقود الدنيا بلا استثناءِ
أفلا تعجبون مثلي، وهذا حالهم كيف أنهم في العلاء؟؟
فأجيبوا عن التساؤل مني وابحثوه في ندوة الأربعاء

* * *

توليدو ١٩٩٤/١٠/٧

بيتُ العلمِ والأدبِ

صاحب الفضيلة الدكتور الشيخ علي سليمان الأحمد ابن علامة الجيل الشيخ سليمان الأحمد وأخو الشاعر بدوي الجبل، وعميد آل الأحمد، توفي عن عمر يناهز الثمانين عاماً، ونظراً لما بين عائلتنا وهذه العائلة الكريمة من أواصر الود والصداقة ونظراً لأن الفقيد كان من أعز الأصدقاء لوالدي، فقد لبيت نداء الواجب وجئت إلى مأتمه بهذه الأبيات، راجياً لها القبول.

* * *

بيتٌ ترعرع فيه العلم والأدَبُ ... وشَبَّ فيه الحجى واستوطن الحسَبُ
ماذا أقولُ له في يوم محنتِهِ؟ ... وصبره الصبر تعنو دونَهُ النُّوَبُ

* * *

ياآلَ احمد، ماحاولتُ مجترِحاً ... مدحاً لبيتِكُم، أُصفي وأنتخِبُ
إلا وأبصرتُهُ يمشي على قدمٍ ... في حيكم واقعاً، فالواقِعُ العَجبُ
عَلاَّمَةُ الجيلِ أم غِرِّيدُ دوحته ... أم كنهُ أسرار ماضَنَّت به الكتب
أم حكمة تبريء العافين من سقم ... وتستعيد شباباً فاته الأرَبُ
أم مرجعَّيةُ شعب لا ينازعها ... في الناسِ ماصنَعَ التلفيقُ والكذِبُ
للمرجعيةِ آيات تبوح بها ... عن نفسها، وبها تخفى وتحتجِبُ
وليسَ منها، ولو قالَ الجميعُ بِهِ ... تنصيبُ مَن قتلوا عمداً، ومَن نَهَبُوا
وليس منها عَصَا الطغيانِ مشهَرَةً ... في وجه مَن لم يقل عن جلق حَلَبُ
وليس منها هباتٌ لانفادَ لَهَا ... من واهِبٍ سَلَبَ المالَ الذي يَهَبُ
وليس منها ادعاء من ذوي بلهٍ ... بأنهم علماءٌ سَادَةٌ نُجُبُ

* * *

مَرَاجِعُ اليوم، لو أطعمتَ معظَمَها ... للنَّارِ، لاجترَّ ما أطعمتَهُ اللَّهَبُ
هم عابدوا صَنَمٍ ما ظَلَّ منتصباً ... فإن تولَّى تولوا عنه وانقلبوا

في كل زاويةٍ او مسجدٍ نصبوا | منابراً لهم تعنو لها الخُطَبُ
يسبحون لغير اللهِ خالِقهم | ويسجدون له والغايَةُ الذهب

* * *

مراجع اليوم تعيينٌ يوقعه | رقيبُ أمنٍ، ولاعلم ولاأدَبُ
مقولَةُ اللاتِ والعزى مقولتهم | وليسَ يعنيهم وحي ولا كُتُبُ

* * *

يافارس الساحِ إن الساح بعدكم | قفرٌ، وميدانها يا سيدي خَرِبُ
ذهبتَ لما رأيتَ الأكرمينَ أباً | والأصدقين لعهد المرتضى ذهبوا
فكن إليهم رسولاً من أحبتهم | واطلب لنا عندهم، قد يُقبلُ الطَّلَبُ
وكن لديهم شفيعاً إن هم ذكروا | تقصيرنا، وتعطَّفْ إن هم عَتِبُوا
ولا تغضَّ بشكوانا مضاجعهم | لقياكَ فرحتهم، إذ نحن ننتحِبُ

* * *

يا سيدي إن آلَ المصطفى عَربٌ | فاهمِس بآذانهم مايشتكي العرَبُ
إن العروبَةَ في أيام محنتها | تستنفر اليومَ منهم فعلَ مايجب
أن يرسلوا مرة أخرى كبيرهم | محمداً، مَن لَهُ نرنو ونرتقِبُ
يوحد الأمر فينا مثلما فعلت | يداه قبلاً، فلا لهو ولا لَعِبُ
ويملأ الأرضَ عدلاً بعدما مُلِئَت | بظلم مَن آيَتاه البطشُ والغضبُ
فإن تباطأ عنا لن يكون لنا | في الأرض رغم اتساع الأرض مضطَرَبُ
للمشركين إذا شمس الهدى احتجَبَت | في كل معتَرَكٍ من سَاحِنَا الغَلَبُ
ومشركونا أشداءٌ بكفرهم | ونحن في نارهم يا سيدي حطَبُ

* * *

يا سيدي، قل لآل البيتِ أمَّتُهم | على خُطَا مشركيها، سيرُهَا خَبَبُ
تسيرُ معصوبَةَ العينينِ موثقَةً | بألفِ قيدٍ، إلى ماليس تجتنِبُ
تكاد من خوفها مما تكابدُه | إلى ظلامِ مصيرٍ أسودٍ تثِبُ
فإن هُمُ أبطؤوا، لم يبق من أثرٍ | لِأُمَّةِ العُربِ إلا العيرُ والجَرَبُ

* * *

يا آلَ أحمَدَ قلبي في خطوبكم ... يذوبُ حزناً، ولولا الصدر ينسَكِبُ
لآلِ حيدر تاريخ بحبكم ... إن باعَدتهُ بنا الأيام يقترب
وسوف تبقى أمانينا موحَّدَة ... في السر والجهر ما مَرّت بنا الحقَبُ
جذورنا في عميق الأرض منبتها ... وتستظل بما نصبو له الشهب
وسوفَ نبقَى كما شاءآ لنا أبداً ... في وحدة الحالِ، جَدٌّ قبلَناَ وأبُ

* * *

دمشق ١٩٩٥/٦/٥

هي الحقيقةُ

الرفيق علي ابراهيم الحكيم من قدامى البعثيين، وممن عشت معهم فترة الشباب الغنية بطوباويتها. وهو في رأيي من الذين صدمتهم الحالة التي تردَّى إليها البعث في ظل الحكم فقادهم اليأس إلى أن يهربوا من واقعهم إلى التدين. غير أن الرفيق (أبو أحمد) رحمه الله سلك إلى التدين طريق التمذهب المتعصِّب، وكانت بيننا جفوة لم أخترها على الإطلاق، ولكنها كانت. وبعميق الحزن تلقيتُ أمس نبأ وفاته، فإلى ذكراه أقدم هذه الأبيات.

* * *

شخصَانِ في واحدٍ أرثي وأفتقِدُ ... مناضلٌ ثم صوفي ومجتَهِدُ
مناضِلٌ كان في عهد النضالِ فتىً ... يزودُ بالسيف عما كان يعتقِد
عهدُ النضالِ!!! وعذراً إن وقفتُ على ... أطلالِهِ، أنبُشُ الماضي وأنتقِدُ
عهد عرفتك فيه طائراً غرداً ... وكان يملك قلبي الطائرُ الغردُ
عهدٌ أفتش عنه اليوم ذاكرتي ... وحسب قلبي منه بعض ماأجدُ
عهد مضى حيث كان العمر متقداً ... بألف لونٍ طموح شمسه الرأدُ
كُنّا نحارب أوهاماً وأخيلَةً ... ونستريحُ إلى الوعد الذي نَعِدُ
كنا كما كان (دونكيشوت) منتصراً ... في حربِهِ، وطواحين الهوى بِدَدُ
عهدٌ ملأناه أقوالاً وتسليةً ... وإدعاءً بأنّا السّادةُ النُّجُدُ
وأننا سوف ننهي كل معضلةٍ ... للشعب، نحن له في المحنةِ السنَدُ
وأننا لا سوانا من إذا عصفت ... بالشعب عاصفةٌ في وجهها صمدوا
واليوم إن جاءَ مَن يُحصِي لأمتنا ... إنجازَنا، لم يجد ما يحمِلُ العدَدُ

* * *

قلنا بتوحيدها واليوم أمَّتُنَا ... شرازِمٌ، كل قطرٍ واحِدٌ أحَدُ
قلنا بتحريرها، واليوم نُسلِمُهَا ... مذبوحَةً، مالها ثأرٌ ولا قَوَدُ
قلنا... وقلنا... ولم نفعَل سوى خطلٍ ... جيلُ الهزيمَةِ جيلٌ فعلَهُ الزَّبَدُ

* * *

ياابن الحكيم لقد كانت مبادئنا — وسوف تبقى هي الإرشادُ والرشَدُ
ولا يضر بها زعم الألى زعموا — بأنهم واردوها ثم لم يردوا
كثيرةٌ هي في الأفكارِ مَن بقيت — روحاً، وأعوزَهَا في الواقِعِ الجَسَدُ
والروحُ إن لم تُجَسَّد واقعاً دخلت — في عالَمِ الغيبِ حتى يأذَنَ الصَّمَدُ

* * *

ياابنَ الحكيمِ طريقُ البعثِ لاحِبَةٌ — واللومُ يقرَعُ مَن ضَلُّوا ومَن قَعَدُوا
والموقف الصَّحُ مِمَّن ظَلَّ معتصِماً — بالحق، أن يتخَلّى عَمَّنِ ابتعدوا
وأن يبشِّرَ بالأهدافِ يرفَعُهَا — في وجهِ مَن نكصوا عنها ومَن جحدوا
أمَّا الهروبُ إلى التهويم خلفَ رؤىً — لم تَبنِ أمساً، ولا يُبنَى بهن غَدُ
فموقفٌ يائِسٌ أملته خيبتنا — وواحةٌ من سرابٍ ظِلُّهَا وَقَدُ

* * *

ياابن الحكيم، وقبلَ البعثِ كان لنا — في الدين خيبات من شابوا ومَن مردُوا
إسلامنا ظل في القرآن نقرؤه — وغيرَ أحكامِهِ في الناسِ نعتَمِدُ
وقبلَ أن يَدفُنَ الأصحابُ صاحِبَهُم — كانت فرائصهم بالحقد ترتعِدُ
وحَكَّمُوا السيفَ لا القرآنَ بينهم — ومانزالُ بنهرِ الحقدِ نبتَرِدُ
فكيف صَحَّ بدعوى خيبَةٍ حَصَلَت — أن جئتَ بيتاً من الخيباتِ تقتعِدُ

* * *

عذراً أبا أحمدٍ خيباتُنَا كبُرَت — حتى أَظَلَّت من احتجوا ومَن قعدوا
وليس ينفَعُ لومُ اللائمينَ لَنَا — أو لَومُنَا بعضنا. بَدءُ العمى الرمَّدُ

* * *

عذراً أبا أحمد لا الزهد ينقذنا — مما نعاني، ولا أشياخُنَا الجُدُدُ
لابُدَّ من وقفةٍ كبرى نعودُ بها — إلى مبادئنا الكبرى، ونتَّحِدُ
ونجعَلُ الأمر شورى، إن أمتنا — يسوسُها أبداً بالخسفِ مضطهِدُ
فالعَودُ أحمدُ، وهو الفجر ينقذنا — من حالَةٍ غيرَ مُرِّ اليأسِ لا تَلِدُ
هي الحقيقةُ فأذن أن أبوح بها — ياصَاحبي قبلَ أن تُستعَمَرَ البَلَدُ

* * *

دمشق ١٩٩٥/٦/٩

أبا فراس

الرفيق مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري، الملقب بفارس السيف والقلم جعله حسن حظي موئلاً بإنصافي في قضية التعويضات المتوجبة لي عن إخلاء المنزل الذي أسكنه والمطلوب إخلاؤه لصالح الوحدة |٥٦٩| أو الفرقة الرابعة كما هي تسميتها الحديثة، ونظراً لأنني تقدمت إليه بطلب إنصافي منذ اسبوعين، ولكثرة مشاغله - خصوصاً في هذه المرحلة - رأيت أن أذكره بطلبي بالأسلوب الذي يحبه، وهو الشعر.

فإلى سيادة وزير الدفاع أتقدم بهذه الأبيات راجياً أن تنال رضاه وأن تثير اهتمامه لجهة السرعة في إنصافي.

* * *

أبا فراسٍ، رعاكَ السيف والقلم ... وجّلكَ الله عن أخلاقِ مَن ظلموا

بيتي دفعت عليه كل مدخر ... عندي، فلم يبق لا لحم ولا وضَمُ

وعشتُ فيه قريرَ العينِ تؤنسني ... أصواتُ مَن زاروا حولي ومن زخموا

* * *

جيشٌ من الجندِ والضباطِ إن جهلوا ... كانوا أوائِلَ جهالٍ، وإن علِموا..

أحببتُ جيرتهم لكنَّ قادَتَهم ... بجيرتي، وبعيشي بينهم، بَرِموا

فأنذروني أَن أُخلي لهم سكني ... وإن أبيتُ فَسَيفُ القوةِ الحكَمُ

وكِدتُ لولا شفيع لا تُرَدُّ له ... شفاعَةٌ، أن تَرَاني ضيفَهَا الخِيَمُ

حَنَا الرئيسُ على وضعي وأفسَحَ لي ... في الوقتِ، ياحسنها الأخلاقُ والشيَمُ

وقيلَ لي إنه التعويض تَطلبُهُ ... من الوزراة حيثُ المالُ والكَرَمُ

وها أنا جئتُ أستجدي عدالتكم ... أن تنصفوني، وإلا استنفر القلم

* * *

دمشق ١٩٩٥/٦/٢٨

في قريتي

على الرغم من تعدد الأحداث السياسية وتتابعها، وعلى الرغم من أنها جميعاً تستحق التعليق، ويستحق المسؤولون العرب بسببها ألف قصيدة هجاء، إلاّ أن شيطان شعري ظل صامتاً طوال أسبوعين تقريباً. وتذكرت أنني شغلت عن الأحداث السياسية بذكرياتي في قريتنا التي عدت إليها مقيماً لمدة طويلة نسبيا بعد أن غبت عن الإقامة الطويلة بها مدة أربعين عاماً، وخلال وجودي فيها اكتشفت أن أهل قريتي مهددون بالإختلاف حول الجوامع التي بنيت أصلاً تحت شعار (الإجتماع) لا التفرق. كما أنهم مهددون بالإختلاف حول صفاة الذات الإلهية، وحزنت لظهور بوادر تلك الإنقسامات رغم أن رموزها الأساسيين قد غيبهم الموت جميعاً رحمهم الله، ولكن حزني تبدد عندما اكتشفت أن الأجيال الجديدة في قريتي بالرغم من أنها لا تعيش جوا نضالياً يجعلها أداة صالحة لحمل أهداف قومية كبرى بدون كبير عناء لم تُستلَب بدعواتِ التدين كغيرها من شبيبة المدن. والأرياف في وطننا العربي كما أنها لم تستلب بدعوات عبادة الفرد أيضاً. الأمر الذي أبقاها محلا صالحاً للتبشير بمبادئ الأمة العربية في الوحدة والديمقراطية. وترجمةً لمشاعري كانت هذه القصيدة.

* * *

في قريتي ضلَّ عني وحي شيطاني حتى كأنَّ إله الشعرِ عاداني

وصرتُ اسمع في الأخبار ذكرهم فلا أبالي كأنَّ الأمرَ سِيّانِ

للحاكمين شؤون يسرحونَ بها ويمرحون، ولي في قريتي شاني

مرابع الذكرياتِ البيض تشغلني عن كل بؤسٍ (سرايفو) (وشيشانِ)

وعن تعثُرِ ما أرجو له عُسُراً من التفاوضِ في طابا وتطوانِ

ولا أكابد أن السِّلمَ بينهم لم يكتمل، فهو رأسٌ دونَ سيقانِ

وليس يقنعني أمنٌ لأنظمةٍ مهددٍ بأصوليين شجعانِ

ولا اصطياد مئاتٍ من شيوخهم على يدي مخبرٍ يسعى لسلطانِ

فكل همي أن أبقي على صِلَةٍ وطيدةٍ بين أترابي وجيراني

تماسُكُ الأهلِ يحميهم ويمنعهم ... من أن يعيث فساداً أيُّ فتّانِ

* * *

في قريتي، يتبارى من عرفتُهُمُ ... أبناء دنيا، بتبشير لأديانِ
ويخلقونَ خلافاتٍ ولو زعموا ... أن الخلافات ماكانت بحسبانِ
وكل ما أتمناه بقريتنا ... أن تُغلقَ السمعَ عنهم كُلُّ آذان
وإن تحكِّمَ فيما حوله اختلفوا ... ماأنزل الله من آيات قرآنِ

* * *

الله والملأ الأعلى وما خلقت ... إرادة الله من دنيا وأكوانِ
والروحُ قبلِ اتحاد الروحِ في بَدَنٍ ... وبعد تهويمها في العالم الثاني
جميعها عالمٌ مافوقَ قدرتنا ... على تلَمُّسِ خافيه ببرهَانِ
وما علينا سوى تصديقِ ما نزلَت ... على النبي به آيات رحَمانِ

* * *

مافوقَ عالمِنا المحسوس ليس لنا ... فيه سوى قولِ تسليم وإيمان
وكل تأويلِ نَصٍّ لا تسوغه ... قواعِدُ (الضادِ) بهتان ببهتانِ
وحاذِرُوا جدلاً في الله يقذفكم ... إلى أجَاجٍ بحورٍ دون شطآنِ

* * *

في قريتي اليوم جيلٌ كدت أجهلَهُ ... لولا ملامِحُ آباءٍ كعنوانِ
جيل بلا هدفٍ إلا إذا اعتُبِرَت ... مناسِكُ العشق أهدافاً لفتيانِ
وليس ذلك ذنب الجيل إنهم ... أبناؤنا، نحن جيلَ النكبة الواني
إحباطهم صنع أيدينا، ويأسُهُم ... نحن الذين جدلناه بخيطان

* * *

في قريتي رغم هذا من فتوتها ... كتائبٌ من شبيباتٍ وشبَّانِ
لم يستجيبوا لداع جاء يدفعهم ... إلى التقوقع في أثواب رهبَانِ
ولم يعانوا استلاباً في عقولهم ... باسم التغني بما قال الصحيحَانِ

كما وأنهم لم يزعنوا أبداً لما تـردده أصـوات إذعَـان
ورغم ماتتلقاه مسامعهم في كل حين من القاصي إلى الداني
فإنهم حفظوا قرآن أمتهم ولم يصيروا إلى عبَّادِ أوثانِ

* * *

بيت ياشوط ١٩٩٥/٩/١٨

صاحب القِن

بلغني هذا اليوم أن الشاعر يوسف كامل الخطيب غُلِبَ في لعبة (المنقلة) من قبل العماد علي دوبا رئيس شعبة المخابرات العسكرية و كان الشرط أنه إذا انتصر الخطيب فسيحصل على ديكين من الحبش يقدمهما له سيادة العماد دوبا أما إذا انغلب فسيحصل العماد دوبا على ديكينِ عاديين من (قن) الشاعر يوسف الخطيب في (عين يصُّون). و كان أن انتصر العماد فتلكأ الخطيب قليلاً لعله يحصل على إعفاء من الشرط، لكنه فوجىء بأن الديكين قد أحضرا وذبحا وقدما له طعاماً لذةً للآكلين، وتبين أن سيادة العماد قد وجّه دورية من أهالي (قرفيص) قامت بالهجوم على قن الشاعر الخطيب وأنفذت به الشرط، و كانت المحصلة قصيدة هجو من الشاعر الخطيب إلى أهالي قرفيص لأنه لم يجرء على هجو الفاعل الحقيقي وتعليقاً علىهذه الواقعة كانت هذه الأبيات.

* * *

يوسفُ ابنُ الخطيب صاحب قِنٍّ ... كل ديكٍ فيه أميرٌ يغني
وديوك الخطيب أصلٌ وفصلٌ ... وأناشيدها روائعُ فَنِّ
كبرَت في دلالِهِ، فهي لولا ... لهفة القلبِ في مكانةِ إبنِ
وحباها مما أفاء به اللهُ ... عليهِ، من كلِّ روعةِ حسن
أدب حين لايثار رفيعٌ ... وإذا ما أثير وسواس جن
وجمال في العين والفم والأنفِ ... وفي وجنةٍ وخد وأذنِ
وتزيد الديوك عنه بعرفٍ ... صارَ من كثرة الإثارة بُنّي
فلديها من الدجاجاتِ سربٌ ... فاق في حسنه حدود التمني

* * *

كل ديكٍ من قِنِّ يوسف يزهو ... بزراريه، وهو يأبى التبني
وتعاليمُ قِنِّ يوسف فيها ... من جميع الأديان ما صار يغني

هو قنٌ التعددية رأياً   واقتصاداً، لكن بوحدةِ أمنِ
وهو قنٌ الفكر الطليق ولكن   بانضباط السكين فوق المسَنِّ

* * *

غامرَ ابن الخطيب في القنِّ لمّاً   أثقل القن في إشارة رهن
غالَبَ الأقوياءَ وهو ضعيفٌ   وصراع القوي يوهي ويضني
غلبوه وأنفذوا الشرط فيهِ   فأدعى أنّهُ ضحيّةُ غبنِ
وبكى قِنّهُ، وأعمل فيهم   - أهلَ قرفيص - هجوه المتجني

* * *

غاصِبُ القِنِّ ليس سكان قرفيصٍ   ولا أنتَ في الحقيقة تعني
غاصبُ القِنِّ لو جرأتَ عليهِ   وتحررتَ من رياءٍ وجبن
لتفجرت كالبراكين هجواً   حمأ النار فيه أنهارُ ضغن
ولأرغمتَهُ على ديَةِ الديكين   نهران من زيوتٍ وسمنِ
وخواريفُ لا تُعَدُّ، وخيل   وبغال من كل لونٍ وسحنِ
ولأرغمتَهُ على إعتذارٍ   منكَ عما لم يرتكبه، ومني

* * *

يوسفَ ابن الخطيبِ هجوكَ أمسىَ   لايحامي، فقد أصيبَ بوهنِ
إنه لا يخيفُ حتى ابن آوى   وهو ينزو على الديوكِ بقِنِّ
أتراه يخيفُ أقوى قوي   في بلادي، خَيَّبتَ في الهجو ظني

* * *

بيت ياشوط ١٣/١٠/١٩٩٥

عتبتُ على يوسف بن الخطيب

أطلعني الرفيق (سليمان أبو قاسم) على ابيات كتبها الصديق الشاعر (يوسف الخطيب) على ورقة النهاية من ديوان (حياتي في مواقف) زاعماً أنها تقريظ منه للديوان وعندما قرأتها أدركت أن دافعها أحد اثنين:

١ ـ إما أن الصديق يوسف الخطيب كتب ما كتب منفعلاً بسبب بعض التعليقات التي تناولته في الديوان (وهذا أهون الشرور)

٢ ـ وإما أنه يحاول التقرب من جهة ما بالتهجم عليَّ (وهذا ما لا أتمناه) وسوف أقدم للقارئ الكريم أبيات الصديق يوسف الخطيب وأتبعها بردي عليه.

١ ـ أبيات الشاعر يوسف الخطيب:

يقول ابنُ حيدر في شعره ... كلاماً يهاجم فيه الغلط
وخضرَمَ في الحكم حتى استوى ... غناً وثراءً وفطًّا ونط
وكان حديثَ نكات الشآم ... مصاريفُ كلبته والقطط
ولكن قطعةَ لحمٍ به ... هوت عاثراً بالكلام الشطط
فأُبعِدَ عن بيدر خَصَّهُ ... بقمح فعباه عنه فلط

يوسف الخطيب

٢ ـ الرَّد:

وطالَعَ يوسف شعري بهم ... فأُسقِطَ في يده، وانعَبَط
وثارَت حفيظَتُهُ عنهم ... فأوقعه فعله بالغلط
ويوسف في أصل تكوينه ... طبائعه جُبلَت بالشطط
لردة أفعاله صورَةٌ ... كصورة ردات فعل القطط
(يكنفش) في مظهر غاضبٍ ... كمن في صراع البقاء انخرط
ويُشهِرُ أظفارَهُ الغادراتِ ... حراباً على كفه المنبسط

وحين يلوح له زاجرٌ | يطير ومن خوفه لا يحط

* * *

ويضحكني يوسفٌ غاضباً | فلا يستقر ولا ينضبط
ويبدو كمن مُسَّ في عقله | فأضحكُ فيما أَتى مِن عَبَط

* * *

أحاديث يوسف عن ثروتي | وعن كلبتي، لا تثيرُ السَّخَط
فكذب أسانيده واضحٌ | وعقد أحاديثه منفرط
ويوسف يعلم مَن صاغها | ويعلم من خط فيها الخطط
ولكنه جكراً بالوضوءِ | وحكم الطهارةِ فيه (..)
فيوسف من حمق ما سَوَّلت | له نفسه في المجاري سقط
وشاء له أهله الإغتسال | فأحضر صابونةً من (..)

* * *

عتبتُ على يوسف بن الخطيب | لترويجه ما أرادوا فَقَط

* * *

دمشق ٢٠/١١/١٩٩٥

أبا الفداءِ عزاء

تلقيت اليوم نبأ وفاة الشاعر الصديق الدكتور وجيه البارودي الذي انتقل إلى جوار ربه منذ حوالي خمسة عشر يوماً، فإلى روحه الطاهرة أقدم هذه الأبيات.

* * *

أبا الفداءِ عزاءً إنه القدرُ ـ وأنتَ تعلَمُ ـ لا يُبقي ولا يذرُ
أبناؤكَ الغرُّ في التاريخ كوكبةٌ يفنى الزمانُ، ويبقى عنهمُ خَبَرُ
طواهُمُ الموتُ إلا أن ماصنعوا باقٍ على الدهر لا يمحى له أثَرُ
وشاهد العصر منهم، مَنْ إذا ذُكرت صفاتُه، عَرَفته البدو والحضَرُ
غِرِّيدُ دَوحٍ إذا جاشت عواطفه بالحب. أبدَع مالم تبدع البشر
ينمنم الغزَلَ العذريَّ قافيةً فيستبيحُ بها ما تحجب السترُ
ويعبد اللهَ بالحسن الذي خلقت إرادة الله. ويل للألى كفروا
وإن تغزَّلَ بالأنثى مبَّرجةً إلى غوايةِ ما يشتاقه الذكَرُ
كانت بلاغتُهُ الإعجاز يحسده على البلاغةِ في إعجازه (عُمَرُ)

* * *

وشاعر العصرِ في منطوق حكمتِهِ هديٌ إذا تبعوه أغلقت (سقَرُ)
قصائِدُ النصح والإرشادِ مُنزَلَةٌ آياتُها فهي من إلهامه سُوَرُ
ومدحه ليس إلا ذكر فضل يد لمحسن ظنه للخير يَبتدِرُ
لا يعرف المدحُ زلفى عند شاعرنا ولا نفاقاً، وحين المدح يختصِرُ
فشعره فيضُ إحساسٍ يعبقره طبع تمَّرسَ حتى صار يبتكِرُ
أوزانُهُ مثل عِقد الماس منتظَماً وكل ألماسة في عقده حَجرُ
شعر سيخلد رغمَ الموتِ فارتقبوا إني أرى الموتَ دون الشعر يُحتَضَرُ

* * *

أبا الفداءِ. ومن بالأمسِ ودَّعَنا إليكَ ما كانَ من عاداته السفَرُ
نهرانِ كانت حماةٌ ترتوي بهما عطاءُ شاعرها الوهاب والنَّهَرُ
أقام فيها طويلا لا يبارحها يحنو وينقُدُ في حُبٍّ ويفتخر
واليوم خلفها ثكلى (فحاضرها) (وسوقها) بسواد الحزن يأتزر
وريفها زلزل الناعي رتابَتهُ فالحزنُ في الريف كالبركان ينفجِرُ
وليلها بعده ليلٌ بلا سَمَرٍ أيجمَعُ الليلُ سُمَّاراً ولا قَمَرُ!!!

* * *

أبا الفداءِ فقدنا في حفيدكم من لاتعوضنا عن فقده العُصُرُ
مناضل لم تهن يوماً عزيمته وفارس يقحم الجلَّى وينتصر
يقاومُ الظلمَ في قولٍ وفي عمل ولايخافُ جنودَ الظلم إن كثروا
وعصرنا ليس فيه غير مظلمةٍ في إثر مظلمَةٍ كالسيلِ ينهمِرُ
ورغم ذلك لم يبرح يقول لهم إرادة الشعب يا ظلامَنَا قَدَرُ

* * *

هو الوفيُّ بعصرٍ لاخلاقَ له إلا التمثل في أخلاقِ من غدروا
يدعو إلى الحب والداعون جلهم إلى التعصب والتكفير مانشروا
شاؤوه للعصبيات التي بذروا وناله منهم في أهله الضَّرَرُ
لكنه ظل يسمو في تطلعه إلى الإخاءِ، ولم يأبه بمن صَغُروا
وظَلَّ يشهِرُ سيف الحق في يده حتى هوى. وسيبقى ذكره العَطِرُ

* * *

دمشق ١٩٩٦/٢/١٩

حفيدتي وحفيدي

على ذمة الطب أن ابنتي ميساء ستلد بعد شهر تقريباً ابنةً جديدة تضاف إلى(صيد وسيراء ورفعت وزين)، وهي من أجل أن تحصل لها على جنسية ذهبت إلى أمريكا لتتم ولادتها هناك حيث يعطي نظام أمريكا جنسيتها لكل مولود على أرضها، وفي الوقت نفسه تقريباً وعلى ذمة الطب أيضاً أن ولدي هاني المقيم في أمريكا سيرزَق بولد ذكر خلال المدة ذاتها تقريباً يضاف إلى أخواته (شهد وسارا وجنى)، وتخيلت نفسي بين هذا الحقل من الورود الأحفاد في أمريكا بعيداً عن معاناة المواطن العربي في وطنه، وكانت هذه الأبيات.

* * *

أنا بينَ مهدِ حفيدتي وحفيدي لونت أيامي بكل سعيدِ

ماعدتُ مضطَهَداً، ولا أشكو الأذى وجميع أصحَابِ القرارِ عبيدي

هي بسمة الأحفادِ لو سُكبت على ليلِ الشقاءِ لكانَ صبحَ العيدِ

ستٌ كلألاءِ الشموس وضاءةً وثلاثةٌ كتلاوةِ التجويدِ

وأنا أقلِّبُ بينهم طرفي كما لو أن طرفي بينَ حقلِ ورودِ

دنياهم كل الوجودِ لناظري وعلى محبتهم وقفتُ وجودي

* * *

اللّه! لوعرفَت دمشقُ سَعادتي لأقض مضجع بعضهم تغريدي

وتأسَّفَوا أني الطليقُ وأنني حر، وقد حطمتُ كل قيودي

* * *

ياأيها المستمتعونَ بغربتي والهانئون بسفرتي لبعيد

العارفون مدى وحجم مرارتي إن كنتُ لا أحيا بأرض جدودي

لا تفرحوا فأنا برغم أنوفكم حر بتجوالي هنا وقعودي

وأعيش أحلام الشباب بأمتي وطموحَهُ في البعث والتجديدِ

وأعلِّمُ الأحفادَ أنَّ جدودَهُم كانوا مناراتِ الهدى لمريدِ
ويسرني أني أرى بوجوههم وعيونهم بشرى الغدِ المنشودِ
حتى حفيدَيَّ الَّذين تباطآ عني وجاءآ آخر العنقودِ
فهِما حكايةَ أنهم من أمةٍ ملأت بعزتها سماءَ البيدِ
وتضاحكا سخريةً من خوفنا في الشرق أن العصر عصر يهودِ
متناسِيينِ بأنَّ عِلَّةَ شرقنا في حاكميه، وليس في التهويدِ

* * *

ياقُرَّتا عينَيَّ يامَن فيكما أبصرت ظل وليدتي ووليدي
(ميمي) (وهاني) والطفولة مرةً أخرى، وأحضاني وعذب نشيدي
والذكرياتُ ومايثير حنينها من لوعةٍ وجوىً بقلب عميدِ
وأفيق من أحلام يقظةِ فرحتي فأحار بين حفيدتي وحفيدي

* * *

دمشق ١٩٩٦/٧/١٥

خَلدتُ فيكَ

أمس رزقني الله حفيداً ذكراً لإبني هَاني بعد ثلاث ورود وقد أصر والداه على تسميته بإسمي (محمد) بالرغم من أنه أمريكي الجنسية، وقبل قدومه رزقني الله بحفيدة أنثى من أبنتي ميساء اسماها والداها (سيماء) وهي أمريكية الجنسية أيضاً وبالرغم من أن ولادتها كانت بتاريخ ٤ | ٨ | ١٩٩٦ فإنني أتوجه إلى حفيدَيَّ معاً بهذه الأبيات ومن خلالهما إلى مجموع أحفادي الأحباء مع خالص الحب.

* * *

خَلَدتُ فيكَ كما خَلَّدتُ أجدادي … يازهرة الفل في بستانِ أحفادي

خَلَدتُ فيك بإسمي، ثم لي أملٌ … باللهِ أن سوف تُعلي صرحَ أمجادي

خَلَدتُ فيكَ فما للموتِ منعَرَجٌ … إلى دروبي. يموتُ اليومَ حسّادي

* * *

يامنيةَ النفسِ طالَ الإنتظارُ بنا … وحين أقبلتَ كنتَ الماءَ للصّادي

(سيماءُ) قبلَكَ جاءَتني بشائرها … فأسعدتني وتمت فيكَ أعيادي

ويوم مولدك الغالي عرفتُ به … ماكنت أجهله عن يوم ميلادي

* * *

أنتَ انبعاثُ حياتي من مراقدها … وأنت أشعلت ناري بعد إخمادِ

فاحمل معي وتحمّل ما سيوقظه … نضال جدك، من لؤمٍ وأحقادِ

* * *

قررتُ بعدكَ أن لا أستقِرَّ على … ضيم، وأن لا أدراي بطش جلادِ

فالساكتون على الظلام مثلُهُمُ … مثل المعينِ على ظلمٍ وإفسَادِ

وحق أحفادِ قلبي أن أورثهم … من المواقف ما يهدي لإرشَادِ

عندي ذخيرة أفكارٍ ولي قلم … حبرُ الدواةِ له من محبَرِ (الضادِ)

فكيف أبخل في قولٍ وفي عمل … على فلذاتِ أحشائي وأكبادي

توليدو ١٩٩٦/٨/٢٢

يا أمنا

إلى روح (حماتي) أمي الثانية، وقد فارقت الحياة بتاريخ ١٤ | ٩ | ١٩٩٦ و كنت غائباً عنها في أمريكا، وبالرغم من عودتي فإنني لم أستطع حضور التشييع، وفي طريق العودة، كانت هذه الأبيات.

* * *

لم يبقِ بعدَكِ من أمي سوى الصُّوَرِ وذكرياتِ زمَانٍ وحْدهُ عمري
ماتَت، فكنتِ عزائي حين يُعوزني عطفُ الأمومةِ والتدليلِ في كبري
عَوَّضتِني بعض ما كانت تدللني فيه، وكنتِ رؤوماً بي وبالبشَرِ
لم تخلفي لي وعداً قبلَ مرتحلي وكنتُ أحسَبُ أن تستنظري سفري
لكنه القدَرُ الأقوى ويؤلمني أني خسرتُ مباراتي مع القدَرِ

* * *

يا أُمَّنَا إن دنيا اليوم بعدَكُمُ صارَ الحنانُ بها عيناً بلاَ أثَرِ
ماذا لو أن إله الخلق أكرَمَنا بطول مكثك، يامقبولَةَ النُّذُرِ
كُنَّا بمكثِكِ شَملاً أنتِ جَامِعُه وشملنا اليوم قد يغدو لمندثِرِ
فراقُكِ المرُّ يودي بي إلى لججِ من المجاهيلِ من خوفي ومن حذري
أخشى إذا ظَلَمتني (أمُّ أفئدتي) أن لا أرى لي منها أي منتصِرِ
وإن ظَلَمتُ، فأخشى ما يؤرقني أن لا أرى من سأغضي عنده بصري

* * *

كنتِ الأمَانَ لقلبي حين يقعد بي عذري، وتربكني آثامُ معتذرِ
أن تُلبِسي عندهَا الأثوابَ زاهيةً للعري، في كل ما آتيه من عُذُري
واليوم لم يبقَ لي إلا مودَّتُهَا فإنها في ليالي محنتي قمري

* * *

(يا أُمَّ أفئدتي) للحزنِ منطقةٌ
لديكِ، في عُسْرِ الأحزانِ واليُسْرِ

صبورَةٌ أنتِ والأيامُ شاهِدَةٌ
فهل أعزِّي، إذا ناشدتُكِ اصطبري

عزاؤنا أنَّهَا في خُلدِ جَنَّتِهَا
ترتاحُ من سُرُرٍ فيها إلى سُرُرِ

وحسبُ أحزاننا أن التي ارتحلَت
تخَلَّصَت من عناءِ السقم والضَّجرِ

وحسبنا أنَّ دنياها التي ذخرَت
بالحُبِّ أعطَت بلا مَنٍّ ولاَ كَدَرِ

فلنتَّحد حولَ إرثٍ أنتِ حَارسُهُ
وإن تغافلتِ عنه صارَ في خَطَرِ

* * *

دمشق ١٩٩٦/٩/١٩

طفلةُ الأمس

في هذا اليوم تُزَفُّ ابنتي الصغرى (غفار) إلى بيتِ الزوجية السعيد، وأتملى طفلتي الصغيرة وهي في ثياب العرس وحولها عريسها (الدكتور بسَّام حسين) فتتوازعني المشاعر بين الحزنِ والفرحةِ، وتتوازعني الصور بين طفلةِ الأمسِ التي كانَت ملء دنيانا بشقاوتها الطفوليه، وبين عروسِ اليوم التي هي ملء دنيانا شباباً وجمالاً. وأرجو أن تكونَ ملء دنيا زوجها حُبّاً ووفاءً وبنيناً. فإلى العريسين الحبيبين أقدم هذه الأبيات

* * *

طفلةُ الأمسِ في ثيابِ العروسِ ... أينَ منها إشراقُ أزهى الشموسِ
أين منها بانٌ يميسُ، وفلٌّ ... ينثر العطرَ بينَ كل الجلوسِ
هي عندي وفي فؤادي وعيني ... فوقَ هذا، وفي فؤادِ العريسِ

* * *

يا حبيبي (بسّام) أعطيكَ جزءاً ... من فؤادي، فأحفظَه، كانتَ أنيسي
هي قلبٌ يحب حتى ليغدو ... حُبُّهُ نفحةً من التقديسِ
غير أني أفضي إليكَ بسِرٍّ ... ربّما لن تراهُ في قاموسِ
إنَّها بنتُ أمِّها، فلتحاذِر ... شكَّها، فالشكوكُ داءُ النفوسِ
وهي أيضاً بنتُ أمِّها في وفاءٍ ... يتعدى حدودَ ما في الطروسِ
بنتُها في تسامحٍ ووداد ... ورضاً في السعودِ أو في النحوسِ
بنتها في تحمُّلٍ واقتناعٍ ... دونَ ما مِنَّةٍ، ولا تدليسِ
بنتها في اعتبار أهلِكَ أهلاً ... تفتدي حبَّهُم بكل نفيسِ

* * *

يا حبيبي (بسام) إنَّ (غفاراً) ... كنزُ حُبٍّ، لايشترى بفلوسِ
وَحَرِيٌّ أن تستمِرَّ عريساً ... أبدياً، في حُبِّهِ لعروسِ
فليباركُكُما الإلهُ، وقلبي ... رغمَ مُرِّ الفراقِ غيرُ تعيسِ

* * *

دمشق ١٩٩٦/١١/٢

يا حفيداتِ مهجتي في دمشق

حفيدتاي (صيد) و (سيراء) بنتا ميساء ومضر الأسد، أقامتا هذا اليوم إحتفالاً بعيد ميلاد (صيد) واعتبرتاه عيداً مشتركاً لكلتيهما. ولم يحسبا فيه حساب أختهما الصغرى (سيماء) التي ما تزال في الأشهر الأولى من عمرها. وبهذه المناسبة كانت هذه الأبيات:

* * *

(صيدُ) قلبي بَلْ إنَّها (سِيَرَاءُ) بَلْ هُما في وَجيفِ قلبي سواءُ

عيد ميلادِ وردَتَيَّ صَبَاحٌ لم تُبَشِّرْ بِمِثْلِهِ الجوزاءُ

بَعَثَتْ بي أفراحُهُ ذكرياتٍ هُنَّ في ذكرياتِ عمري وِضَاءُ

يوم كانَتْ (ميساءُ) في مثل (صيدٍ) (وغفارٌ) كأنَّها (سِيَرَاءُ)

ويقيمان كلَّ عيد سعيد إحتفالاً يدعى له الرفقاءُ

فيجيئونَ بالهدايا وآتي وبجيبي الهديَّةُ العصماءُ

دُرَرٌ من فَصاحَةٍ وشعورٍ عجزَت عن مثيلها الشعراءُ

وبناتي برائعاتِ الهدايا يتزيَّنَّ فالحِجَا والرواءُ

* * *

وأنا اليوم مثلما كنتُ بالأمسِ أُغني فيُسْتَعادُ الغِناءُ

دُرَري من مناجِمِ الحُبِّ شِعرٌ عاطفيٌّ هو الغنى والثراءُ

وحفيداتُ مهجتي كبناتي عندَهُنَّ الإعجابُ والإصغاءُ

يتزيَّنَّ في قصائِدِ شعري مثلما أُزَيِّنَتْ بنجمٍ سماءُ

* * *

يا حفيدات مهجتي ليس عندي للهدايا ما يكنز الأغنياءُ

فاقبلا العقدَ مِنْ قوافي بياني لبياني لا للعقود البقاءُ

واشركالي (سيماءَ) في عيدِ عامٍ قادم، إن مهجتي (سيماءُ)

طفلةٌ أقبلَتْ بصحراءِ عمري فاستراحَتْ بظلِّها الصحراءُ

إنّها واحَةُ الندى والأماني		والرجاءُ الذي عليه الرجاءُ
كلّما تمْتَمتْ بما لستُ أدري		أسرتني البلاغَةُ الخرساءُ

* * *

يا حفيداتِ مهجتي في دمشقٍ		عيد ميلادكُنَّ ظِلٌّ وماءُ
ومقيلٌ يفيء عمري إليه		من عناء الحياة وهو العناءُ
ليس عندي لعيدكنَّ عطاءٌ		غيرَ حُبِّيْ، فهل سيرْضِي العطاءُ؟

* * *

دمشق ١٩٩٦/١١/٢٨

عاميَ الأول

في ١٩٦٠/٣/٦ تم زواجنا، وكانت رحلةَ عمر طويلة، عرفنا فيها حلاوة الحياة الزوجية ومرارتها. وكَبُرَ الأبناء وتفرقوا وأجد نفسي اليوم أنا وزوجتي لوحدنا وكأننا عدنا من حيث بدأنا. فإليها اعترافاً مني بأنها كانت من فضليات الزوجات ومن أخلص الحبيبات، أتقدم بهذه القصيدة راجياً أن تنال لديها القبول:

* * *

عاميَ اليومَ كعامي الأولِ ... أنتِ فيه يا حبيبي شُغُلِي

رحلَةُ العمرِ التي عشنا بها ... متعةَ السعي وراءَ الأمَلِ

وصلَ الدربُ بنا فيها إلى ... واحَةٍ أعشَقُ فيها كسلي

يا حبيبي أنتِ مازلتِ صِباً ... يغرزُ الشوكَ بعين العُزَّلِ

وأنا مازلتُ في حبي كما ... كنتُ في عهدِ شبابي الغَزِلِ

غير أنّي اليومَ يا فاتنتي ... بعدَ أَنْ هَوَّمَ بي مرتحلي

جئتُ أُلقي بعد وعثاءِ السُّرى ... بينَ كفَّيكِ خُطامَ الجَمَلِ

معلِناً في معبَدِ الحب الذي ... صُنْتِهِ لي، توبتي، بل خجلي

واهباً حُبَّكِ مالم ينصرِمِ ... من حياتي طالَ أو لم يطلِ

راجياً رغمَ اعترافي أنني ... آثِمٌ في حبِّنَا، أن تقبَلِي

* * *

يا حبيبي نحن عدنا مثلما ... بدأَتْ رحلَتُنا في الأوَّلِ

كبُرَ الأبناءُ عن تدليلنا ... وأنا الطفلُ، فقومي دَلِّلِي

واقبلي التدليلَ مني طفلةً ... أفتديها بسوادِ المُقَلِ

وَلْيَغَرْ أحفادُنا من حبنا ... لم نَزَلْ من حبنا في العَسَلِ

وسيبقى الحب في تاريخنا ... معلَماً يخلد مثلَ الأزلِ

(يا سعادي) والهوى في عمري ... كاد يُنسيني وقَارَ الكَهِلِ

أنا أدمنتُكِ يا مُسكِرَتي	بين عَلٍّ في الهوى أو نَهَلِ
ذقتُ من كل الغواياتِ كما	رغبت نفسي بكل السُّبُلِ
أتقي حرقة إدمَاني بها	وأداري عنكِ فيها مقتلي
غير أني لم أجد أمنتي	بسِوَى إخلاصِكِ المشهودِ لي

* * *

يا حبيبَ العمرُ يا غانيتي	يا منى نفسي ومهوَى قُبَلِي
نارُ أشواقي إلى مخدعنا	لم تزَلْ كاللَّهب المشتعل
فتعالي نختم العمر كما	كان في البدء، بغير الزَّعَلِ
وثقي أنّي يا فاتنتي	لم أقل ماقلتُهُ عن دخَلِ

* * *

دمشق في ١٩٩٧/٣/٦

حنانيكما

في الواحد والعشرين من شهر آب ١٩٩٧ يكون حفيدي (محمد هاني حيدر) قد أكمل عامه الأول وتكون حفيدتي (سيماء مضر الأسد) التي ولدت في ١٩٩٦/٨/٤ قد أكملت عامها الأول أيضاً ويكون ابنتي (غفار) وزوجها الدكتور (بسام حسين) قد عادا من أمريكا وزفا إلينا بشرى حمل (غفار) بطفلهما الأول منذ حوالي شهرين. ويكون ولدي هاني وزوجه عروب قد قدما إلينا من أمريكا بعد غياب طويل.

وبمناسبة كل هذه الأحداث السعيدة تحتفل العائلة بعيد ميلاد (محمد وسيماء) في بلدهما الأصلي على رغم حملهما للجنسية الأمريكية بحكم الولادة. فإلى المحتفى بهما أتقدم بهذه الأبيات:

* * *

حنانيكما، قد تجهدُ القلبَ أفراحي ... كما أجهدته قبل ذلك أتراحي

لميلادِ (سيماءٍ وحمُّود) بهجَةٌ ... تحيلُ دُجَى ليلي إلى فجر إصباح

ويسعدني أني وأهلهما معاً ... نعيش احتفالاً ما لذكراه من ماح

تجَمُّعَ فيه شملنا بعد فرقةٍ ... فأسكرني من غير كأسٍ ولا راحِ

صغيرانِ لكِنَّ التَولُّهَ فيهما ... كبير، فما في أهلنا غير ملتَاحِ

(يَتَأْتِيءُ) كُلٌ منهما دونَ غايةٍ ... فنزعم أنَّ القولَ إعجازُ إفصَاح

ونَلمحُ في إيماءَةِ الرأسِ منهما ... إلى واحد منا دلائلَ لمَّاح

* * *

يرفرف (حمُّودٌ) إلى حضن عمِّه ... كما رَفَّ عصفورٌ يفيء إلى واح

ويُمسِكُ فيه لايُريمُ ولايرى ... بذلك مدعاةً لِلَحْيٍ ولا لاَحِ

ويغريه بالوجه البشوشِ وضحكةٍ ... تحيل عناءَ اليوم واحةَ أفراح

وترمقه (سيما) بنظرة مُنكِرٍ ... تصرفَ سكرانٍ يضيق به الصَّاحي

(لسيماء) تعبير على الوجه مدهش ... ويفصح عن مكنونها أيَّ إفصَاح

تغار على أحضانِ أمٍ ووالدٍ فتدفع عن حضنيهما كل مجتاحِ
فإن عجزت راحاتُها في تدافع مع الغزو، صدَّته برفسةِ سفَّاح
إذا غضبت (سيماءُ) فالكل غاضب وإن رضيت فالكل يرقص في السَّاح

* * *

حفيدَيَّ يا أغلى من العمر كله سَيَغنى بشعري فيكما كُلُّ شُرَّاحي
فشعري نشيدُ الحب يبقى مخلداً تردده في الخلق أصواتُ صُدَّاح
وليس نفاقاً وانتهازاً تسوقه إلى غير أهل الفضل أقلامُ مُدَّاح
وقفت على حبي يراعَةَ شاعر تُخَلِّدُ ذكرى مَنْ أُحِبُّ بألواح
وأحفادُ قلبي من ضممت لأضلعي ومن سوف يأتي، هم تراتيلُ إصحاحي

* * *

حفيدَيَّ: إنذارٌ أسوقُ إليكما بكل جلاءٍ في البيانِ وإيضاح
إذا كنتما لن تستريحا لجدَّةٍ تُلح، وجَدٍّ لم يكن غير ملحَاحِ
فإن (ابن بسامٍ وغفُور) قادم يشارككم في خمر حبي وأقداحي
وسوف نناجيه ليسبح هانئاً بأحضاننا. فالبحر يهفو لسبَّاحِ
ونبقيكما في الإغتراب فأنتما غريبان جاآنا (بفيزةِ) سُيَّاحِ

* * *

دمشق ١٩٩٧/٨/٢١

الفهرس

حيـــــــاتي



هو رسمي بعد اكتهالي وشيبي
لا أرى فيه أي لوثة عيب

خلقة الله زانها الشَّعر حسناً
فهي بالشَّعر تزدهي دون ريب

نعمةُ العقل والبنين ثراءٌ
معه لا أخاف من فقر جيبي

دمشق ١٩٩٧/٢/١ محمد حيدر

